مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة

مجلة

مجمع اللغة العربية

على الشبكة العالمية

السنة السادسة

العدد السادس عشر، رجب ١٤٣٩هـ

مارس/ إبريل (آذار/ نيسان) ٢٠١٨م

مجلة علميّة، محكَّمة، تُعنى بنشر البحوث والدّراسات في اللّغةِ العربية، ونشرِ قرارات المجمع وآرائه وتنبيهاته ومقالاته وأخباره.

(تصدرُ مرةً كلَّ أربعة أشهر)

أهداف المجلة

- تهدفُ المجلة إلى نشرِ البحث العلميّ في علوم اللغة العربية كافةً، ونشرِ قرارات المجمع وتنبيهاته ومقالاتِه اللّغوية، كما تهدفُ إلى جمع ومتابعة قرارات المجامع السابقة، وتوصياتِ مؤتمراتها وندَواتها العلمية.. والمفضَّل للنشر لديها من البحوث هو:
  - الدّراسات التي تخدمُ اللّغة العربية تيسيرًا، وتقريبًا، وترغيبًا، وتصفيةً.
  - البحوث والمقالات المعنيّة بدراسة الألفاظ، والأساليب، واللهجات، والمصطلحات: تأصيلًا وتصحيحًا، وتعريبًا، وترجمةً، وشرحًا.
  - النصوص التراثية المحققة.

منهاج النشر في المجلة:

١- أن يتَّسمَ البحث بالأصالة والجِدّة، والمنهجية السليمة، ويُراعَى فيه قواعدُ السلامة اللغوية.
٢- أن يكون منسقًا وَفْقَ ضوابط النشر المعتمدة في مجلة المجمع.
٣- أن لا يكون مستلًّا من بحث سابق، أو منشورًا في جهة أخرى، أو مقدَّمًا لها.
٤- أنْ يُراعى في كتابة البحثِ قواعدُ الإملاء والترقيم المتبعة، إلا في الآيات الكريمة، فتُكتب وَفْقَ الرسمِ العثمانيّ، ويُراعى فيه مقدارُ الحاجةِ في التشكيلِ دونَ المبالغةِ، فلا يُضبطُ بالشكل التامّ سِوى النصوصِ المحققةِ، والأحاديثِ الشريفةِ، والأبيات الشعريةِ، ونحوِها.
٥- أن يكون البحث مكتوبًا بصيغةِ وورد، على ورقٍ ذي مقاسِ (١٧- ٢٤)، بخط «العربي التقليدي» «Traditional Arabic» (بنط ١٦ للمتن، و١٢ للحاشية) للنص العربي، وخط « Times New Roman» للنص الإنجليزي (بنط ١٤ للمتن، و١٢ للحاشية).
٦- أن لا يجاوزَ البحثُ عشرةَ آلافِ (١٠٠٠٠) كلمةٍ، (أي خمسين صفحةً بمعايير المجلة)؛ ولا يجاوزَ المقالُ أربعةَ آلافِ (٤٠٠٠) كلمةٍ، (أي عشرين صفحةً بمعايير المجلة).
٧- أن يكون البحث مشفوعًا بموجز للسيرة الذاتية للباحث، مع ملخَّص ثنائيّ اللغة (عربي وإنجليزي).
٨- تخضعُ البحوث الواردة للتحكيم العلميّ، وقبولُها مرهونٌ بالنظر في التعديلات المقترَحة.
٩- كلُّ رأي مقرونٍ بالدّليل أو النظر يسعُ المجلّةَ قبولُه، وما كان دون ذلك فمسؤوليته على قائله أو ناقله.

تُرسل البحوث باسم رئيس التحرير على عنوان المجمع، أو بريده الشبكي:
المملكة العربية السعودية - ص ب: ٦٥٥٩، مكة: ٢١٩٥٥.
هاتف وفاكس: ١٢٥٤٠٢٩٩٩ (+٩٦٦) — جوال: ٥٥٤٠٢١٩٩٩ (+٩٦٦).
E.M :m-a-arabia@hotmail.com WEB :www.m-a-arabia.com

رقم الإيداع ١٤٣٤/٧٢٢٢-تاريخ١٤٣٤/٧/١٩هـ-ردمك ١٦٥٨-٦٥٣٠.

مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

ثمن المجلة: في المملكة العربية السعودية والبلاد العربية (٢٥) ريالًا. وفي البلدان الأخرى: (٦) دولارات.

الاشتراكات السنوية للأعداد الثلاثة: للأفراد: (١٥٠) ريالًا في الداخل، أو (٥٠) دولارًا في الخارج.
للهيئات والمؤسسات والدوائر الحكومية: (٤٠٠) ريال في الداخل، أو (١٠٠) دولار في الخارج.

تُرسَل الاشتراكات بشيك بنكي باسم: **مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية**.

أو على رقم حساب المجمع بالبنك الأهلي: **SA57 1000 0000 6678 2000 0103**.

الهيئة الاستشارية

محتويات العدد

القسم الرابع: الملحقات

فاتحة العدد

يَأتي العددُ السادسَ عشرَ لمجلة مجمع اللغة العربيةِ على الشبكَة العالَمية، المُحكَّمَةِ، في زمنٍ تَشهدُ فيه اللغةُ العربيةُ تحدِّيًا شَرسًا، ودَفْعًا عَنيفًا، يفرضُ عليها أن تكونَ في مَقامِ المواجهةِ، والمُدافعةِ، وإثباتِ الذّات.

ولا سبيلَ إلى المواجهة الصحيحة النافعَة إلَّا بتثبيتِ القيمِ العلميّة الصّالحَة التي تُحافظُ على هذه اللغةِ، وتبحثُ في سُبُل حمايتِها وازدهارِها وتَطويرِها؛ فذلكَ أدْعى للمُحافظةِ عليها.

هذا، وقد ضمَّ العددُ بين دَفَّتيه قرارًا وتنبيهًا لغويّين، وخمسةَ بُحوثٍ متخصصة، في الاشتقاقِ، وبلاغةِ الإعجازِ، ومسألةِ الطبعِ والصنعةِ في النقدِ العربيِّ، والمنهجِ الرياضيِّ في عَروضِ الخَليلِ، ومظاهرَ مِن بلاغةِ شعرِ ابنِ الأبّارِ، كما اشتملَ على ثلاثةِ مقالاتٍ، في دراسة اللهجاتِ في الجامعاتِ السُّعوديةِ، وتحديدِ معاني المفرداتِ في معاجمِ غريبِ الحديثِ، والتحكيمِ العلميِّ للترقيةِ أو للنشرِ: مشكلاتِه وحلولِه.

ولا تثريبَ على المجلة إن حافَظَتْ على بعضِ الصرامَة في التماسِ مَقاييسِ الجودةِ العلميّة شرطًا من شُروطِ نشرِ البُحوثِ والمقالاتِ؛ فذلك أدْعى للمُحافظةِ على سَمْتِها ورونقِها وإخلاصِها للقصدِ الأوّلِ

الذي اختطَّه المَجمعُ لها منذُ أوّلِ عَهدِها، وهو الجَمعُ بين الجودَةِ والتيسيرِ، والحرصُ على إظهارِ ثراءِ العربيّة، وكثرةِ وجوهِ التعبيرِ فيها.

ويتجدّدُ الشكرُ عند كلِّ إصدارٍ لفريقِ المجمعِ من الباحثين والفاحصِين والمستشارين وهيئةِ التحريرِ والداعِمين، بل لكلِّ مَن رأى رأيًا أو قدَّمَ نَفْعًا أو أسدَى نُصحًا، من قريبٍ أو بَعيدٍ.

واللهُ سُبحانه وتَعالى المُوفِّقُ للصوابِ، وصلَّى الله على محمّد وآلِه وصحبِه أجمعين.

عضو الهيئة الاستشارية بالمجلة

أ.د. عبدالرحمن بودرع

القسم الأول:

القرارات والتنبيهات

القرار الخامس عشر للمجمع[1]:
استعمال لفظة «الشباب» جمعا للذكور والإناث

الحمدُ للهِ وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على من لا نبيَّ بعدَه. أمّا بعدُ:

فإنَّ مجمعَ اللغةِ العربيةِ بمكةَ المكرمةِ نظرَ في الموضوعِ المقدَّمِ إليه بشأنِ دلالةِ لفظةِ «الشبابِ»، وإطلاقِها على جمعِ الذكورِ والإناثِ. وبعدَ عرضِ الموضوعِ على المجلسِ العلميِّ ومناقشتِه، ثم على أعضاءِ المجمعِ ومناقشتِه، انتهى إلى الآتي:

- لفظُ «الشبابِ» يُطلقُ، ويُرادُ به مصدرُ الفعلِ «شبَّ يَشِبُّ»؛ فيكونُ معناه الفتاءَ، وحداثةَ السِّنِّ. كما يُطلَقُ على جمعِ الذكورِ مِنَ الفتيانِ، ويجوزُ دخولُ الإناثِ مَعهم تغليبًا.. وهذا ما لا خِلافَ فيه.

- لمْ يُنقَلْ في المأثورِ اللُّغويِّ سماعٌ أوْ قياسٌ يُؤيِّدُ صحةَ إطلاقِ لفظِ «الشبابِ» على الإناثِ خاصَّةً؛ إلَّا على وجهٍ بعيدٍ.

وعلى هذا؛ فإنَّ المجمعَ يَرَى أن لفظَ «الشبابِ» وصفٌ خاصٌّ بالذكورِ، ويجوزُ إطلاقُه على الذكورِ والإناثِ مجتمعَين على سبيلِ

(١) لمطالعة حيثيّات القرار، يرجى مراجعة الرابط:
http://www.m-a-arabia.com/site/23009.html

التغليبِ اتفاقًا، ولا يجوزُ إطلاقُه على الإناثِ خاصةً، إلا على قولٍ مرجوحٍ لا نختارُه..

- يُوصِي المجمعُ بمراعاةِ قوانين اللغةِ في استعمالِ الألفاظِ والأساليبِ، وإيثارِ المشهورِ مِن الأقوالِ والآراءِ على الضعيفِ المرجوحِ.

- يُؤكِّدُ المجمعُ أنَّ قرارَه هذا -وإنْ لم يخرجْ عن المألوفِ المشهورِ في اللغةِ- جاءَ جوابًا عن سؤالٍ متكرِّرٍ في موضوعِ القرارِ، فكان لِزامًا عليه بيانُ الصوابِ فيه، قبلَ أنْ يتصدّى لذلك مَن لا يُحسِنُه، والبيانُ لا يُؤخَّرُ عن وقتِ الحاجةِ.

والله الموفِّقُ والهادي إلى سواءِ السبيلِ، وصلى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم.

التنبيه الحادي والعشرون

ثمرٌ فِجٌّ لا فَجٌّ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وعلى آلِه وصحبِه ومَن والاه، وبعدُ:

مِنَ الأخطاءِ الشائعةِ في ضبطِ الألفاظِ قولُهم لِما لم يَنضَجْ من الفاكهةِ: فَجٌّ (بفتحِ الفاءِ)، والصوابُ: فِجٌّ (بكسرِ الفاءِ)، وأمّا بالفتحِ فهو الفُرجةُ بين الجبَلين.

وإنَّ المجمعَ -إذْ ينبّهُ على ذلك- لَيدعُو الدارسين والمختصِّين إلى العنايةِ بالألفاظِ ضبطًا وتحريرًا؛ صيانةً للعربيّةِ عن التشويهِ والتحريفِ..

واللهُ الموفِّقُ والهادي إلى سَواء السَّبيلِ، وصلَّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّمَ.

القسم الثاني:

البحوث

(١)

الدلالة الاشتقاقية في ضوء مقولتي الذات والحدث

د. عبدالله سعد بن فارس الحقباني

- رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب- جامعة الملك فيصل.
- أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، بكلية الآداب -جامعة الملك فيصل.
- حاصل على الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية - اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب، من قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة الملك سعود، عام ١٤٣٣هـ.

الدلالة الاشتقاقية في ضوء مقولتي الذات والحدث

الملخّص

الدلالة موضوع حيويّ من موضوعات علم اللغة شغل القدماء وما انفكّ يشغل المعاصرين، ولعلّ سرّ أهميته وأسباب تواصل الاهتمام به تكمن في صعوبة السيطرة عليه بسبب تفلّت المعنى واستعصائه على الوصف وعدم قابليته للشكلنة. ولكن مع ذلك فإنّ علم الدلالة الحديث نشأ وتطوّر وهو يحاول الإمساك بقوانين الدلالة وأسرارها.

وفي هذا السياق يتنزّل البحث في الدلالة الاشتقاقية للغة العربية، فهو محاولة لاستقصاء المنطق الدلالي الكامن في النظام الاشتقاقي، في ضوء فرضية تحتمل أنّ تنوّع المشتقات الاسمية والفعلية في اللغة العربية، لا يمكن أن يكون مجرّد اختلاف شكلي في صيغ الكلمات وأوزانها، وإنّما هو محكوم بأصول دلالية يمكن أن تفسّر نظام الاشتقاق وتبرز وظائفه.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية – الدلالة – الاشتقاق – الذات – الحدث.

Abstract

lively topic in linguistics among the old and the contemporary alike. The importance of this lively topic probably lies in the difficulty to control and describe meaning and its conformity to form. Nevertheless ،modern semantics has grown and evolved attempting to grasp command over the laws and secrets of meaning.

In this context ،research the derivational semantics in the Arabic language becomes evident. It is an attempt to investigate the semantic logic that lies in derivational semantics in light of a hypothesis that suggests that the variation in nominal and verbal derivations in Arabic cannot only be due to a difference in form alone ،but is rather governed by semantic rules that could interpret the derivational system and illustrate its functions.

تمهيد

بدأ بحث الإنسان في اللغة عمومًا وعلم الدلالة خصوصًا منذ أقدم العصور، وتنوّعت مشارب الدارسين عند الأمم السابقة مثل: الهنود والسومريين والأكاديين والصينيين والفينيقيين والإغريق والعرب وغيرهم في تناول هذه الظاهرة، فنجد الهنود قد اهتموا اهتماما كبيرا منذ وقت مبكر بالمسائل الدلالية في اللغة الهندية (السنسكريتية) من أجل فهم كتابهم المقدس (الفيدا)؛ لأنهم يعتقدون أن هذه اللغة هي لغة إلههم المقدس (إندورا) الذي يتعبدون به، فناقشوا مسائل دلالية ذات قيمة علمية كبيرة مثل: علاقة الكلمة بمدلولها، والسياق ودوره في إيضاح المعنى، والمشترك اللفظي والترادف وغيرها[1].

بينما اتّخذ هذا البحث منحى فلسفيًّا عند حكماء اليونان كأفلاطون وأرسطو فربطوا بين اللفظ ومدلوله، وجعلوا ذلك مرتبطا بسلوك الإنسان فلا تحضر الصورة إلى الذهن إلا حين النطق باللفظ الدال عليها؛ لذلك ميزوا بين ثلاث مسائل مرتبطة بعضها ببعض هي: الأشياء في العالم الخارجي، والتصورات وهي: (المعنى)، والأصوات وهي: الكلمات أو الألفاظ.

---

(١) انظر: أحمد مؤمن، ٢٠٠٢، اللسانيات النشأة والتطور ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص١٢. وأحمد مختار عمر، ٢٠٠٥، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ص ١٨-٢٠.

وغلبت القضايا النحويّة والبلاغية على علماء الرومان[1]، وتوسّع العرب في البحث الدلالي واهتموا به اهتماما كبيرا من أجل فهم الخطاب القرآني، وبيان إعجازه، وتفسير غريبه، واستخلاص أحكامه الشرعية. وأبرز هؤلاء العلماء: الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه(العين)، والجاحظ في كتابه (البيان والتبيين)، وابن جني في كتابه(الخصائص)، وابن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه العربية ومسائلها وسنن العرب وكلامها)، والثعالبي، وعبد القاهر الجرجاني، والقرطاجني، والسيوطي وغيرهم[2].

لقد زخر التراث العربي بمصنّفات بلغت درجة عالية من الإتقان والتعمّق في استكناه أسرار اللغة بمستوياتها الأربعة: الصوتي، والصرفي والتركيبي، والدلالي.

وبظهور اللسانيات في العصر الحديث ازدادت المعارف اللغوية تنوّعا وتفرّعا، وقد غلب على الدراسات اللسانية في البداية المنهج الوصفيّ، بوصفه شرطا للدراسة الموضوعية يضمن تجاوز النزعة المعيارية التي غلبت على النحو القديم، كما استبدلت اللسانيات الدراسة الآنية بالمنحى التاريخي الذي كان سائدا مع فقه اللغة التي تروم الوقوف على نظام اللغة وفهم قوانين اشتغالها.

---

(١) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ١٧-١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠-٢١

لقد فرضت التوجهات المنهجية الجديدة في البداية على اللسانيات الاقتصار على دراسة الجانب الشكلي في اللغة واستبعاد المعنى لعدم قابليته للوصف الموضوعي، ولكنّ تهيّب المعنى واستبعاده لم يدم طويلا، فسرعان ما انفتح اللسانيون بعد فردينان دي سوسير على هذا المجال المغري والمحفوف بالإشكالات، فتراكمت المجهودات في هذا المجال وتنوّعت مشارب علماء اللسان في دراسة المعنى بداية من التداولية ووصولا إلى العرفانية.

وفي خضمّ الانفتاح على المعنى ومحاولة إخضاعه للدراسة والتفسير نشأ علم الدلالة وأطلق على هذا العلم في الغرب مصطلح (Semantics) وقد ترجم هذا المصطلح إلى اللغة العربية باستخدام مقابلين هما السيميائية وعلم الدلالة. ويتحدّد موضوع هذا العلم في دراسة ما يتصل باللغة من دلالات وما يطرأ على تلك الدلالات من تحوّلات أثناء الاستعمال. وتختلف المداخل في علم الدلالة باختلاف زوايا النظر وطرق الدراسة من البحث في اللفظ المفرد في المعجم إلى البحث في التراكيب والاستعمالات، ومن دراسة الدلالات الأصلية التي تنشأ بالاصطلاح إلى دراسة الدلالات الفرعية التي تحدث بحكم الاشتقاق أو السياق والاستعمال.

ولعلّه من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ علم الدلالة الحديث قد أعاد عقد الصلة بين الدراسة اللغوية والدراسة الأدبية؛ إذْ إنَّ علماء

الدلالة لم يقتصروا على البحث في اللغة المستعملة في التواصل، بل انفتحوا كذلك على دراسة اللغة الأدبية، وحاولوا استثمار مقولات السيميائية وآلياتها في استنطاق ما تزخر به نصوص الأدب من رموز ودلالات، لا يمكن إدراكها إلا بممارسة ضروب من التحليل والتأويل.

ويشغلنا في هذا البحث محاولة استخراج مقولات دلالية من التراث النحوي العربي وبيان كفاءتها الإجرائية في تفسير الدلالة الاشتقاقية، ولكن قبل ذلك يحسن أن نقدّم أبرز مجهودات الدارسين في تأصيل علم الدلالة وشرحه والتعريف به وتوظيف مبادئه ومقولاته، لنتمكّن بذلك من إدراج هذه المحاولة في سياقها من البحث العلمي المعاصر في قضايا الدلالة.

١ - مجهودات الدارسين العرب في علم الدلالة

انشغل علماء اللغة العرب بالبحث في قضايا الدلالة، وتنوّعت إسهاماتهم في هذا المجال، فمنهم من اهتمّ بتعريب أهمّ المصنفات الغربية المتعلقة بالبحث الدلالي، نذكر على سبيل التمثيل ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرين سنة ١٩٨٠ الفصلين التاسع والعاشر من كتاب «مقدمة في علم اللغة النظري» لجون لاينز الصادر سنة ١٩٦٨ وقد

نشر هذان الفصلان تحت عنوان جامع هو «علم الدلالة»[1]، كما ترجم الماشطة كتاب «علم الدلالة» للكاتب آف آر بالمر، وهو كتاب ألفه صاحبه سنة ١٩٨١ ونقله المترجم إلى العربية سنة ١٩٨٥. ويستمدّ هذا المؤلف أهميته من كونه يتضمّن مادة علمية غزيرة ومبسطة في التعريف بمصطلحات علم الدلالة وتقريب مفاهيمه وشرح اتجاهاته وعلاقاته بسائر العلوم مثل اللسانيات والنحو والمنطق[2].

وبفضل المجهودات المبذولة في الترجمة تعرّف الدارسون العرب على مبادئ علم الدلالة ونظرياته عند الغربيين، فحَفَزَهم ذلك على إجراء الدراسات المقارنة قصد تأصيل هذا العلم وإبراز ما توصّل إليه اللغويون والنحاة القدماء من إنجازات نظرية وتطبيقية لا تقلّ قيمة عمّا توصلت إليه الدراسات الغربية الحديثة. فمن هذا القبيل يمكن أن نذكر الدراسة التي أجراها منقور عبد الجليل بعنوان «علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي». وقد خصّص الباحث الباب الأوّل للتعريف بعلم الدلالة الحديث واستعراض نظرياته مثل النظرية الإشارية والتصورية والسلوكية والسياقية والتحليلية والتوليدية، ثمّ ركّز في الباب

(١) جون لا ينز، ١٩٦٨، علم الدلالة، الفصلان التاسع والعاشر من كتاب: مقدمة في علم اللغة النظري، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسن باقر، ١٩٨٠، بغداد، كلية الآداب جامعة البصرة.

(٢) أف آر بالمر، ١٩٨١، علم الدلالة، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة، ١٩٨٥، بغداد، الجامعة المستنصرية، مطبعة العمال المركزية.

الثاني على إبراز جهود العرب القدامى في الدراسات الدلالية أمثال الشافعي والجاحظ وابن جني وابن سينا وعبد القاهر الجرجاني والآمدي[١]. وقد تعدّدت الأعمال المندرجة في سياق تأصيل علم الدلالة وغلب عليها منحى المقارنة بين القدماء والمعاصرين[٢].

ولم تتوقّف مجهودات الدارسين العرب على الترجمة والمقارنة بل امتدّت إلى المحاولات التطبيقية التي تهدف إلى توظيف علم الدلالة في دراسة القضايا اللغوية أو تحليل النصوص الأدبية. ففي مجال اللغويات ركّز محمد علي الخولي مثلا على التمييز بين المعنى والدلالة، وتناول بالتحليل أصناف المعاني، وميّز بين وجوه التشابه مثل التناظر والترادف والانضواء والاستلزام ووجوه الاختلاف مثل أنواع التضاد والتناقض، كما اهتمّ بدراسة الحقول الدلالية فحدّد مفهوم الحقل الدلالي وصنّف أنواعه، ودرس العلاقات القائمة بينها[٣].

---

(١) منقور عبد الجليل، ٢٠٠١، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي دراسة، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

(٢) انظر مثلا: عادل فاخوري، ١٩٩٤، علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر. وفايز الداية، ١٩٩٦، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دمشق / بيروت: دار الفكر / دار الفكر المعاصر.

(٣) محمد علي الخولي، ٢٠٠١، علم الدلالة (علم المعنى)، الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع.

أمّا في مجال الدراسات الأدبية فقد وجد النقاد في مقولات المنهج السيميائي المنسوب إلى عالم السيميائيات الأمريكي شارل أندرس بورس خير معين لدراسة النصوص الأدبية القديمة والحديثة دراسة دلالية تأويلية، تحاول النفاذ إلى خبايا الدلالة في النصوص الأدبية. ويكفي أن نذكر في هذا الصدد، على سبيل التمثيل لا الحصر، دراسات الناقدين عبد الملك مرتاض وصلاح فضل في التحليل السيميائي للنصوص الشعرية[١]، كما استفاد النقاد أيضا من مجهودات قريماس وحاولوا توظيفها في دراسة النصوص السردية وتحليلها[٢].

إنّ الدراسات التي اهتمّ أصحابها بعلم الدلالة، وما ذكرناه منها قليل من كثير، تدلّ على أنّ الاهتمام بعلم الدلالة، سواء أكان ذلك بالترجمة أو بالتأليف، يمثّل مشغلا من أهمّ المشاغل في الدراسات اللغوية والنقدية المعاصرة، فقد وجد الدارسون في مكتسبات هذا العلم مفاهيم نظرية وآليات إجرائية تساعد على تعميق الفهم بالظاهرة اللغوية، وتفتح مسالك جديدة لدراستها والبحث في قضاياها. وفي هذا السياق يندرج

(١) انظر مثلا: عبد الملك مرتاض، ٢٠٠١، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، الجزائر: دار الكتاب العربي؛ وصلاح فضل، ١٩٩٦، مناهج النقد المعاصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) انظر مثلا: عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردي، دراسة لحكايات من «ألف ليلة وليلة» و«كليلة ودمنة»، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، (د-ت).

هذا البحث فهو مواصلة لجهود الدارسين ومحاولة لاستكشاف ما يقوم عليه نظام الاشتقاق في اللغة العربية من أسس دلالية يمكن في ضوئها أن نفسّر تعدّد المشتقات الاسمية والفعلية وتنوّعها. فالقوالب والصيغ الصرفية التي تعتمدها اللغة العربية لم يكن استخدامها، في نظرنا، مسألة اعتباطية بل كانت مرتبطة بتوليد الدلالة والتعبير عن المعنى.

وسنعتمد في استقراء دلالات نظام الاشتقاق في اللغة العربية على استقراء ما ورد في مصنفات النحويين القدماء من تفسير لظاهرة الاشتقاق وللمقولات التي تعبّر عنها. إذ نجد في مدوّنة علم النحو عند القدماء إضاءات يمكن أن يقود التدبّر فيها إلى الوقوف على صنف من أصناف الدلالة نصطلح عليه بالدلالة الاشتقاقية.

٢-المقولات الاشتقاقية والوحدات الدالة: الذات/ الحدث

الاشتقاق في اللغة: هو أخذ شقّ الشيء، والأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينًا وشمالًا[١]. وفي المعجم الوسيط: «الاشتقاق في علوم العربية صوغ كلمة من أخرى على حسب قوانين الصرف»[٢].

---

(١) أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ١٩٩٨، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ج١، ص١١٧.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون، (د-ت)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة: ١/ ٤٨٩.

وفي الاصطلاح: هو اقتطاع فرع من أصل يدور في تصريفه حروف ذلك الأصل[1]. وقال صاحب «كشاف اصطلاحات الفنون»: «الاشتقاق... عند أهل العربية يحد تارة باعتبار العلم، كما قال الميداني: هو أن تجد بين اللفظين تناسبًا في أصل المعنى والتركيب، فترد أحدهما إلى الآخر، فالمردود مشتقّ، والمردود إليه مشتق منه. وتارة باعتبار العمل كما يقال: هو أن تأخذ من اللفظ ما يناسبه في التركيب فتجعله دالًّا على معنى يناسب معناه، فالمأخوذ مشتقّ، والمأخوذ منه مشتق منه»[2]. وورد في «التعريفات» أنّ الاشتقاق هو: «نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبًا ومغايرتهما صيغةً»[3].

والاشتقاق في العربية أربعة أنواع: الاشتقاق الصغير، والاشتقاق الكبير، والاشتقاق الأكبر، والاشتقاق الكُبَّار. والاشتقاق الصغير أو الأصغر كما سماه ابن جني في الخصائص[4]: «هو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من

(١) انظر: الكليات، فصل الشين والألف، ج١، ص١١٧.

(٢) محمد بن علي التهانوي، ١٩٩٦، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ج١، ص٢٠٦.

(٣) الشريف الجرجاني، ١٩٨٣، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ص٢٧.

(٤) أبو الفتح عثمان بن جني، ١٩٩٣م، الخصائص، تحقيق محمد النجار، دار الكتب المصرية، ج٢، ص١٣٤.

ضَرَبَ وحَذِرٍ من حَذِرَ».[1]وهذا النوع من أكثر أنواع الاشتقاق ورودًا، وهو المراد عند إطلاق الاشتقاق.

وقد اختلف العلماء في أصل المشتقات، فذهب البصريون إلى أن أصل المشتقات المصدر، وذهب الكوفيون إلى أن الأصل الفعل، ولكلّ فريق حجّته وأدلّته[2]. وذهب بعضهم إلى أن كلًّا من الفعل والمصدر أصل قائم بنفسه، وليس أحدهما أصلًا للآخر[3]. وذهب قوم إلى أن المصدر أصل للفعل، وأن الفعل أصل للمشتقات[4]. ويرى تمّام حسان أن الجذر اللغوي هو أصل المشتقات[5].

والذات والحدث مقولتان دلاليتان أساسيتان تدخلان في تكوين الأفعال والأسماء. فالأفعال تفيد الأحداث على نحو مخصوص؛ إذْ تدل الأفعال على الحدث ومظهر الحدث من حيث الانقطاع والانقضاء

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ١٩٩٨، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ج١، ص٢٧٥.

(٢) أبو البركات، كمال الدين الأنباري، ٢٠٠٣، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين المكتبة العصرية ط ١، ج١، ص١٩٠.

(٣) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن المصري، ١٩٨٠، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار مصر للطباعة، ط ٢٠، ج٢، ص١٧١.

(٤) انظر: أبو الحسن نور الدين الأُشْمُوني، ١٩٩٨، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج١، ص٤٦٨، وشرح ابن عقيل، ج٢، ص١٧٢.

(٥) تمام حسان، ١٩٩٠، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص١٨٢.

أو الدوام والاستمرار، أما الأسماء فقد تفيد الذوات منفصلة عن الأحداث مثل (رجل وامرأة وإنسان وأسد وثور) وقد تفيد الذوات مقترنة بالأحداث وتلك هي الصفات لما جاء في شرح المفصل لابن يعيش: «ولو كانت المصادر مشتقة من الأفعال لدلت على ما في الأفعال من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وذات الفاعل»(١).

وجاء في المحصول لفخر الدين الرازي: «ثم الاسم تقسيمه من وجهين: الأول أن الاسم إذا كان اسما للجزئي فإن كان مضمرًا فهو من المضمرات. وإن كان مظهرًا فهو العلم، وإن كان للكلي فهو إما أن يكون اسما للماهية نفسها كلفظ السواد وهو المسمى باسم الجنس في اصطلاح النحاة أو لموصوفية أمر ما بصفة وهو الاسم المشتق كلفظ الضارب، فإن مفهومه أنه شيء ما مجهول بحسب دلالة هذا اللفظ عليه لكن علم منه أنه موصوف بصفة الضرب»(٢).

وجاء في شرح المفصل: «والفرق بين الصفة وغير الصفة من جهة المعنى أن الصفة تدل على ذات وصفة، نحو: أسود مثلا، فهذه الكلمة

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، (د-ت) ج١، ص ١١٠.
(٢) فخر الدين الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة (د-ت)، مجلد١، ص٧٩.

تدل على شيئين أحدهما ذات والآخر السواد»[1]. وقد تفيد الأسماء مطلق الحدث وتلك هي المصادر.

- الفعل: يدلّ على الحدث، والمظهر الزماني (الديمومة- الانقضاء).
- الاسم: ← اسم جامد: يدلّ على الذات (رجل، امرأة، طاولة).
  ← اسم مشتق
    ← مصدر: يدلّ على مطلق الحدث.
    ← صفة: تدلّ على الحدث والذات.
    ← غير مصدر وغير صفة: تدلّ على الحدث والذات أو الحدث والمكان أو الحدث والزمان.

وبناء عليه يتّضح إذن أنّ:

والفرق بين الحدث والذات أن الذات مفهوم يطلق على كل موجود ثابت في الزمان. أما الحدث فيطلق على معانٍ ومصادر أقل دوامًا واستمرار؛ فالتقابل بينهما تقابل مظهري أساسًا. وتسمى الذات عينًا وشخصًا وجثة، ويسمى الحدث معنًى وفعلًا.

جاء في شرح المفصّل لابن يعيش: «والمبتدأ أيضًا على ضربين: جثة وحدث. فالجثة ما كان شخصًا مرئيًّا والحدث ما كان معنًى نحو المصادر مثل العلم والقدرة»[2].

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ج١، ص٢٦.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصّل، ج١، ص٨٩.

وجاء أيضا في بيان الفرق بين الذات والحدث قوله: «لأن الأحداث ليست أمورًا ثابتة موجودة في كل الأحيان بل هي أعراض منقضية تحدث في وقت دون وقت. وأما الجثث فأشخاص ثابتة موجودة في الأعيان كلها لا اختصاص لحلولها بزمان دون زمان إذا كانت موجودة في جميع الأزمنة»(١).

وينقسم الحدث في العربية إلى أجناس هي:

- العمل (ضرب، خرج).
- الحالة (فرح، حزن).
- الصفة (عظم، كبر).

٣-ما تدل عليه المشتقات من المقولات:

الدلالة الاشتقاقية هي الدلالة المستفادة من الصيغ الاشتقاقية المجردة أي من أوزان الصيغ المحققة لمقولات صرفية دون اعتبار الجذور التي تتحقّق على تلك الأوزان، وتنقسم المشتقات إلى مشتقات اسمية ومشتقات فعلية(٢).

أ-المشتقات الاسمية: تنقسم الأسماء الدالة بالاشتقاق إلى مصادر، وصفات، وأسماء غير مصادر وصفات.

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصّل، ج١، ص٩٠.

(٢) الأُشْمُوني، ١٩٩٨، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج١، ص١٨٧.

* **المصادر**: وهي في العربية خمسة أصناف:

١-المصدر الأصلي: «هو ما دل على معنى مجرد، ليس مبدوءًا بميم زائدة، ولا مختوما بياء مشددة زائدة، بعدها تاء تأنيث مربوطة»[1]، وهو مشتق يفيد مطلق الحدث خلافًا للفعل الذي يعين بصيغته الحدث ويشير إلى انقضائه أو عدم انقضائه. وقد يكون الحدث الذي يعبر عنه المصدر:

- عملا (دخول، صهيل).
- أو حالة (سعادة، حزن).
- أو صفة (شرف، مجد، كبر، ضخامة).

والمصادر الثلاثية المزيدة والرباعية قياسية. أما مصادر الثلاثي المجرد فسماعية والمدار في معرفتها على كتب اللغة (المعاجم)، غير أنه قد توجد علاقة بين نوع الحدث الذي يدل عليه المصدر وبين بنائه (أي الوزن الذي يتحقّق عليه) فالغالب أن يدلّ:

* **فِعَالَةٌ** على حرفة؛ نحو: زِراعة، صِناعة، تِجارة، حِدادة، جِزارة، وِزارة، وِلاية، كِتابة.

* **فَعَلَانٌ** على حركة أو اضطراب؛ نحو: غَلَيَان، جَوَلَان، خَفَقَان، دَوَرَان، طَوَفَان، سَيَلَان.

(١) عباس حسن، (د-ت)، النحو الوافي، دار المعارف، ج٣، ص١٨١.

* **فُعَالٌ** على داءٍ؛ نحو: صُدَاع، زُكَام، دُوَام، دوار الرأس، أو صوت مثل صُرَاخ، ثُغَاء، خُوَار، نُبَاح.

* **فَعِيلٌ** على صوت؛ نحو: نعيق، زئير، فحيح.

* **فُعْلَةٌ** على لون؛ نحو: صفرة، حمرة، زرقة.

* **فِعَالٌ** على امتناع؛ نحو: إِبَاء، شِرَاد، جِمَاح.

٢-اسم المصدر: «هو ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه، وخالفه بخلوه لفظا وتقديرا من بعض حروف عامله-الفعل أو غيره- دون تعويض»[(١)]، وهو صيغة تفيد مطلق الحدث لكنها تتميز عن المصدر الأصلي من الناحية الصرفية الإعرابية؛ إذ إنها تتعلق في الغالب بأفعال ثلاثية مجردة غير مستعملة، وتتعلق في السياق التركيبي بأفعال مزيدة مشتقة من الجذور نفسها، وتنتمي إلى العائلة الدلالية نفسها، غير أنّها تخرج عن القواعد القياسية في صياغة المصادر من المزيد. ومن أمثلتها: كلمتُه كلامًا حسنا، وحدثته حديثًا مقنعا وأعنتُه عونًا.

قال ابن يعيش: «واعلم أنهم قد اختلفوا في لفظ الكلام، فذهب قومٌ إلى أنه مصدر وفعله(كلّمَ) جاء محذوف الزوائد [أي حروف الزيادة] ومثله سلّم سلامًا وأعطى عطاءً. قالوا: والذي يدل على أنه مصدر أنّك تعمله فتقول: عَجِبْتُ من كَلامك زيدًا، فإعمالك إياه في زيد دليل على

(١) النحو الوافي، ج٣، ص٢٠٩.

أنه مصدر إذ لو كان اسما [أي جامدًا] لم يجز إعمالُهُ وقد أُعْمِل، قال الشاعر:

وبَعْـدَ عَطَائِـكَ المئـةَ الرِّتاعَـا[1]

فأعمل (عطاء) في (المئة).

وذهب الأكثرون إلى أنه اسم للمصدر وذلك أن فِعْلَه الجاري عليه لا يخلو من أن يكون (كَلّمَ) مضاعف العين مثل سَلَّمَ أو تَكَلّمَ، ف(كَلّمَ) فعل ثلاثي مصدره على التفعيل، و(تَكَلّمَ) مثل (تَفَعّلَ)، يأتي مصدره على التفعّل فثبت أنّ الكلام اسم للمصدر. والمصدر الحقيقي التكليم والتسليم، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[2]، وقال: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[3]. والكلام والسلام اسم للمصدر»[4]. يتّضح مما ورد في كلام ابن يعيش أنّ:

(١) هذا عجز بيت وصدره قوله: أكفرا بعد رد الموت عني؟ البيت من قصيدة قالها الشاعر في مدح زفر بن الحارث الكلابي الذي أطلقه بعد أن كان أسيرا ووهبه مائة من الإبل، ورد عليه ماله. والشاهد: «عطائك المائة»؛ حيث أعمل اسم المصدر (عطاء) عمل الفعل، فنصب به المفعول (المئة) بعد إضافته لفاعله. والمئة الرتاعا: أراد النوق التي ترعى حيث شاءت فتكون سمينة. ينظر شرح المفصل، ج١، ص٢٠.

(٢) النساء، آية: ١٦٤.

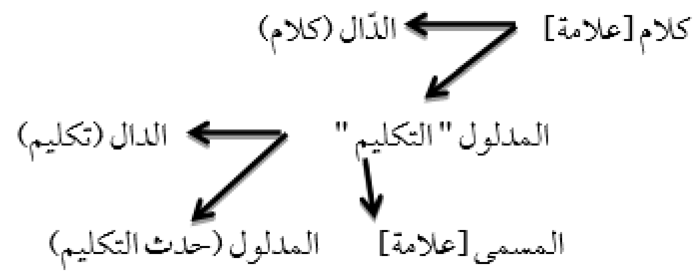
(٣) النساء، آية: ٥٦.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصّل ج١، ص٢٠.

- معنى كون الكلام مصدرًا أنه اسم للحدث أي صيغة حرفية اشتقاقية تدل على الحدث وهي صيغة متعلقة بالمزيد (كلّم) وقد حذفت منها حروف الزيادة. وهي صيغة مجرّدة متعلقة بفعل مزيد.

-حجة أصحاب الرأي القائل بأن الكلام مصدر حجة إعرابية تركيبية شكلية مفادها أن هذه اللفظة تعمل في الاسم عمل الفعل وهي لم تعمل في الاسم؛ إلا لأن لها دلالة الفعل [الجامد] الذي لا يعمل، وسبب عدم عمله خلوّه من معنى الفعل أي من الدلالة على الحدث.

- معنى كون الكلام اسما للمصدر أنه اسم لاسم الحدث؛ لأنّ المصدر اسم للحدث فهو لفظ لا يحيل مباشرة على موجود خارجي بل يحيل على لفظ آخر، وهو اسم يسمّى اسمًا آخر أي أنه اسم يرتبط بمسماه بمقتضى علاقة من درجة ثانية على هذا النحو:



ومع ذلك فإن فائدة اسم المصدر والمصدر الحقيقي الذي هو مسمى اسم المصدر واحدة «لأنه لا يمتنع أن يفيد اسم الشي ء ما يفيده مسماه».

ومن أسماء المصادر **الحرفة** اسم من الاحتراف، والشدّة اسم من الاشتداد، والطاعة اسم من أطاع، والشورى اسم من التشاور، والنزهة اسم من التنزه، والعطاء اسم من أعطى.

٣-المصدرالميمي: «هو ما يدل على معنى مجرد مبدوء بميم زائدة، وليس مختوما بياء مشددة زائدة، بعدها تاء تأنيث مربوطة»[١]، وهو مشتق يدلّ على مطلق الحدث ويصاغ قياسيًّا من الثلاثي على وزن من الأوزان التالية:

- **مَفْعَل**: نحو: مقتل، منام، مقال.
- **مَفْعَلَة**: نحو: مسلبة، مذهبة، مجلبة، محبّة.
- **مَفْعِلٌ**: إذا اتصل بمثال واوي مكسور العين في المضارع أو أجوف يائي؛ نحو: موعد، مورد، مقيل، مصيف، مجيء.
- **مَفْعِلَة**: نحو: معرفة، معيشة.

ويصاغ من المزيد على وزن اسم المفعول؛ نحو: مدخل من إدخال ومصطبر من اصطبار ومتنزه من تنزه، ومنتفع من انتفاع... قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾[٢].

---

(١) النحو الوافي، ج٣، ص١٨٦.

(٢) الإسراء، آية: ٨٠.

جاء في تفسير القرطبي: «والمدخل والمخرج (بضم الميم) بمعنى الإدخال والإخراج كقوله تعالي: ﴿أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا﴾[1] أي إنزالًا لا أرى فيه ما أكره، وهي قراءة العامّة. وقرأ الحسن وأبو العالية ونصر بن عاصم {مَدخل} و{مَخرج} بفتح الميمين بمعنى الدخول والخروج، فالأول رباعي وهذا ثلاثي»[2]. وفي تفسير الجلالين: أدخلني (المدينة) إدخالًا مرضيا لا أرى فيه ما أكره وأخرجني من مكة إخراجًا لا ألتفت بقلبي إليها. ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴾[3] ففي تفسير الجلالين بضمّ الميم وفتح الزّاي مصدر واسم مكان، وبفتح الميم وكسر الزاي مكان النزول. وفي تفسير القرطبي قراءة العامّة ﴿مُنزَلٗا﴾ بضمّ الميم وفتح الزّاي على المصدر الذي هو الإنزال، أي أنزلني إنزالًا مباركًا.

٤-**اسم المرّةِ**: مصدر يدلّ على وقوع الحدث مرَّة واحدة[4]. فيحقق مقولة الحدثية ومقولة الكمّية (أي عدد المرات التي وقع فيها الحدث) في صيغة واحدة.

---

(١) المؤمنون، آية: ٢٩.

(٢) القرطبي، ١٩٦٤، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط.٢، ج١٢، ص١٠٢.

(٣) المؤمنون، آية:٢٩.

(٤) النحو الوافي، ج٣، ص٢٢٥.

- يصاغ اسم المرّة من الثلاثي المجرّد على وزن **فَعْلَة**؛ نحو: ضربة، جلسة، طعنة.

- ومن الثلاثي المزيد بزيادة تاء إلى آخر المصدر القياسي؛ نحو: ابتسامة، التفاتة، انطلاقة.

وقد يثنى اسم المرّة ويجمع فيدل تصريفًا على وقوع الحدث أكثر من مرة.

٥-اسم الهيئة: مصدر يدلّ على هيئة الحدث ونوعه؛ فيحقق في صيغة واحدة مقولة الحدثية ومقولة الكيفية (كيفية وقوع الحدث)، أي: «يدل على المعنى المجرد مع وصفه بصفات مثل: الحسن أو القبح، والقصر أوالطول أو غير ذلك مما يدل على الهيئة أو الشكل أو الأوصاف»[(١)].

- يصاغ اسم الهيئة من الثلاثي المجرد على وزن **فِعْلَة** ولا يرد إلا مضافًا أو منعوتًا؛ نحو: وقف وقفة الأسد، ومشى مشية المختال.

- وليس لاسم الهيئة من المزيد صيغة اشتقاقية صرفية خاصة به.

* **الصفات**: تدل الصفات على الحدث والذات التي أسند إليها على سبيل الفاعلية النحوية.

١-اسم الفاعل: صيغة اشتقاقية تدلّ على الحدث وفاعل الحدث

(١) النحو الوافي:٣/ ٢٢٥

(الذات القائمة بالحدث عامة) فتحقق مقولتي الحدثية والفاعلية. ويتعلّق اسم الفاعل بالأفعال الدالة على الحدث عموما سواء كانت لازمة أم متعدية. ويعرّف ابن الحاجب اسم الفاعل بأنّه «ما اشتق من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث»، ويشرح الإستراباذي هذا التعريف بقوله: «الضمير في قوله: «لمن قام به» راجع إلى الفعل والقائم هو المصدر والحدث»[١]؛ ولهذا عرفه ابن هشام فقال: «هو ما دل على الحدث والحدوث وفاعله»[٢].

٢-**اسم المفعول**: صيغة تدل على الحدث والطرف (الذات) الواقع به الحدث فتحقق بذلك مقولتي الحدثية والمفعولية. يقول عبد القاهر الجرجاني: «واسم المفعول ما دلّ على من وقع عليه الفعل»[٣]. وعرفه المطرزي بأنه: «كل اسم اشتق لذات من وقع عليه الفعل »[٤].

(١) الإستراباذي، ١٩٩٦، شرح الكافية، تحقيق يحيى بشير مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، القسم الثاني، المجلد الأول، ص ٧٢١.

(٢) أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، ١٩٩٧، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المحقق: يوسف الشيخ محمد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج٣، ص١٨١.

(٣) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، المفتاح في الصرف، ١٩٨٧، حققه وقدم له: الدكتور علي توفيق الحَمَد، الرسالة – بيروت، ص ٥٩.

(٤) أبو الفتح المطرزي، (د-ت) المصباح في علم النحو، تحقيق وشرح وتعليق، عبد الحميد السيد طلب، مكتبة الشباب، القاهرة، ص ٧٢.

ويتعلق اسم المفعول بالأفعال التي تفيد العمل عادة سواء كان هذا العمل حسيًّا، نحو: مقتول، أو ذهنيًّا، نحو: معلوم ومفهوم. وقد يدل في أحيان قليلة على الحالات، مثل: مرهوب. ولا يتعلق اسم المفعول بالأفعال الدالة على الصفات الثابتة مثل: جَبُن وضَخُم. ومن الناحية النحوية يتعلق اسم المفعول بالأفعال المتعدية وقد يتعلق بالأفعال اللّازمة إذا عديت بحرف مثل: مَرْغُوبٌ فيه[1].

يقول الزمخشري: «ويعمل عمل الفعل تقول: زيد مضروبٌ غلامُهُ، ومُكرَمٌ جارُهُ، مُستخرَجٌ متاعُهُ، ومُدحرَجٌ بيده الحجر»[2].

٣-الصفة المشبهة: مشتقّ يدلّ على الحدث (صفة أو حالة)، فهي تحقّق مقولتي الحدثية والفاعلية، فهي «تدل على الحدث وصاحبه كما أن اسم الفاعل كذلك، فـ «حسن» معناه: ذو حسن، و«ضارب» معناه: ذو ضرب، لا فرق بينهما إلا من حيث دلالاتها على الثبوت، ودلالة اسم الفاعل على الحدوث»[3].

ونرى السخاوي يوضح الصفة المشبهة بذكر شيء من دلالاتها فيقول: «والصفة المشبهة بالفاعل هي الأوصاف التي تكون خصالًا أو

(١) النحو الوافي، ج٣، ص٢٧٥.
(٢) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، ١٩٩٣، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، ص ٢٩١.
(٣) أحمد حسن كحيل، ١٩٨٢، التبيان في تصريف الأسماء، (د-ط)، ص ٧٧-٧٦.

ألوانًا، أو خلقًا في الموصوفين، ولا تكون أعمالًا لهم، نحو: كريم وكريمة، ولئيم ولئيمة، وأحمر وحمراء، وأعرج وعرجاء»[1].

ولا تبنى الصفة المشبهة إلا من الفعل اللازم وتتصل بأفعال على وزن **فَعُل** في الماضي وعلى وزن **فَعِلَ** ما أفاد هذا الوزن الحالة أو الصفة. وتأتي على أوزان مختلفة يمكن أن تضبط إلى حدّ ما على النحو الآتي:

– إذا تعلقت الصفة المشبهة بفعل على وزن **فَعِل** في الماضي وأفادت حالة نفسية وشعورية فالأغلب أن تكون على وزن **فَعِلٌ** نحو: فرح، أو **فَعِيلٌ** نحو: حزين.

– إذا تعلقت بفعل على وزن **فَعِل** وأفادت لونًا أو عيبًا خلقيًّا أو حليةً (ما يرى من لون الإنسان وظاهره وهيئته) كانت على وزن **أَفْعَلُ** للمذكر و**فَعْلَاءُ** للمؤنث نحو: أخضر وخضراء في اللون، وأصلع وصلعاء في العيب، وأحور / حوراء في الحلية.

– إذا تعلقت بفعل على وزن **فَعِلَ** وأفادت الخلوّ أو الامتلاء الجسديين فإنها تكون على وزن **فَعْلانٌ** للمذكر و**فَعْلَى** للمؤنث نحو: عطشان وعطشى وغضبان وغضبى.

– أما الصفة المشبهة المتعلقة بأفعال على وزن **فَعُلَ** فتأتي على أوزان، أهمها: **فَعِيلٌ**: كريم و**فَعْلٌ**: ضَخْم وفُعْل: صُلْب وفَعَلٌ: حَسَن

(١) علم الدين السخاوي، ١٩٩٥، سفر السعادة وسفير الإفادة، تحقيق: محمد أحمد الدالي، دار صادر، ط ٢، ج٢، ص٦٠٣.

وفَعِلٌ: نَجِسٌ و**فَعَالٌ**: جَبَان وفُعَالٌ: شُجَاع وفَيْعِلٌ: سيّد، **وفَاعِلٌ**: سالم، طاهر، حامض، بائس، ضامر.

– أما من المزيد فتكون على وزن اسم الفاعل غالبًا ولا تشتق إلا من اللازم نحو: مستقيم، ومطمئن، محمر، محمار.

٤–**صيغة المبالغة**: اسم مشتق يدل على كثرة قيام الفاعل بالعمل أو شدّة اتصاف الموصوف بالصّفة، فهو يحقق مقولات الحدثية (العمل أو الصفة) والفاعلية (الذّات القائمة بالحدث) والكمّية (تكثير الحدث). والمبالغة تطلق على «الأبنية أو الصيغ التي تفيد التنصيص على التكثير في حدث اسم الفاعل كمًّا أو كيفًا، أي إنّها محولةٌ عن اسم الفاعل لجعله مفيدًا للزيادة في معناه بعد أن يكون لها وللقلة»[(١)]. لهذا يقول المبرد: «فإن أردت أن تكثر الفعل كان للتكثير أبنية، فمن ذلك «فعّال» تقول: رجلٌ قتّال. إذا كان يكثر القتل»[(٢)]. وصيغ المبالغة تبنى على أوزان عديدة[(٣)]، أهمها:

– **فَعَّالٌ**: حمّال (عمل)، وَضّاح (صفة).

– **فَعَّالَةٌ**: علّامة، غلّابة.

---

(١) محمد سمير نجيب اللبدي، ١٩٨٥، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، ص٢٥.

(٢) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، (د–ت)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ج٢، ص١١٣.

(٣) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، ج٢، ص ٢١٢وما بعدها.

- **مِفْعَالٌ**: مقدام، مفراح، مزواج.
- **فِعِّيلٌ**: صدّيق (صفة)، سكّير (حالة).
- **مِفْعِيلٌ**: منطيق ومعطير.
- **فُعَلَةٌ**: ضحكة، طلعة.
- **فَعِلٌ**: شره، حذر.
- **فَعِيلٌ**: سميع، رحيم.
- **فَعُولٌ**: صدوق، ودود.
- **فَاعِلَةٌ**: راوية.
- **فُعْلٌ**: غُفْل.
- **فَاعُولٌ**: جاسوس.

٥-**اسم التفضيل**: «هو الصفة الدالة على المشاركة والزيادة»[(١)].

وهو صيغة مشتقة تدل على تفوق شيء (ذات أو حدث) على آخر في صفة مشتركة بينهما، وهي تدل على حدث من جنس الصفات عادة وعلى شيء يكون ذاتًا أو حدثًا. فمحصل دلالة اسم التفضيل اللفظية هي الحدث الذي يكون صفة في الأغلب وذات المفضل وكمية الحدث (التفوق)، أما دلالة هذه الصيغة على المفضل عليه فدلالة عقلية (دلالة

(١) عبد الله بن يوسف جمال الدين ابن هشام، ١٣٨٣هـ، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط ١١، ص ٢٨٠.

لزوم) وليست دلالة لفظية وضعية. دليل ذلك أن اسم التفضيل من الصفات وإذا كان معرّفا فإنه يطابق المفضل في الجنس والعدد.

٦-**النسبة**: صيغة صرفية تدل على الذات وعلى حدث النسبة. جاء في شرح الشافية للإستراباذي: «واعلم أن علامة النسبة ياء مشددة في آخر الاسم المنسوب إليه يصير بسببها الاسم المركب منها ومن المنسوب إليه شيئا واحدًا منسوبًا إلى المجرد عنها، فيدل على ذات غير معينة موصوفة بصفة معينة وهي النسبة إلى المجرد عنها»[١].

ويمكن أن نعتبر صيغة النسبة مقولة اشتقاقية؛ لأنها تعبّر عن معنى سابق لتصريف الكلمة ومستقل عنها فصيغة النسبة تحتمل مختلف مقولات تصريف الاسم من تعيين وجنس وعدد ومحل إعرابي. لكنها تختلف عن أكثر المشتقات في طريقة اشتقاقها فهي لا تشتق من جذر بل تشتق من اسم متصل بجذر عادة بزيادة الياء المشددة وهي لاحقة تدل على النسبة دلالة اشتقاقية. وتدل هذه اللاحقة على معنى الحدث فهي بمعنى منسوب ومعزوّ. وبذلك تكون النسبة اشتقاقا من درجة ثانية. جاء في شرح المفصّل لابن يعيش: «فإن قيل: اشترطتم في الصفة أن تكون مأخوذة من فعل. فما بالك حكمت على بصري ومغربي بأنهما صفتان

(١) الإستراباذي، (د-ت)، شرح الشافية، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، بيروت: دار الكتب العلمية، ج٢، ص١٣.

وليسا من فعل؟ قيل: لما أضفتهما حدث فيهما معنى الفعل؛ لأنهما صارا في معنى منسوب أو معزوّ»[1].

ويعني ذلك أنّ اللاحقة (يّ) التي تصاغ منها النسبة تدلّ على:

← حدث النسبة أو العزو.

← الذات المنسوبة.

ويجدر التنبيه في هذا السياق إلى أن المصدر الصناعي ليس نوعا من الأسماء المشتقة المتضمنة معنى الحدث، فهو لا يدل على حدث وإنما يدل على مجموع الأمور المنسوبة إلى شيء ما، فاللسانيات تعني: المباحث المنسوبة إلى اللسان، والطبيعيات: تطلق على المباحث المعزوّة إلى الطبيعة، والإنسانية: تدلّ على الأمور المنسوبة إلى الإنسان. ولذلك يعامل المصدر الصناعي معاملة الاسم الجامد.

١-اسم الآلة: اسم يصاغ قياسا من المصدر الأصلي للفعل الثلاثي المتصرف بقصد الدلالة على الأداة التي تستخدم في إيجاد معنى ذلك المصدر[2]، وهو اسم مشتق يدل على الحدث والآلة التي أنجز بها

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ج١، ص١٢٢.

(٢) النحو الوافي ج٣، ٣٣٣.

الحدث فيحقق مقولتي الحدثية والآلية في صيغة واحدة. ولاسم الآلة ثلاثة أوزان أساسية[1]، هي:

- **مِفْعَلٌ**: مقص.
- **مِفْعَلَةٌ**: مكنسة.
- **مِفْعَالٌ**: مفتاح.

وقد أضاف مجمع اللغة العربية أوزانا تدل في أصل وضعها على الفاعلية (أوزان اسم الفاعل)، أو الفاعلية مع المبالغة (صيغ المبالغة) للدلالة على الآلة. ومن هذه الأوزان نذكر:

- **فَاعِلٌ**: هاتف.
- **مُفَعِّلٌ**: محرّك.
- **فَاعِلَةٌ**: حافلة وناسخة.
- **فَعَّالٌ**: جرّار.
- **فَعَّالَةٌ**: سيارة.
- **فَاعُولٌ**: ساطور.

٢-اسم المكان[2]: مشتق يدل على الحدث ومكان وقوعه فيحقق مقولتي الحدثية والمكانية في صيغتي: **مَفْعَل**: مسعى، ومَفْعِل: مجلِس.

(١) أحمد بن محمد الحملاوي، ١٩٧٥، شذا العرف في فن الصرف، قدم له وعلق عليه الدكتور محمد بن عبد المعطي، دار الكيان، ص١٣٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٣٣-١٣٤.

٣-اسم المكان التكثيري: صيغة موضوعة للدلالة على كثرة وجود الشيء في المكان، ويصاغ اسم المكان التكثيري قياسيا على وزن **مَفْعَلَةٌ** من الاسم الثلاثي المجرّد، نحو: مأبلة أي مكان تكثر فيه الإبل، ومفعاة أي مكان تكثر فيه الأفاعي، ومسبعة أي مكان تكثر فيه السباع.

وقد يدل اسم المكان التكثيري على كثرة وقوع الحدث في المكان، نحو: مدرسة، ومجزرة، ومتيهة أي: الأرض تضل الناس كثيرا.

٤-اسم الزمان(١): مشتق يدل على الحدث وزمان وقوعه فيتحقق فيه مقولتا الحدثية والزمانية كما في قولك: مغيب، مشرق.

٥-صيغة التصغير: أو التقليل، وهي صيغة تدلّ على معنى الصغر بالإضافة إلى دلالتها على الذات التي يدلّ عليها الاسم قبل التصغير. ولا تشتق هذه الصيغة من جذر بل تصاغ بجعل الاسم على وزن معيّن يدلّ على معنى الصغر. ويعتبر التصغير مقولة اشتقاقية لا مقولة تصريفية؛ لأنّ الصيغة تعبّر عن معنى الحدث شأنها شأن سائر الأسماء المشتقة، فهي تفيد ذاتا موصوفة بصفة الصغر والصفة نوع من الأحداث، فكأنّها تختزل مركبا نعتيا المنعوت فيه ذات والنعت لفظه. ويتمّ التعبير عن الصغر بثلاث طرق:

- طريقة معجمية: جرو، شبل.

(١) ينظر: المرجع السابق، الصفحات نفسها.

- طريقة تركيبية معجمية: كلب صغير وأسد صغير.

- طريقة صرفية اشتقاقية: كليب، فليس، دريهم.

ب -**المشتقات الفعلية**(1): يدلّ الفعل بصيغته على الحدث وعلى مظهر الحدث (أي انقضاء الحدث أو عدم انقضائه):

١- **صيغ الفعل المجرّد**: ينقسم الفعل المجرد إلى قسمين: ثلاثي مجرّد، ورباعي مجرّد.

- **الثلاثي المجرد**. للثلاثي المجرد ثلاثة أوزان:

- **فَعَلَ**: يدلّ هذا الوزن على العمل عادة والمقصود بالعمل حدث ينتج عنه أثر محسوس.

- **فَعِلَ**: يدل هذا الوزن على الحالة عادة، نحو: فرح وحزن وغضب، ويمكن أن يدل على عمل حسي، نحو: سمع وطعم، أو ذهني، نحو: علم وفهم.

- **فَعُلَ**: يدل هذا الوزن على الاتصاف بصفة ثابتة، نحو: كبر وحسن.

- **الرباعي المجرّد**: لا يختص وزن فَعْلَلَ الرباعي المجرّد بالدلالة على جنس من أجناس الحدث دون آخر. غير أنّ أكثر الجذور تدلّ على

(١) لمزيد من التفصيل حول المشتقات الفعلية وصيغها وأمثلتها ينظر: المرجع السابق: ٦١-٨٤.

أعمال، نحو: دحرج وزلزل، وتدلّ بصفة خاصة على الأصوات، مثل: زقزق.

٢- صيغ الفعل المزيد: يدلّ الفعل المزيد على الحدث والذات وتحقق له عناصر الزيادة دلالات إضافة تختلف باختلاف الأوزان.

▪ **الثلاثي المزيد**: يكون الفعل الثلاثي مزيدا بحرف أو بحرفين أو بثلاثة أحرف، وأوزانه هي:

- **أَفْعَلَ**: تدل على التعدية، مثل: أدخل زيد عمرًا، والجعلية، مثل: أهديت الكتاب أي: جعلته هدية، والصيرورة مثل: أورق الشجر أي: صار ذا ورق، والدخول في المكان، مثل: أعرق الرجل، أي: دخل العراق، والدخول في الزمان، مثل: أصبح الرجل، أي: دخل في الصباح.

- **فَعَّلَ**: تدلّ على التكثير في الحدث، مثل: طوَّفت في البلاد، والتعدية، مثل: فرَّحت زيدًا أي: جعلته فرحًا، والصيرورة، مثل: عَجَّزت المرأة، أي: صارت عجوزا.

- **فَاعَلَ**: تدلّ على المشاركة، مثل: جالست العلماء.

- **تَفعَّلَ**: تدلّ على المطاوعة، مثل: جمَّعته، فتجمع، والتكلف، مثل: تصنَّع الشاعر، والاتخاذ، مثل: توسَّد زيد، أي: اتخذ لنفسه وسادة، والتكرار، مثل: تجرع زيد الدواء، أي: شربه جرعة جرعة، والطلب، مثل: تنجَّزتُه الوعد، أي طلبت منه إنجازه، والاعتقاد في الشيء أنه على صفة، مثل: تعظَّمتُ زيدًا، أي اعتقدت فيه العظمة، والصيرورة مثل: تزبَّبَ العنب، أي صار زبيبا.

- **تَفَاعَلَ**: ومن معانيها المشاركة، مثل تحاور زيدٌ وعمرو، والمطاوعة، مثل: باعدت زيدًا، فتباعد، والتظاهر، مثل: تمارض وتماوت.

- **انْفَعَلَ**: تدلّ على المطاوعة، ومثالها كسرته، فانكسر.

- **افْتَعَل**: تدلّ على المطاوعة، مثل: جمعته، فاجتمع، والاتخاذ، مثل: اعتاد، أي: اتخذ لنفسه عادة، والمشاركة، مثل: اجتور القوم أي صار بعضهم لبعض جيرانا.

- **افْعَلَّ**: تدلّ على لون، مثل: احْمَرَّ، اخضرَّ، أو على عيب مثل: اعورَّ.

- **اسْتَفْعَلَ**: تدل على الطلب، مثل: استكْتَبْتُ زيدًا، أي: طلبت منه الكتابة، وتفيد الصيرورة، مثل: استحْجَرَ الطين أي صار حجرًا.

- **افْعَالَّ**: تدلّ على المبالغة في الاتصاف بالصفة، ومثال ذلك: احمارَّ.

- **افْعَوْعَلَ**: تدل على المبالغة، مثل: اعشوشب.

▪ **الرباعي المزيد**: للرباعي المزيد صيغتان:

- **تَفَعْلَلَ**: تفيد المطاوعة، مثل: دحرج البنَّاءُ الحجر فتدحْرج.

- **افْعَلَلَّ**: تفيد المبالغة، مثل: اقشعرَّ.

خاتمة

يقودنا البحث في نظام الاشتقاق في اللغة العربية إلى أنّه نظام دلالي بالأساس، فما تنوّع الصيغ الاشتقاقية إلّا للتمييز بين معانٍ ودلالات يحتاج إليها المتكلّم للتعبير عن مقصوده تعبيرا واضحا.

وقد توصّلنا بالبحث في الكتب النحوية التراثية إلى أنّ القدماء قد انتبهوا إلى الأبعاد الدلالية في نظام الاشتقاق، وتوصّلوا إلى ضبطها في مقولتين أساسيتين، هما: مقولة الذات ومقولة الحدث، فهاتان المقولتان هما بمثابة نواتين دلاليتين أساسيتين تتولّد منهما مختلف الدلالات الفرعية التي يقع التعبير عنها باختلاف الصيغ الفعلية والاسمية. وعلى هذا الأساس يمكن القول إن مقولتي الذات والحدث هما السمتان الدلاليتان المميزتان في البنية الدلالية العميقة لنظام الاشتقاق في اللغة العربية.

فأمّا المشتقات الفعلية فهي تختصّ بمقولة الحدث. فالفعل، كما سبق أن بينا، يدلّ على معنى الحدث سواء أكان الحدث عملا أو حالة أو صفة، ولكلّ نوع صيغة تختصّ به، وينحصر اختلاف الصيغ في اختلاف حركة عين الفعل (فعَل / فعِل / فعُل). وتدلّ صيغ الفعل بتصريفها على مظهر الحدث وزمانه، فصيغة الماضي تدل على انقضاء الحدث، في حين تدل صيغة المضارع على عدم الانقضاء، وتختص صيغة الأمر بالدلالة على طلب الانقضاء. ويتوسّع النظام الدلالي للفعل من خلال صيغ الأفعال المزيدة؛ إذْ تتيح عناصر الزيادة التعبير عن دلالات فرعية، مثل التعدية والمبالغة والمشاركة والمطاوعة والطلب.

وأمّا المشتقات الاسمية فإنّ قسم المصادر منها يختصّ بالتعبير عن مقولة الحدث؛ إذْ يدل المصدر الأصلي على مطلق الحدث وتدلّ بقية المصادر على معان أخرى فرعية مثل اسم المرّة على أن الحدث وقع مرة واحدة ودلالة اسم الهيئة على هيئة وقوع الحدث. وعلى خلاف المصادر المتمحّضة لمقولة الحدثية تدلّ الصفات وهي قسم من أقسام المشتقات الاسمية على مقولتي الذات والحدث في آن واحد، فاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغة المبالغة واسم التفضيل والنسبة تحقّق مقولتي الحدثية والفاعلية، علاوة على بعض المعاني الجزئية الأخرى مثل الكيفية والكمية والمفاضلة. وتدلّ المشتقات التي لا تعمل عمل الفعل على معان متنوّعة مثل الزمانية والمكانية والتصغير والوسيلة، وهذا ما يتحقق بواسطة صيغ اسم الزمان واسم المكان واسم الآلة.

وخلاصة القول إذن أنّ نظام الاشتقاق في اللغة العربية يقوم على قاعدة دلالية فما تنوّع الصيغ واختلاف المشتقات إلا للتعبير عن معان كلية وجزئية يحتاج إليها المتكلّم. وإذا كانت الدلالة الاشتقاقية تمثّل نوعا أساسيا من أنواع الدلالات في اللغة العربية فإنّها تتعاضد مع أنواع أخرى مكمّلة لها مثل الدلالة المعجمية والدلالة التصريفية والدلالة التركيبية والدلالة السياقية.

قائمة المراجع

- الإستراباذي، رضي الدين محمد، ١٩٩٦، شرح الكافية، تحقيق يحيى بشير مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١.
- الإستراباذي، رضي الدين محمد، (د-ت)، شرح الشافية، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأُشْمُوني، أبو الحسن، نور الدين،١٩٩٨، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
- الأنباري، أبو البركات، كمال الدين، ٢٠٠٣، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية.
- بالمر، أف آر، علم الدلالة، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة، ١٩٨٥، بغداد، الجامعة المستنصرية، مطبعة العمال المركزية.
- بورايو، عبد الحميد، (د-ت)، التحليل السيميائي للخطاب السردي، دراسة لحكايات من «ألف ليلة وليلة» و«كليلة ودمنة»، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع.
- التهانوي، محمد بن علي،١٩٩٦، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
- الجرجاني، الشريف، ١٩٨٣، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
- الجرجاني، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن، ١٩٨٧، المفتاح في الصرف، حققه وقدم له: علي توفيق الحَمَد، الرسالة – بيروت.

- ابن جني أبو الفتح عثمان، ١٩٩٣م، الخصائص، تحقيق محمد النجار، دار الكتب المصرية.
- حسان، تمام، ١٩٩٠، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- حسن، عباس، (د-ت)، النحو الوافي، دار المعارف.
- الحملاوي، أحمد بن محمد، ١٩٧٥، شذا العرف في فن الصرف، قدم له وعلق عليه الدكتور محمد بن عبد المعطي، دار الكيان.
- الخولي، محمد علي، ٢٠٠١، علم الدلالة (علم المعنى)، الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع.
- الداية، فايز، ١٩٩٦، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دمشق/ بيروت: دار الفكر / دار الفكر المعاصر.
- الرازي، فخر الدين، (د-ت)، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة.
- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، ١٩٩٣، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال.
- السخاوي، علم الدين، ١٩٩٥، سفر السعادة وسفير الإفادة، تحقيق: محمد أحمد الدالي، دار صادر.
- السيوطي، عبد الرحمن، بن أبي بكر، جلال الدين،١٩٩٨، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت.

- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن المصري، ١٩٨٠، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار مصر للطباعة.
- عمر، أحمد مختار، ٢٠٠٥، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة.
- عبد الجليل، منقور، ٢٠٠١، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي دراسة، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- فاخوري، عادل، ١٩٩٤، علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- فضل، صلاح، ١٩٩٦، مناهج النقد المعاصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- القرطبي، شمس الدين، ١٩٦٤، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- كحيل، أحمد حسن، ١٩٨٢، التبيان في تصريف الأسماء، (د-ط).
- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، ١٩٩٨، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- لاينز، جون، ١٩٦٨، علم الدلالة، الفصلان التاسع والعاشر من كتاب: مقدمة في علم اللغة النظري، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسن باقر، ١٩٨٠، بغداد، كلية الآداب جامعة البصرة.
- اللبدي، محمد سمير، نجيب، ١٩٨٥، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان.

- مؤمن، أحمد، ٢٠٠٢، اللسانيات النشأة والتطور ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (د-ت)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.
- مرتاض، عبد الملك، ٢٠٠١، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، الجزائر: دار الكتاب العربي.
- المطرزي، أبو الفتح، (د-ت)، المصباح في علم النحو، تحقيق وشرح وتعليق، عبد الحميد السيد طلب، مكتبة الشباب، القاهرة.
- ابن هشام، أبو محمد، جمال الدين، ١٩٩٧، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المحقق: يوسف الشيخ محمد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف جمال الدين، ١٣٨٣هـ، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة.
- ابن يعيش، (د-ت)، موفّق الدين، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب.

(٢)

قضية الإعجاز القرآني، وأثرها في نشأة البحث البلاغي

د. عبدالعزيز بن سعود بن عبدالله البديّع

- أستاذ مساعد.
- قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي- كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض.

الملخّص

يهدف هذا البحث (**قضيّة الإعجاز القرآنيّ وأثرها في نشأة البحث البلاغيّ**) في مجمله إلى: أنّ الدّفاع عن القرآن الكريم، والوقوف في وجوه أعداء الإسلام مِن الملحدين الطّاعنين في الكتاب العزيز، أدّى إلى ظهور كثيرٍ مِن المؤلّفات والدّراسات القرآنيّة حول إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، إضافةً إلى أنّ البحث عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم كان سبيلًا إلى دراسة فنون البلاغة الثلاثة؛ وذلك لأنّ البلاغة هي المحورُ الذي تدور حوله دراساتُ الإعجاز القرآنيّ.

وقضيّة الإعجاز القرآنيّ تُعَدُّ مِن أهمّ قضايا البلاغة التي انصبّ عليها اهتمامُ الدّارسين؛ لأنّه بعد حركة الفتوح الإسلاميّة، وامتزاج ثقافة الأمّة العربيّة بغيرها مِن ثقافات الأمم الأخرى، ظهر في المجتمع الإسلاميّ مَنْ يطعن في القرآن الكريم، ويُشكّك في إعجازه، فكان ذلك باعثًا لعلماء الإسلام أنْ يجادلوا أعداءَ الدّين مِن الملحدين، ويدحضوا شُبهاتهم المُثارة حول الكتاب الكريم.

والعلوم القرآنيّة مِن أهمّ العلوم التي كان لها دورٌ كبيرٌ في نشأة البلاغة؛ لأنّها اهتمّتْ بالنصّ القرآنيّ مِن جهة: محاولة فَهْمه فَهْمًا

صحيحًا، وشرحه وتفسيره، والنّظر في وجوه إعجازه.

فصلة علم التفسير - إذًا - بالبلاغة قديمة؛ تعود إلى النشأة الأوليّة لعلم البلاغة العربيّة، يشهد بذلك كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (ت٢١٠هـ) فهو أوّل كتابٍ في مجال تفسير القرآن الكريم، ومع ذلك فقد حوى بعض الأفكار والآراء البلاغيّة المهمّة.

وسيُبيّن البحث: أنّ بيئة المتكلّمين - سواء أكانوا معتزلة أم أشاعرة - تُعَدُّ مِن البيئات التي أسهمتْ في البحث البلاغيّ وإثرائه؛ لأنّهم ذكروا - مِن خلال جدلهم ومحاوراتهم أعداءَ الإسلام - مباحث واسعة في إعجاز القرآن الكريم مِن حيث: بلاغته وبيانه، وأفردوا - تبعًا لذلك - مؤلّفاتٍ خاصة في الإعجاز تحوي فنونًا بلاغيّة؛ ومِن أهمّ هذه المؤلّفات: «النكت في إعجاز القرآن» للرمّاني، و«إعجاز القرآن» للقاضي الباقلاني، و«الرسالة الشافية في الإعجاز»، و«دلائل الإعجاز» للشيخ عبدالقاهر الجرجاني.

وهذا يدلّ دلالةً واضحة على أنّ البحث البلاغيّ قد استفاد فائدةً عظمى مِن قضيّة الإعجاز القرآنيّ، والله الموفّق والهادي إلى سواء السّبيل، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين.

Summary

This research (Miracle in Holy Quran and its effect on the origination of rhetorical research) aims at: Defending the Holy Quran and facing the enemies of Islam such atheists led to the emergence of many books and Qur'anic Studies which is related to The Holy Quran and its eloquence besides searching for miracle in Holy Quran was a way to study the arts of rhetoric as rhetoric is the center for the studies of the Qur'anic miracles.

Miracle in Holy Quran is considered one of the most important rhetoric issues which is a main source of attention by scholars as after Islamic conquests and the interaction of the Arab culture with the cultures of other nations ،led to the emergence of who appeals and doubts against The Holy Quran in the Islamic society as a result the scholars started to argue atheists and refutes all of their doubts related to the Holy Quran.

Sciences of the Quran played a great role in the emergence of rhetoric as these sciences care for the text of The Holy Quran by understanding ،explaining ، interpreting it rightly and searching in the ways of miracles.

If ،in ancient rhetoric is backing to the initial origination of Arabic rhetoric ،quoted in «Majaz AlQuran» to Abe Obeida(died in 210 H), this book is considered the first book in the interpretation of the Koran as it contained some important rhetorical ideas.

The research will illustrate that the environment of the speakers -whether solitary or poet – has helped in rhetorical research as -through their arguments to the enemies of Islam- they mentioned many researches in the miracle in Holy Quran in terms of rhetoric and disclosure. Afterwards they produced books in the

miracle in Holy Quran which contain rhetorical arts such: «Alnnokat in The miracle in the Quran» to Al Rummani and «Miracle in Holy Quran» to Alqadi Albulqani and «Alrrisalat Alshshafia in miracles» and «Dalayil Alaiejaz» to Sheikh Abdul Qaher Jerjani.

So ،we can see that rhetorical research made use of the miracle in the Holy Quran.

God bless ،Praise to Allah ،Lord of the Worlds.

المقدّمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيّد البلغاء، وإمام الفصحاء، أرسله الله بالهدى ودين الحقّ؛ رحمةً للعالمين، وآتاه الفصاحة وحُسْن البيان، وتفضّل عليه فجعل معجزته الخالدة ذلك الكتابَ المبين، الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خلفه تنزيلٌ مِن حكيم حميد، وبعد:

فإنّ أشرف العلوم هي التي تخدمُ كتابَ الله تعالى، وتُبيّن سِرّ إعجازه، وعلم البلاغة أحد تلك العلوم.

يقول أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ): «إنّ أحقّ العلوم بالتعلُّم، وأولاها بالتحفّظ - بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه - علمُ البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يُعْرفُ إعجازُ كتاب الله تعالى، النّاطق بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرُّشد»(١).

ويقول جلال الدين السّيوطي (ت٩١١هـ): «ولا شكّ أنّ علوم البلاغة الثلاثة مِن أعظم آلات الشّرع، بل ذُكِرَ أنّ كمال الإيمان متوقّفٌ عليها؛ لتوقّف إدراك إعجاز القرآن - الذي هو معجزة النبي صلى الله

(١) (كتاب الصناعتين) لأبي هلال العسكري، ص١، تحقيق: علي البجاوي، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم.

عليه وسلّم - على معرفتها»[1].

وكان مِن نِعَم الله تعالى عليَّ أنْ وفّقني إلى الدرس البلاغيّ، ويَسَّر لي اختيار موضوعٍ بعنوان (**قضيّة الإعجاز القرآنيّ وأثرها في نشْأة البحث البلاغيّ**) فعقدتُ العزمَ على دراسته؛ لأسبابٍ منها:

١- أنّ البلاغة هي المحورُ الذي تدور حوله دراساتُ الإعجاز القرآنيّ.

٢- أنّ حركة الدّفاع عن القرآن الكريم ضدّ ما وُجّه إليه مِن مطاعن، كان لها أثرٌ كبير في بَعْث الدّراسات البلاغيّة.

٣ - أنّ دراسة علوم البلاغة تُعَدُّ ضروريةً لكلِّ دارس؛ لأنّها ارتبطتْ إلى حدٍّ كبير بهدفٍ ديني يتمثّل في الدفاع عن القرآن الكريم ضدّ المُلحدين الطّاعنين فيه، إضافةً إلى أنّ البلاغة هي المفتاحُ الذي بواسطته يمكن فَهْمُ كتاب الله تعالى، وكشفُ سرّ إعجازه.

٤ - أنّ البحث عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، كان سبيلًا إلى دراسة فنون البلاغة العربيّة؛ مِن أجل إدراك سِرّ النّظم القرآنيّ، وجمال أسلوبه.

٥ - تميُّز أسلوب القرآن الكريم عن سائر الأساليب العربيّة؛

---

(١) (عقود الجمان في المعاني والبيان) للسيوطي، ١/ ٧ - ٨.

لاشتماله على كلّ مظاهر البلاغة، ووسائل الإعجاز؛ لأنّ أسراره لا تنفد، وعجائبه لا تنقضي.

٦ - وأخيرًا: فإنّ دراسة هذا الموضوع - أعني: قضيّة الإعجاز القرآنيّ وأثرها في نشأة البحث البلاغيّ - وإبرازه لطلبة العلم، سوف يُسْهمُ - بمشيئة الله تعالى - في إثراء المكتبة العربيّة، وتزويدها بمزيدٍ مِن البحوث في حَقْل الدّراسات البلاغيّة، التي تكشف عن سِرّ إعجاز كتاب الله تعالى، وبلوغه الدّرجة العالية الرفيعة في البلاغة والفصاحة.

وقد انتظم هذا البحث في: **مقدّمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.**

في **المقدّمة** ذكرتُ أهميّة الموضوع، وأسباب اختياره، وخطّة البحث.

أمّا المباحث الثلاثة فهي:

المبحث الأوّل: إعجاز القرآن الكريم، وتحته مطلبان؛ هما:

المطلب الأوّل: تعريف المعجزة لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: القرآن الكريم، معجزة الإسلام الخالدة.

المبحث الثاني: التحدّي البلاغيّ بالقرآن الكريم، ووجوه إعجازه، وتحته مطلبان؛ هما:

المطلب الأوّل: التحدّي البلاغيّ بالقرآن المعجز.

المطلب الثاني: وجوه إعجاز القرآن الكريم.

المبحث الثالث: قضيّة الإعجاز، وأثرها في الدّرس البلاغيّ، وتحته مطلبان؛ هما:

المطلب الأوّل: أثر علماء الإسلام في البحث البلاغيّ.

المطلب الثاني: جهود المتكلّمين، وأثرهم في البحث البلاغيّ.

بعد ذلك ختمتُ البحثَ **بخاتمةٍ** أوجزتُ فيها أهمَّ النتائج التي توصّلتُ إليها، ثمّ أتبعتها بذكر فهرس المصادر والمراجع.

وفي الختام: أسأل اللهَ العليَّ القدير أنْ يجعل عملي المتواضع هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأنْ يرزقنا السّدادَ في القول، والإخلاصَ في العمل، وينفع به كلّ مَنْ قرأه، أو اطّلع عليه، وأنْ يجعله مباركًا مُسَدَّدًا، إنّه سميعٌ قريب مجيبُ الدعاء.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: إعجاز القرآن الكريم.

وتحته مطلبان؛ هما:

المطلب الأول: تعريف المعجزة لغةً واصطلاحًا.

المعجزة في اللغة: مأخوذة ومشتقة مِن: أَعْجَزَ، وعجز، وهي: ما يقابل القدرة، وهي اسم فاعل مِن الإعجاز، وتكون للأنبياء خاصة.

يقول ابن منظور (ت٧١١هـ): «العَجْزُ: نقيض الحَزْم... والعجز: الضَّعْف... والمعجزة بفتح الجيم وكسرها: مُفْعلة مِن العجز: عدم القدرة... والتعجيز: التثبيط، وكذلك إذا نسبته إلى العجز»[١].

وفي «القاموس المحيط»: «ومعجزة النبي صلّى الله عليه وسلّم: ما أعجز به الخصمَ عند التحدّي، والهاء للمبالغة»[٢].

إذًا: الهاء في «المعجزة» للمبالغة، وليستْ للتأنيث، والجمع «معجزات».

و«الإعجاز: إفعالٌ مِن العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء مِن عملٍ، أو رأيٍ، أو تدبير»[٣].

---

(١) (لسان العرب) لابن منظور، ٩/ ٥٧ – ٥٨، مادة «عجز».

(٢) (القاموس المحيط) للفيروزآبادي، ٢/ ٢٩٠، مادة «العجز».

(٣) (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروزآبادي، ١/ ٦٥.

وقال صاحب «تاج العروس»: «أعجزه: صيّره عاجزًا، أي: عن إدراكه واللحوق به»[١].

وجاء في «معجم مقاييس اللغة»: «عَجِزَ عن الشيء يَعْجز عَجْزًا فهو عاجزٌ، أي: ضعيف... ويقال: أعجزني فلانٌ، إذا عَجِزتُ عن طلبه وإدراكه»[٢].

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ معاني العجز في اللغة تدور على الضَّعف، وعدم القدرة على تحصيل الشيء.

أمّا المعجزة اصطلاحًا فلها تعريفاتٌ كثيرة؛ منها:

أـ عرّف أبو منصور البغدادي (ت٤٢٩هـ) المعجزة بأنّها: «ظهورُ أمرٍ خلاف العادة في دار التّكليف؛ لإظهار صدق ذي نبوّة مِن الأنبياء»[٣].

ب - ويقول ابن خلدون (ت٨٠٨هـ): «إنّ المعجزات هي أفعالٌ يعجز البشرُ عن مثلها، فَسُمّيتْ بذلك معجزة، وليستْ مِن جنس مقدور العباد، وإنّما تقع في غير محلّ قدرتهم»[٤].

ج - تعريف السيّد الشّريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) حيث عرّفها

---

(١) (تاج العروس من جواهر القاموس) للزبيدي، ٨/ ٩٦، مادة «عجز».

(٢) (معجم مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس، ٤/ ٢٣٢، مادة «عجز».

(٣) (أصول الدين) للبغدادي، ص ١٧٠.

(٤) (مقدّمة ابن خلدون)، ص ٩١.

بقوله: «المعجزة هي: أمرٌ خارقٌ للعادة، داعٍ إلى الخير والسّعادة، مقرون بدعوى النبوّة، قُصِدَ به إظهارُ صدق مَنِ ادّعى أنّه رسولٌ مِن الله»(١).

د - وفي «الإتقان» عرّف جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) المعجزة بأنها: «أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرون بالتحدّي، سالم عن المعارضة - ثمّ ذكر أنّ المعجزة تنقسم إلى قسمين - إمّا حسيّة، وإمّا عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسيّةً؛ لقلّة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمّة عقلية؛ لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم»(٢).

نخلصُ مِن ذلك كلّه إلى أنّ المعجزة هي: أمرٌ خارق للعادة، وتكون على يد نبيّ مِن الأنبياء؛ تصديقًا لنبوّته؛ يقول القاضي عياض(ت٥٤٤هـ): «واعلم أنّ معنى تسميتنا ما جاءتْ به الأنبياء معجزةً، هو أنّ الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها»(٣).

وإعجاز القرآن هو «ارتقاؤه في البلاغة إلى أنْ يخرج عن طوق البشر، ويُعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح، لا الإخبار

---

(١) (التعريفات) للسيّد الشريف الجرجاني، ص٢٨٢.

(٢) (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي، ٢/ ١٤٨، وللاستزادة انظر: تعريف المعجزة في (مناهل العرفان) للزرقاني، ١/ ٦٦.

(٣) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض، ١/ ٣٤٩.

عن المغيّبات، ولا عدم التناقض والاختلاف، ولا الأسلوب الخاصّ، ولا صرف العقول عن المعارضة»[1].

فالله سبحانه وتعالى قد أيّد رُسله الكرام عليهم الصّلاة والسّلام بمعجزاتٍ اختار زمانها ومكانها؛ ليُبرهن على صدق دعواهم ونبوّاتهم، ومِن حكمته تعالى أنْ تكون معجزاتُ أنبيائه عليهم السّلام مُنسجمةً مع أحوال النّاس الذين ظهرتْ فيهم، ومِن جنس ما برعوا فيه؛ لأنّ المعجزة تأتي خارقةً وخارجةً عمّا هو مألوفٌ ومعتاد؛ ومِن أجل ذلك كانتْ «معجزة موسى عليه السلام مناسبةً لأهل مصر؛ لأنّ السحر والكهانة كانا فيهم، وكان للسحرة عندهم منزلةٌ ومكانة... كما كانتْ معجزة عيسى عليه السلام هي إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص؛ لشهرتهم في الطبّ والعلاج، وعلى هذه القاعدة جاءتْ معجزة سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قرآنًا يُتلى؛ لأنّ البيان كان مناط فخر العرب»[2].

ومِنْ ثمّ فقد كانت معجزة نبيّنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام **بلاغية،** وهي القرآن الكريم - كتاب الله الخالد - الذي نزل بلغةٍ عربيّةٍ فصيحة؛ لأنّ قومه الذين بُعِثَ فيهم - وهم العرب - قد تفوّقوا وتميّزوا في جانب البلاغة والفصاحة والبيان، ومع ذلك فقد عجزتْ ألسنتهم عن مجاراة

(١) (الكليّات) لأبي البقاء الكفوي، ص ١٢٤.

(٢) (الإعجاز القرآني: وجوهه وأسراره) للدكتور: عبدالغني بركة، ص ٦.

هذا القرآن الكريم، أو الإتيان بمثله، ووقفوا مبهورين أمام بلاغته وفصاحته، يقول العلّامة ابن كثير(ت٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى: «إنَّ التحدّي عامٌّ للعرب كلّهم - مع أنهم أفصح الأمم - وقد تحدّاهم بهذا في مكّة والمدينة مرّات عديدة، ومع ذلك عجزوا»[١].

وقد يلتبس مفهوم المعجزة بمفهوم الكرامة عند البعض؛ لأنّ «السلف - كأحمد وغيره - كانوا يُسَمّون هذا وهذا معجزًا، ويقولون لخوارق الأولياء إنّها «معجزات» إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاصَ الأنبياء بذلك، بخلاف ما كان آيةً وبرهانًا على نبوّة النبيّ، فإنّ هذا يجب اختصاصه»[٢].

ولكنّ الرأي الراجح الذي استقرّ عليه الاصطلاح هو: أنّ المعجزة تكون للأنبياء، والكرامة للأولياء؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (ت٧٢٨هـ): «وإنْ كان اسمُ «المعجزة» يعمّ كلّ خارقٍ للعادة في اللغة وعُرْف الأئمة المتقدّمين، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويُسَمّونها «الآيات» لكنْ كثيرٌ مِن المتأخّرين يُفرّق في اللفظ بينهما؛ فيجعل «المعجزة» للنبي، و«الكرامة» للولي، وجماعهما: الأمرُ الخارق

---

(١) (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير الدمشقي، ١/ ٦٤.

(٢) (الجواب الصحيح لمَنْ بدّل دين المسيح) لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٥/ ٤١٩، وانظر: الفرق بين المعجزة والكرامة بالتفصيل في (اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر) لعبدالوهّاب الشعراني، ص ١٦١.

للعادة»[1].

المطلب الثاني: القرآن الكريم: معجزة الإسلام الخالدة.

مِن الثّابت قَطْعًا أنّ لرسولنا الكريم عليه الصّلاة والسّلام كثيرًا مِن المعجزات التي تدلُّ على صدق نبوته، وأنّه مُرْسَلٌ مِن عند الله تعالى إلى النّاس كافّة.

منها: إخبارهُ عن الأمور المستقبلة، وزوال مملكتي: فارس والروم، وانشقاق القمر، وتكثير الطعام، ونَبْعُ الماء مِن بين أصابعه، وحنين الجذع، وكذلك إسراؤه مِن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ ومن ثَم معراجه إلى السماوات العلا[2].

والقرآنُ الكريم هو: المعجزة البلاغيّة الكبرى، التي أيّد بها اللهُ تعالى رسوله الكريم عليه الصّلاة والسّلام، فهي مِن أعظم المعجزات، وأظهر الآيات، وأصدق الدلائل والبراهين على صدق نبوّته؛ لأنها حجّةُ الله البالغة إلى يوم القيامة.

وشاء الله سبحانه وتعالى أنْ تكون معجزةُ نبيّنا محمّد عليه الصّلاة

(١) (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) ١١/ ٣١١ - ٣١٢.
(٢) انظر:
(أ) (الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيّان التوحيدي، ٣/ ١٧.
(ب) (مِن معجزات النبي صلّى الله عليه وسلّم) لعبدالعزيز السلمان، ص ٤.

والسّلام هي **القرآن الكريم**، ومعنى ذلك أنْ يكون خارقًا للعادة في أسلوبه ونظمه وفي مضمونه، وبذلك تميّزتْ هذه المعجزة الكبرى عن سائر المعجزات، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: «إنّ أعظم المعجزات، وأشرفها وأوضحها دلالة القرآنُ الكريم، المنزّل على نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فإنّ الخوارق في الغالب تقع مُغايرةً للوحي الذي يتلقّاه النبي... والقرآن هو بنفسه الوحي الخارق المعجز، فشاهِدُه في عينه، ولا يفتقر إلى دليلٍ مغايرٍ له كسائر المعجزات مع الوحي، فهو أوضحُ دلالةً؛ لاتّحاد الدليل والمدلول فيه»(١).

والقرآن الكريم معجزٌ مِن وجوهٍ كثيرة؛ منها: بلاغته وفصاحته، ونَظْمه العجيب البديع، وتراكيبه، وأساليبه، وما تضمّنه مِن الأخبار الماضية والمستقبلة.

وقد حصر مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ) وجه إعجاز القرآن الكريم بالناحية اللغوية فيه، أي: في النّظم، والتركيب والأسلوب؛ إذ يقول: «أمّا الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن، وما حقّقناه بعد البحث، وانتهينا إليه بالتأمّل وتصفّح الآراء، وإطالة الفكر، وإنضاج الرويّة، وما استخرجناه مِن القرآن نفسه في: نظمه ووجه تركيبه، واطّراد أسلوبه»(٢).

---

(١) (مقدّمة ابن خلدون)، ص ٩٢.

(٢) (إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة) لمصطفى صادق الرافعي، ص ١٠٩.

ومِن المعلوم أنّ معجزات الأنبياء السّابقين تنتهي بوفاة الرّسول، أمّا معجزة نبيّنا الكريم - وهي القرآن الكريم - فإنها باقيةٌ ومستمرّةٌ إلى قيام السّاعة؛ ويؤيّد ذلك ما أخرجه الشّيخان مِن حديث الليث بن سعد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «ما مِن الأنبياء نبيٌّ إلّا قد أُعطي مِن الآيات ما مثلُهُ آمَنَ عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيته وَحْيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أنْ أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[1].

ويقول السيوطي موضّحًا وشارحًا هذا الحديث النبوي الشّريف (معناه: أنّ معجزات الأنبياء انقرضتْ بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلّا مَنْ حضرها، ومعجزة القرآن مستمرةٌ إلى يوم القيامة... وقيل المعنى: أنّ المعجزات الواضحة الماضية كانت حسّية، تُشَاهَد بالأبصار، كناقة صالح، وعصا موسى، ومعجزات القرآن تُشَاهَد بالبصيرة، فيكون مَنْ يتبعه لأجلها أكثر؛ لأنّ الذي يُشَاهَد بعين الرّأس ينقرضُ بانقراض مشاهده، والذي يُشَاهد بعين العقل باقٍ، يشاهده كلُّ

(١) هذا الحديث مُخرّج في:
(أ) (صحيح البخاري) كتاب: فضائل القرآن، باب «كيف نزل الوحي، وأول ما نزل» ٤/ ١٩٠٥، رقم الحديث (٤٦٩٦).
(ب) (صحيح مسلم) كتاب: الإيمان، باب «وجوب الإيمان برسالة نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم إلى جميع النّاس»، ص ٨٢، رقم الحديث (٢٣٩).

مَنْ جاء بعد الأول مستمرًّا)[1].

فالقرآنُ الكريم هو معجزةُ الإسلام الكبرى، وهي معجزةٌ باقية ثابتة أبد الدّهر، يراها ويقرأها النّاس في كلّ عصرٍ وحين؛ حيث يقول القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ): «الذي يُوجب الاهتمام التّام بمعرفة إعجاز القرآن، أنّ نبوّة نبيّنا عليه السّلام بُنيتْ على هذه المعجزة، وإنْ كان قد أيّد بعد ذلك بمعجزاتٍ كثيرة، إلّا أنْ تلك المعجزات قامتْ في أوقاتٍ خاصة، وأحوال خاصة... فأمّا دلالة القرآن فهي عن معجزةٍ عامة، عمّتِ الثقلين، وبقيتْ بقاءَ العصرين، ولزوم الحجّة بها في أوّل وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدٍّ واحد»[2].

وهكذا كان اختلافُ المعجزات حسب اختلاف النّاس فيما اشتهروا به؛ لأنّ غاية المعجزة أنْ يرى النّاس فيها صدق الرسول، وقيام الدليل على صدق دعواه.

فدعوة الإسلام - إذًا - دعوةٌ عالميّة؛ ومِن أجل ذلك فإنّ إعجاز القرآن الكريم ليس خاصًّا بالعرب وحدهم، بل هو للعرب والعجم على حدّ سواء؛ لأنّه إذا كان العرب - وهم أهل الفصاحة والبلاغة - عاجزين عن مجاراة أسلوب القرآن الكريم في فصاحته وبلاغته، فغيرهم مِن

(١) (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي، ٢/ ١٤٩.

(٢) (إعجاز القرآن) للقاضي الباقلاني، ص ٢٧ - ٢٨.

الأعاجم أعجز مِن باب أولى.

لقد كان القرآن الكريم (جامعًا لفنون البلاغة، حاويًا لأطراف البيان والفصاحة، مُحْكمًا في نَظْمه؛ حتى إنك تحسب ألفاظه لجمالها وروعتها منقادة لمعانيه، حتى تؤمن أخيرًا بأنك تقرأ كلامًا ليس مِن كلام البشر)(١).

ولعلّ مِن الأسرار والحِكَم التي مِن أجلها كان القرآن الكريم هو «**معجزة الإسلام الكبرى**»:

١- نضوج العقل البشري في عصر الرّسول الكريم عليه الصّلاة والسّلام؛ لأنّه أدرك أنّ القرآن الكريم لا يمكن أنْ يقوله بشر؛ لبلوغه الدرجة العالية الرّفيعة مِن البلاغة والفصاحة.

٢- أنّ رسالة الإسلام لمّا كانت خاتمةَ الرّسالات، ناسب أنْ تكون معجزتها باقيةً إلى قيام السّاعة(٢).

فكان القرآنُ الكريم - إذًا - هو المعجزةَ الباقية الخالدة؛ لأنها الحجّةُ المستمرّة القائمة في حياته عليه الصّلاة والسّلام وبعد وفاته، وكانت دليلًا على صدق نبوّته، وصحّة ما جاء به عن ربّه تعالى.

---

(١) (إعجاز القرآن البيانيّ بين النظرية والتطبيق) للدكتور: حفني محمّد شرف، ص ٥.

(٢) انظر (إعجاز القرآن ونظمه عند السكّاكي) للدكتور: فوزي السيّد عبدربه، ص ١٩.

والقرآنُ الكريم قد تحدّى العرب بما اشتهروا به، وقد اشتهروا بالبلاغة والبيان؛ ومِن أجل ذلك يقول الدكتور محمّد عبدالله دراز: «ولتكن عنايتنا أوفر بناحيته اللغويّة؛ لأنّها هي التي وقع مِن جهتها التحدّي بالقرآن جملةً وتفصيلًا في سورةٍ منه»[١].

---

(١) (النبأ العظيم) للدكتور: محمد عبدالله دراز، ص ٧٩.

المبحث الثّاني: التحدّي البلاغيّ بالقرآن الكريم، ووجوه إعجازه.

وتحته مطلبان؛ هما:

المطلب الأوّل: التحدّي البلاغيّ بالقرآن المعجز.

القرآن الكريم هو كتابُ الله المعجز الذي نزل به جبريلُ الأمين على سيّدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام بلسانٍ عربيّ مبين، وهو المعجزة الكبرى التي تحدّى بها الرسولُ الكريم العربَ قاطبة، فوقفوا أمام بلاغته وفصاحته حيارى مبهورين، وهم أهل البلاغة، وأرباب الفصاحة.

ولهذا تحدّى القرآنُ الكريم العربَ، وكرّر عليهم ذلك التحدّي في صورٍ شتّى، متهكّمًا بهم، متنزّلًا معهم إلى الأخفّ فالأخف، فطالبهم أولًا بالإتيان بمثل القرآن، ثُمّ طُولبوا بعشر سورٍ مثله، ثمّ بعد ذلك طُولبوا بسورةٍ مثله، ثمّ بسورةٍ مِن مثله، فيلحظ أنّ الطلب الإلهي قد تنزّل مِن الأكثر إلى الأقلّ؛ مبالغةً في الإعذار، وإمعانًا في الإعجاز، وهذا التدرّج في الإعجاز (نظير كمن يتحدّى صاحبه بتصنيفه، فيقول: ائتني بمثله، ائتني بنصفه، ائتني بربعه، ائتني بمسألةٍ منه، فإنّ هذا هو النهاية في التحدّي)[(١)].

وقد تحدّى الله تعالى الخلقَ - أولًا - أنْ يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم في سموّ بلاغته، وبديع نَظْمه، فعجزوا عن ذلك؛ مصداقًا لقوله

(١) (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، ٢/ ١٢٨.

تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤﴾[2].

أي: إن كنتم صادقين في أنّ محمّدًا عليه الصّلاة والسّلام قد قاله مِن عنده وافتراه - رغم أنه بشرٌ مثلكم - فأتوا بمثل ما جاء به فإنكم مثله، وفي هذا تعجيزٌ لهم مع التوبيخ.

وحين عجز القومُ عن ذلك، وَصَعُب عليهم الأمر، واستعصى عليهم القول، واستمروا في ادّعائهم أنّ القرآن الكريم مفترى مِن عند محمّد عليه الصّلاة والسّلام، عند ذلك تحدّاهم الله سبحانه وتعالى أنْ يأتوا بعشر سورٍ مِن مثله؛ فقال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾[3].

فلمّا عجزوا أرخى لهم العنان، ورضي منهم بأقلّ مِن ذلك، فاكتفى

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٢) سورة الطور، الآيتان ٣٣ - ٣٤.

(٣) سورة هود، الآيتان ١٣ - ١٤.

بسورةٍ واحدة فقط مثل أيّ سورةٍ مِن سور القرآن الكريم، تُماثله في الجوانب المعجزة فيه؛ حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾[1]، ثُمّ قرن التحدّي بالتقريع، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾[2].

فكان عجزهم أشنع، فسجّل الله تعالى عليهم الهزيمة أبدَ الدهر، وأغلق الباب أمام المعاندين؛ لأنهم لن يستطيعوا مجاراته ومحاكاته أبدًا.

فالآية الكريمة: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ تُثبت أنّ قدرتهم على معارضة القرآن الكريم منتفيَةٌ تمامًا، فلن تقع ولن تكون.

ولبعض الباحثين المعاصرين كلامٌ جيّد تحت عنوان «مِن إيحاءات آيات التحدّي»، قال فيه: «توزّعتْ هذه الآياتُ في القرآن المكّي والمدني، وفي ذلك استمرارٌ للتحدّي، فحيثما وُجِدَ كافرٌ يطعن في مصدر القرآن، فيوجّه له التحدّي لمعارضته... ومِن ذلك جَزْمُ القرآن بعجزهم

(١) سورة يونس، الآية ٣٨.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٢٣ - ٢٤.

عند دعوتهم للمعارضة ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ وتَحَقُّق هذا الجزم فعلًا بعد ذلك دليلٌ على مصدر القرآن، فلو كان مِن كلام الرّسول عليه الصلاة والسلام لما جزم هذا الجزم... وكلمة ﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ وردتْ في كلّ آيات التحدّي، فليس المطلوب الإتيانَ بنفس القرآن؛ لأنّه كلام الله، ولكن المطلوب الإتيان بمثله، والمثليّة ليستِ المثليّةَ في معانيه وأخباره وعلومه وأحكامه، ولكنها المثليّة في جُمله ومفرداته وكلماته، المثليّة في أسلوبه وفصاحته وبلاغته»[(١)].

إذًا: فقد تحدّى القرآنُ الكريم العربَ، وجعل عاقبة هذا التحدّي أمارةَ صدق الرسول الكريم عليه الصّلاة والسّلام.

وما أجمل قول العلّامة الحافظ ابن كثير رحمه الله؛ إذ يقول – بعد أنْ ذكر مراحلَ ودرجات التحدّي بالقرآن الكريم –: «فبيّن تعالى أنّ الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن، بل عن عشر سورٍ مثله، بل عن سورةٍ منه، وأنهم لا يستطيعون ذلك أبدًا، كما قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ أي: فإنْ لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل وهذا تحدّ ثان، وهو: أنه لا يمكن معارضتهم له لا في الحال، ولا في المآل»[(٢)].

---

(١) انظر (البيان في إعجاز القرآن) للدكتور: صلاح عبدالفتّاح الخالدي، ص ٦٥ – ٦٧.

(٢) (كتاب الدلائل: معجزات النبي صلّى الله عليه وسلّم) للحافظ ابن كثير، ص ١٨.

إذًا: القرآن الكريم هو موردُ العربية العذب، ومعينها الصافي؛ لأنّه بليغُ الألفاظ والعبارات، والأساليب، فالكلمة القرآنية تُعَدُّ في الدرجة العليا مِن: الفصاحة والبلاغة، والإعجاز «ولو قالوا: إنّ القرآن معجزٌ في العربية؛ لأنّ الفطرة والعقل لا يبلغان مبلغه في سياستي البيان والمنطق بهذه اللغة، لكان ذلك أصوب في الحقيقة، وأبلغ في حقيقة الصواب، وأمكن في معنى الإعجاز»[1].

المطلب الثاني: وجوه إعجاز القرآن الكريم.

مِن الثابت قطعًا أنّ القرآنَ الكريم معجزٌ لم يجادل في ذلك أحد، ولم يكابر فيه مكابر، ولكنّ الذي اختلفتْ فيه آراء العلماء، وتعدّدتْ مذاهبهم، إنّما هو وجه الإعجاز القرآنيّ.

ولعلّ خير مَنْ فصّل القولَ في وجوه إعجاز القرآن الكريم القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ) حيث ذكر جملةً مِن وجوه إعجازه، أجملها في ثلاثة؛ فقال: «(ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك **ثلاثة أوجه** من الإعجاز:

أحدها: يتضمّن الإخبار عن الغيوب.

وذلك ممّا لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه، فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه الكريم عليه الصّلاة والسّلام، أنه سَيُظْهر دينه على الأديان، بقوله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ

(١) (إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة) لمصطفى صادق الرافعي، ص ١٧٨.

﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ٣٣﴾[(١)]، ففعل ذلك.

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرّفهم ما وعدهم الله مِن إظهار دينه؛ ليثقوا بالنّصر، ويستيقنوا بالنّجْح، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل كذلك في أيّامه.

الوجه الثاني: أنه كان معلومًا مِن حال النبي صلى الله عليه وسلّم أنّه كان أميًّا لا يكتب، ولا يُحْسن أنْ يقرأ، وكذلك كان معروفًا مِن حاله أنّه لم يكن يعرف شيئًا مِن كُتُب المتقدّمين، وأقاصيصهم وأنبائهم وسِيَرهم، ثمّ أتى بجملة ما وقع وحدث مِن عظيمات الأمور، ومهمّات السير، من حين خلق اللهُ آدمَ عليه السّلام إلى حين مبعثه.

الوجه الثالث: أنّ القرآنَ بديعُ النّظْم، عجيبُ التأليف، مُتناهٍ[(٢)] في البلاغة إلى الحدّ الذي يُعْلَمُ عجزُ الخلق عنه...»[(٣)].

إضافةً إلى أنّ هناك وجهًا رابعًا مِن وجوه إعجاز القرآن الكريم، أشار إليه القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) بقوله: «الوجه الرابع: ما أنبأ به مِن أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الدائرة، ممّا كان لا يعلمُ

(١) سورة التوبة، الآية ٣٣.

(٢) أي: بلغ الغاية في البلاغة.

(٣) (إعجاز القرآن) للقاضي الباقلاني، ص ٦٢ - ٦٥.

منه القصةَ الواحدة إلّا الفَذُّ مِن أحبار أهل الكتاب»[١].

وهكذا نلحظ أنّ وجوه الإعجاز في القرآن الكريم متعدّدة ومتشعبة، ولكن يبقى الإعجازُ البلاغيّ البيانيّ هو أهمّها؛ لأنّ بيانه كالسّحر الحلال يستولي على عقل السامع، ويسلبه إرادته، وهذا يدلّ دلالةً واضحةً على أنّ هذا القرآن الكريم المعجز ليس مِن صُنْع البشر، وإنّما هو تنزيلٌ مِن حكيمٍ حميد.

نخلصُ مِن ذلك كلّه إلى ما ذهب إليه الجمهور مِن: أنّ الإعجاز القرآنيّ والتحدّي قد وقع بنظمه، وصحّة معانيه، وفصاحة ألفاظه، ورصانة أسلوبه[٢].

إذًا: القرآن الكريم هو معجزةٌ خالدة، ووجوه إعجازه لا نهاية لها، كما ذكر ذلك أبو يعقوب السكّاكي (ت٦٢٦هـ) إذ يقول: «اعلم أنّ إعجاز القرآن يُدْرَك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تُدْرَك ولا يمكن وصفها»[٣].

---

(١) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض، ١/ ١٦٧.

(٢) انظر:

(أ) (البرهان في علوم القرآن) للزركشي، ٢/ ٩٣ - ٩٧.

(ب) (الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان) لابن القيّم، ص ٣٧٩ -٣٨٣.

(٣) (مفتاح العلوم) لأبي يعقوب السكّاكي، ص ١٧٦.

المبحث الثالث: قضيّة الإعجاز، وأثرها في الدّرْس البلاغيّ.

وتحته مطلبان؛ هما:

المطلب الأول: أثر علماء الإسلام في البحث البلاغيّ.

لقد أنزل اللهُ تعالى القرآنَ الكريم على نبيّنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام بلسانٍ عربيّ مبين، فتحدّى به العربَ قاطبةً - وهم أئمّة الفصاحة، وأمراء البيان - فأعجزهم، فكان هذا العجْز منهم - رغم بلاغتهم وفصاحتهم - دليلًا على صدق نبوّته عليه الصّلاة والسّلام، وصحّة رسالته.

وقضيّة الإعجاز القرآنيّ تُعَدُّ مِن أهمّ قضايا البلاغة التي انصبّ عليها اهتمام الدّارسين؛ لأنّه بعد حركة الفتوح الإسلاميّة، وامتزاج ثقافة الأمّة العربيّة بغيرها مِن ثقافات الأمم الأخرى، ظهر في المجتمع الإسلامي مَنْ يطعن في القرآن الكريم، ويُشكّك في إعجازه، فكان ذلك باعثًا لعلماء الإسلام أنْ يجادلوا أعداءَ الدين مِن المُلْحدين، ويدحضوا شُبهاتهم المُثَارة حول الكتاب العزيز؛ لأنّه: «بعد اتّساع الفتوحات الإسلاميّة، وامتزاج العرب بالشعوب المغلوبة، وظهور أثر هذا الامتزاج في الألسنة والطباع والكلام، إضافةً إلى الرغبة في فَهم أسرار إعجاز القرآن الكريم... كلّ ذلك كان مِن البواعث على تدوين أصول البلاغة العربيّة؛

لتكون ميزانًا سليمًا توزن به بلاغة الكلام»[(١)].

والعلوم القرآنيّة مِن أهمّ العلوم التي كان لها دورٌ كبيرٌ في نَشْأة البلاغة؛ لأنّها اهتمّتْ بالنصّ القرآنيّ مِن جهة: محاولة فَهْمه فَهْمًا صحيحًا، وشَرْحه وتفسيره، والنّظر في وجوه إعجازه، إضافةً إلى أنّ دَفْعَ الشبهات المثارة مِن حوله، كانت سبيلًا إلى التوصّل إلى كثيرٍ مِن الظواهر البلاغيّة.

فصلةُ علم التفسير - إذًا - بالبلاغة قديمة، تعود إلى النشأة الأوليّة لعلم البلاغة العربيّة، يشهد بذلك كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (ت٢١٠هـ) فهو أوّل كتابٍ في مجال تفسير القرآن الكريم، ومع ذلك فقد حوى بعض الأفكار والآراء البلاغيّة المهمّة.

وممّا لا شكّ فيه أنّ القرآن الكريم بما كُتِبَ عليه مِن تفاسير، وما دار حوله مِن دراسات، كانت سببًا مهمًّا في نشأة البلاغة؛ حيث احتضنتْ تلك الدّراسات والمؤلّفات القرآنيّة مباحث بلاغيّة واسعة، أمدّتِ البلاغيين بكثيرٍ مِن الأمثلة والشّواهد القرآنيّة البليغة، التي بنوا عليها قواعدهم وعلومهم.

ومِن أهمّ الدراسات القرآنيّة التي كان لها دورٌ بارز في نشأة البحث البلاغيّ:

---

(١) (البلاغة العربيّة بين التقليد والتجديد) للدكتورين: محمّد عبدالمنعم خفاجي، وعبدالعزيز شرف، ص ٣٢.

١ - (مجاز القرآن) لأبي عبيدة: معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)

وهذا الكتاب يعدُّه مؤرّخو البلاغة أوّل مؤلَّفٍ في البلاغة العربيّة؛ لأنّ سبب تأليفه يعود إلى قضيّة بلاغيّة تتعلّق بالتشبيه في قوله تعالى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾[1]، وإنْ كان علماء التفسير - في الوقت نفسه - يعدّونه أوّل كتابٍ معروف مِن كتب التفسير.

ويعود سبب تأليف أبي عبيدة كتابه «مجاز القرآن» إلى قصّةٍ ملخصها: أنّ سائلًا سأله في مجلس الفضل بن الربيع في بغداد عن التشبيه في قوله تعالى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾، كيف يقع الوعد والإيعاد بما لم يُعْرَف؟ فقال أبو عبيدة مجيبًا: «(إنّما كلّم اللهُ العربَ على قَدْر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس[2]:

أيقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قطّ، ولكن لمّا كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك، واستحسن السّائل، وعزمتُ مِن ذلك اليوم أنْ أضع كتابًا في القرآن في مثل هذا وأشباهه، وما يحتاج إليه مِن علمه، فلمّا

(١) سورة الصافات، الآية ٦٥.

(٢) (المشرفيّ) هو: السيف المنسوب إلى مشارف الشام، و(مسنونة) هي: نصال الرّماح، يعني: سهامًا محدّدة الأزجّة، و(زرق) أي: صافية مجلوة، انظر: (شرح ديوان امرئ القيس) لحسن السندوبي، ص ١٦٢.

رجعتُ إلى البصرة عملتُ كتابي هذا الذي سمّيته: المجاز»[١].

ولعلّ أبا عبيدة يُعَدُّ أوّل مَنْ ألّف في قضيّة الإعجاز القرآنيّ، وإنْ لم يصرِّح بذلك؛ لأنّ هدفه وغايته مِن كتابه «مجاز القرآن» هو: كيفيّة التوصّل إلى فَهْم المعاني القرآنيّة باحتذاء أساليب العرب في كلامهم.

وأبو عبيدة لا يقصد بلفظ «المجاز» معناه الاصطلاحي الذي هو قسيمٌ للحقيقة ومقابلٌ لها، بل أراد به المعنى اللغوي الواسع، الذي هو: الممرّ والطريق إلى فَهْم المعاني القرآنيّة، فكان معنى «مجاز القرآن» عند أبي عبيدة هو: التفسير والتأويل، وبيان الطرق التي يسلكها القرآن الكريم في التعبير عن المعاني.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في كتابه «الإيمان»: «أوّل مَنْ عُرِفَ أنّه تكلّم بلفظ «المجاز» أبو عبيدة: معمر بن المثنى في كتابه، ولكن لم يَعْنِ بالمجاز ما هو قسيمُ الحقيقة، وإنّما عنى بمجاز الآية: ما يُعَبّر به عن الآية»[٢].

نخلصُ من ذلك كلّه إلى: «أنّ كلمة المجاز عند أبي عبيدة تعني:

---

(١) (معجم الأدباء) لياقوت الحموي، ١٩/ ١٥٨ - ١٥٩، وللاستزادة انظر: (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، ١٣/ ٢٥٢، و(وفيات الأعيان) لابن خلكان، ٤/ ٣٢٣، ومقدّمة كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، تعليق الدكتور: فؤاد سزكين، ١/ ١٦، و(البيان العربيّ) للدكتور: بدوي طبانة، ص ٢٤ - ٢٥.

(٢) (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية)، ٧/ ٨٨.

الدلالة الدقيقة لصيغ التعبير القرآنيّة المختلفة»[1].

ومِن الظواهر والألوان والفنون البلاغيّة التي أشار إليها أبو عبيدة في كتابه «مجاز القرآن»: التقديم والتأخير، وإيجاز الحذف، والمجاز العقلي، والالتفات، والاستعارة التمثيليّة، والكناية[2].

٢ـ (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)

ألّف ابن قتيبة كتابه هذا؛ للردّ على المُلْحدين الذين يطعنون في القرآن الكريم، ويحكمون عليه بالتناقض واللحن وفساد النّظْم؛ حيث يقول: «وقد اعترض كتابَ الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه، وهجروا، واتّبعوا ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾[3] بأفهامٍ كليلة، وأبصارٍ عليلة، ونَظرٍ مدخول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوا عن سُبُله، ثمّ قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة، واللحن، وفساد النّظْم، والاختلاف... فأحببتُ أنْ أنضح عن كتاب الله، وأرمي مِن ورائه بالحجج النيّرة، والبراهين البيّنة، وأكشف للنّاس ما يلبسون، فألّفتُ هذا الكتاب، جامعًا لتأويل مشكل القرآن، مستنبطًا ذلك مِن التفسير، بزيادةٍ في الشّرْح والإيضاح، وحاملًا ما لم أعلم فيه مقالًا لإمامٍ مطّلع على

(١) (البلاغة: تطورّ وتاريخ) للدكتور: شوقي ضيف، ص ٢٩.
(٢) انظر (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، ١/ ٨، ١١، ١٢، ١٥٥، ٢٧٩، ٥٣٩، ٢/ ٩٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية ٧.

لغات العرب؛ لأريَ به المعاندَ موضع المجاز، وطريق الإمكان، مِن غير أنْ أحكم فيه برأيٍ، أو أقضي عليه بتأويل»[١].

وقد أقام ابن قتيبة منهجه في كتابه «تأويل مشكل القرآن» على عَرْض آياتٍ مِن كتاب الله تعالى، مُستشهدًا عليها بنصوصٍ مِن الشّعر العربيّ؛ ليقيم الحجّة على ما يقول، ويُسْقط دعوى الطّاعنين المشكّكين في القرآن الكريم، وبيّن ابن قتيبة أنّ إعجاز القرآن الكريم يتحقّق في تأليفه البديع، ونَظْمه العجيب[٢].

ويُعَدُّ ابن قتيبة مِن القائلين بإثبات المجاز في القرآن، كما أنّه قد رَدّ على مَنْ يرى أنّ المجاز كذب؛ إذ يقول: «وأمّا الطّاعنون على القرآن بالمجاز، فإنّهم زعموا أنّه كذب؛ لأنّ الجدار لا يريد[٣]، والقرية لا تُسْأل[٤] وهذا مِن أشْنع جهالاتهم، وأدلّها على سوء نظرهم، وقلّة أفهامهم»[٥].

وابن قتيبة هو خطيبُ أهل السُّنة، كما أنّ الجاحظ خطيبُ المعتزلة.

---

(١) (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، ص ٨١ -٨٢.

(٢) انظر (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، ص ٣.

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ سورة الكهف، الآية ٧٧.

(٤) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ سورة يوسف، الآية ٨٢.

(٥) (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، ص ١٦٩.

وذكر ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) فنونًا وألوانًا بلاغيّة، يمكن إجمالها في الآتي: المجاز العقلي، والالتفات، وإيجاز الحذف، وبعض أنواع الإنشاء الطلبي، والتشبيه، والمجاز المرسل، والاستعارة، والكناية والتعريض، والمشاكلة، والمبالغة(١).

٣- (بيان إعجاز القرآن) لأبي سليمان: حمد بن محمّد الخطّابي (ت٣٨٨هـ)

والخطّابي مِن علماء أهل السُّنة والجماعة على أصحّ الأقوال؛ لأنّه «وافق أهلَ السُّنة في كثيرٍ مِن مسائل العقيدة، وأنّ مخالفته لهم اتّضحتْ بصورةٍ جلية في توحيد الأسماء والصّفات، ولكن هذه المخالفة ليستْ مخالفةَ عناد واستكبار، وإنّما هي اجتهاداتٌ محتملة للخطأ والصّواب»(٢).

وقد خصّص الخطّابي رسالته «**بيان إعجاز القرآن**» لشرح فكرة الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم؛ حيث ذكر في مقدّمة رسالته هذه أنّ سبب تأليفه إيّاها هو: الردّ على القائلين بالصّرْفة؛ لأنّ الوجه المرضي في إعجاز القرآن عند الخطّابي هو: الإعجاز البلاغيّ الذي يتحقّق في حُسْن

(١) انظر (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، ص ٧٨، ٩٩، ١٠١، ١١٠، ١٢٧، ١٣١، ١٣٤، ١٤٠، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٤٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٦، ٢٩٨.

(٢) (منهج الخطّابي في العقيدة) لإبراهيم بن عبدالله الحمّاد، ص ٦٩٦.

نَظمه، وجمال ألفاظه، وسموّ معانيه، مُشيرًا إلى أنّ الإعجاز نفسه أمرٌ ثابت للقرآن الكريم؛ إذ يقول: «والأمرُ في ذلك أبين مِن أنْ نحتاج إلى أنْ ندلّ عليه بأكثر مِن الوجود القائم المستمر على وجه الدّهر، مِن لدن عصر نزوله إلى الزمان الراهن الذي نحن فيه»(١).

والخطّابي مِن أوائل الذين أشاروا إلى فكرة النّظْم، وحاول تحليل بعض الآيات على أساس فهمه لها؛ إذ يقول مُحدّدًا إعجاز القرآن الكريم القائم على اللفظ والمعنى والنّظم: «وإنّما يقوم الكلامُ بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأمّلتَ القرآن وجدتَ هذه الأمور منه في غاية الشّرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئًا مِن الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب مِن ألفاظه، ولا ترى نَظْمًا أحسن تأليفًا، وأشدّ تلاؤمًا وتشاكلًا مِن نَظْمه، وأمّا المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنّها هي التي تشهد لها العقول بالتقدُّم في أبوابها، والترقّي إلى أعلى درجات الفضل مِن نعوتها وصفاتها»(٢).

وفي جانب الإعجاز القرآنيّ تناول الخطّابي ميزة تأليف القرآن، وتركيبه، وبلوغه حدّ الإعجاز؛ إذ يقول: «واعلم أنّ القرآن إنّما صار

(١) (بيان إعجاز القرآن) للخطّابي – وهي رسالة مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – بتحقيق: محمّد خلف الله، والدكتور: محمّد زغلول سلّام، ص ٢١.
(٢) (بيان إعجاز القرآن) للخطّابي، ص ٢٧.

معجزًا؛ لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مُضَمّنًا أصحّ المعاني، مِن توحيدٍ له عزّتْ قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاءٍ إلى طاعته، وبيانٍ بمنهاج عبادته؛ مِن تحليلٍ وتحريم، وحَظرٍ وإباحة، ومِن وعظٍ وتقويم، وأمرٍ بمعروف ونهي عن منكر... ومعلومٌ أنّ الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتّسق أمرٌ تعجز عنه قُوى البشر، ولا تبلغه قُدَرهم، فانقطع الخلقُ دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله»[١].

وقد بيّن الخطابي أنّ القرآن الكريم إنّما يُعَدّ معجزة؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ، متضمّنًا أصحّ المعاني، وأنّ عناصر الإعجاز عنده ثلاثة؛ هي: لفظٌ حامل، ومعنى به قائم، ورباطٌ لهما ناظم، فالإعجاز عنده بثلاثة أمور: الألفاظ، والمعاني، والنّظوم؛ حيث يقول: «وإذا تأمّلت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئًا مِن الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب مِن ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا، وأشدّ تلاؤمًا وتشاكلًا مِن نظمه، وأمّا المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنّها هي التي تشهد لها العقول بالتقدُّم في أبوابها، والترقّي إلى أعلى درجات الفضل مِن نعوتها وصفاتها»[٢].

---

(١) (بيان إعجاز القرآن) للخطّابي، ص ٢٧ – ٢٨.

(٢) (بيان إعجاز القرآن) للخطّابي، ص ٢٧.

إذًا: إعجاز القرآن عند الخطّابي راجعٌ إلى بلاغته، التي ترجع إلى جمال ألفاظه، وحُسْن نظمه، وسموّ معانيه.

وقد استدلّ الخطّابي على إعجاز القرآن الكريم بعجز العرب عن معارضته، رغم التحدّي الذي طرق أسماعهم وأقلق مضاجعهم، فلو كان الإتيان بمثل القرآن ممكنًا لما توانى العربُ لحظة في معارضته؛ ومن ثَم كان إعجاز القرآن الكريم أكبرَ دليلٍ على نبوّة محمّد عليه الصلاة والسلام؛ حيث يقول الخطّابي: «وذلك أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قد تحدّى العرب قاطبة بأنْ يأتوا بسورةٍ مِن مثله فعجزوا عنه، وانقطعوا دونه، وقد بقي صلّى الله عليه وسلّم يُطالبهم به مدّة عشرين سنة؛ مُظهرًا لهم النكير، زاريًا على أديانهم، مُسَفِّهًا آراءهم وأحلامهم، حتى نابذوه وناصبوه الحرب... ولو كان ذلك في وسعهم وتحت أقدارهم لم يتكلّفوا هذه الأمور الخطيرة... فكيف كان يجوز - على قول العرب ومجرى العادة مع وقوع الحاجة، ولزوم الضرورة - أنْ يُغفلوه ولا يهتبلوا الفرصة فيه، وأنْ يضربوا عنه صفحًا، ولا يحوزوا الفلح والظفر فيه، لولا عدم القدرة عليه، والعجز المانع منه؟»(1).

وقد أشار الخطّابي في آخر رسالته «**بيان إعجاز القرآن**» إلى وجه آخر مِن وجوه إعجاز القرآن الكريم، أسماه «**الإعجاز التأثيريّ للقرآن، أو**

(1) (بيان إعجاز القرآن) للخطّابي، ص ٢١ - ٢٢.

الإعجاز النفسيّ» وهذا الوجه تفرّد به الخطّابيّ، وسبق غيره إلى تقريره وبيانه؛ حيث يقول: «قلتُ في إعجاز القرآن وجهًا آخر ذهب عنه النّاس، فلا يكاد يعرفه إلّا الشاذّ مِن آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النّفوس، فإنّك لا تسمعُ كلامًا غيرَ القرآن - منظومًا ولا منثورًا - إذا قرع السّمعَ خلص له إلى القلب مِن اللذّة والحلاوة في حالٍ، ومِن الرّوعة والمهابة في أخرى ما يخلص مِنه إليه، تستبشر به النّفوسُ، وتنشرح له الصدور... فكم مِن عدوّ للرسول صلّى الله عليه وسلّم مِن رجال العرب وفُتّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آياتٍ مِن القرآن، فلم يلبثوا حين وقعتْ في مسامعهم أنْ تحولّوا عن رأيهم الأوّل، وأنْ يركنوا إلى مُسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارتْ عداوتهم موالاةً، وكفرهم إيمانًا»[(١)].

فهذا الوجه المعجز الذي أشار إليه الخطّابي هو شاملٌ للقرآن الكريم، وباقٍ إلى قيام الساعة؛ لقوّة تأثيره في النفوس، وعظيم صنيعه بالقلوب.

وقد علّق الدكتور/ عبدالكريم الخطيب على كلام الخطّابي حول الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، فقال[(٢)]: «وهذا الوجه مِن وجوه

---

(١) (بيان إعجاز القرآن) للخطّابي، ص ٧٠.

(٢) (الإعجاز في دراسات السابقين) للدكتور: عبدالكريم الأسعد، ص ١٩٣.

الإعجاز هو - فيما نرى - المعجزة القائمة في القرآن أبدًا، الحاضرة في كلّ حين، وهي التي تسع النّاس جميعًا، عالمهم وجاهلهم، عربيّهم وأعجميّهم، إنسهم وجنّهم ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١﴾[1].

أمّا الوجوه الأخرى التي عرضها الخطّابي لإعجاز القرآن فهي وجوه لا تظهر لكلّ ناظر، ولا تتجلّى في كلّ حين».

ومِن وقفات الخطّابي عند دقّة استعمال القرآن الكريم لألفاظه، ردُّه على مَنْ زعم أنّ لفظة ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۝١٧﴾[2]، لم تأتِ في موضعها المناسب لها؛ لأنّ العرب تستعمل في هذا الموضع كلمة الافتراس فيقولون «افترسه السَّبُع». أمّا الأكل فهو عام لا يختصّ به نوعٌ مِن الحيوان دون آخر، فيردّ الخطّابي هذه الشبهة بقوله: «إنّ الافتراس معناه في فعل السَّبُع: القتل فحسب، وأصل الفَرْس دقّ العنق، والقوم إنّما ادّعوا على الذئب أنّه أكله أكلًا، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلًا ولا عظمًا، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إيّاهم بأثرٍ باقٍ منه يشهد

(١) سورة الجنّ، الآية ١.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٧.

بصحّة ما ذكروه، فادّعوا فيه الأكل؛ ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفَرْس لا يعطي تمام هذا المعنى، فلم يصلح على هذا أنْ يُعَبّر عنه إلّا بالأكل»[1].

المطلب الثّاني: جهود المتكلّمين، وأثرهم في البحث البلاغيّ

قضيّة الإعجاز القرآنيّ مِن أهمّ القضايا التي اهتمّ بها المتكلّمون - سواء أكانوا معتزلة أم أشاعرة -؛ لأنّهم بحثوا في أسرار بلاغة كتاب الله تعالى، وبيان سرّ إعجازه، وطُرق الاستدلال بأساليبه على إثبات هذا الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم، والردّ على منكريه مِن المُلْحدين، وأعداء الدّين «ومِن ثمّ انطبع الدفاع بطبيعة المتكلّمين المتحرّرة الجريئة، المسلَّحة بالدين والفلسفة، والثقافة الواسعة، ورأينا دفاعهم مِن ناحية أخرى قد انطبع بطبيعة انقسامهم إلى: معتزلة، وأشاعرة»[2].

وقضيّة الإعجاز القرآنيّ نشأتْ أوّل ما نشأتْ على أرضية الحِجاج الجدلي، والبرهان العقلي؛ لأنها وُلدتْ في بيئة المتكلّمين؛ حيث قرّر القاضي الباقلاني: أنّ إثبات الإعجاز القرآنيّ يتضمّن إثبات ما وراءه مِن حقائق؛ لأنّ «إثبات كون القرآن كلام الله بواسطة إثبات إعجازه،

---

(١) (بيان إعجاز القرآن) للخطّابي، ص ٤١.

(٢) (المتكلّمون ونظرية إعجاز القرآن) للدكتور: منير سلطان، ص ٥.

متضمّنٌ لإثبات المتكلّم والكلام معًا»[1].

وهذا ما يُفسّر ارتباط قضيّة الإعجاز القرآنيّ في مبدئها بالمتكلّمين عمومًا، وبالمعتزلة منهم على وجه الخصوص؛ لأنهم أسبقُ الفرق الكلاميّة إلى دراسة العقيدة، والدّفاع عنها.

فبيئة المتكلّمين - إذًا - مِن البيئات التي أسهمتْ بنصيبٍ وافرٍ في البحث البلاغيّ وإثرائه؛ وذلك لأنهم ذكروا - مِن خلال جدلهم أعداء الإسلام المشكّكين، والطاعنين في القرآن الكريم - مباحث واسعةً في إعجاز القرآن مِن حيث: بلاغته وبيانه، وأفردوا - تبعًا لذلك - مؤلّفات خاصةً في الإعجاز، تحوي فنونًا وألوانًا بلاغيّة، ومِن أهمّ هذه المؤلفات:

١- كتاب (نظم القرآن) لأبي عثمان: عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ).

وهو يُشير إليه كثيرًا في كتابه الآخر «البيان والتبيين» ويُحيل عليه في كثيرٍ مِن الأمور والقضايا، إلّا أنه مع الأسف يُعَدُّ مِن الكنوز المفقودة مِن تراثنا العلمي، وقد كشف الجاحظ صراحةً عن غايته وهدفه مِن تأليف كتابه «نظم القرآن» قائلًا: «أجْهدتُ فيه نفسي، وبلغتُ منه أقصى ما

(١) (إعجاز القرآن) للقاضي الباقلاني، ص ٣٩.

يمكن مثلي في الاحتجاج للقرآن، والردّ على كلّ طعّان»[1].

وقد أشار أبو الحسين الخيّاط (ت٢٩٠هـ) – أحد أعلام المعتزلة – إلى قيمة هذا الكتاب بقوله: «لا يَعْرف المتكلّمون أحدًا منهم نَصَر الرّسالة، واحتجّ للنبوّة بلغ في ذلك ما بلغه الجاحظ، ولا يُعْرَف كتابٌ في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه، وأنّه حجّةٌ لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم على نبوّته غير كتاب الجاحظ»[2].

وممّا يُحْمَد للجاحظ ردُّه على شيخه وأستاذه أبي إسحاق: إبراهيم بن سيّار النظّام (ت٢٣١هـ) – أحد كبار المعتزلة –؛ لأنّ النظّام يرى أنّ إعجاز القرآن الكريم إنّما هو بالصَّرْفة، أي: أنّ الله تعالى قد صرف العربَ عن معارضته، مع قدرتهم الذاتية عليه.

معنى هذا الكلام: أنّ النظّام يرى أنّ القرآن لم يكن معجزًا بنظمه وتأليفه؛ حيث يقول: «إنّ نظم القرآن، وحُسْنَ تأليف كلماته ليس بمعجزةٍ للنبي عليه الصّلام والسّلام، ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوّة، وإنّما وجه الدّلالة منه على صدقه ما فيه مِن الإخبار عن الغيوب، فأمّا نَظْم القرآن، وحُسْن تأليف آياته، فإنّ العباد قادرون على مثله،

(١) (رسائل الجاحظ) ٢/ ١٢١ – ١٢٢.
(٢) (الانتصار) لأبي الحسين الخيّاط، ١/ ١٥٤ – ١٥٥.

وعلى ما هو أحسن منه في النّظْم والتأليف»[١].

ويقول أيضًا: «الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه مِن الإخبار عن الغيوب، وأمّا التأليف والنّظْم فقد كان يجوز أنْ يقدر عليه العباد، لولا أنّ الله منعهم بِمَنْعٍ وعَجْزٍ أحدثهما فيهم»[٢].

إذًا: فالنظّام يرى أنّ القرآن معجزٌ بما فيه مِن الإخبار بالأمور الغيبيّة، وبالصّرْفة، فقد كان العرب قادرين على أنْ يأتوا بمثله لولا أنّ الله تعالى منعهم، وسلب عقولهم، وصرف قدرتهم.

ويقول البغدادي (ت٤٢٩هـ) متعجّبًا مِن رأي النظّام: «فأنكر النظّام إعجاز القرآن في نظْمه، وأنكر ما روي في معجزات نبيّنا صلى الله عليه وسلّم مِن: انشقاق القمر، وتسبيح الحصى في يده، ونَبْع الماء مِن بين أصابعه؛ ليتوصّل بإنكار معجزات نبيّنا عليه الصلاة والسّلام إلى إنكار نبوّته»[٣].

إذًا: الجاحظ هو أوّلُ مَنْ عارض أستاذه - النظّام - وَرَدّ مقولته وخالفه؛ لأنّ الجاحظ يرى أنّ الإعجاز بالنّظر إلى ذات القرآن متّصلٌ

(١) (الفرق بين الفِرَق) لأبي منصور البغدادي، ص ١٢٨.
(٢) (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين) لأبي الحسن الأشعري، ١/ ٢٧١.
(٣) (الفرق بين الفرق) للبغدادي، ص ١٣١.

بنظمه وحده، بصرف النّظر عمّا اشتمل عليه مِن المعاني[1].

ويُعَدُّ الجاحظ أوّل مَنْ قال بنظم القرآن، غير أنّه لم يتوسّع في شَرْح فكرته وتفصيلها، لكن يُحْمَد له الفضل في وَضْع اللبنة الأولى لنظرية «النّظم» التي أكملها الشيخ عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ).

وخلاصة رأي الجاحظ في مسألة الإعجاز القرآني: «أنّ الإعجاز متّصلٌ بالنّظم وحده، بصرف النّظر عمّا يحويه القرآن مِن المعاني؛ إذ طلب الله تعالى منهم أنْ يأتوا بعشر سورٍ مِن مثله في النّظم والرّوعة في التأليف، حتّى ولو حوى التأليفُ الرّائع كلّ باطلٍ ومفترى لا معنى له»[2].

فالجاحظ إذًا: يُؤمن بأنّ القرآن الكريم معجزٌ بنظمه وتأليفه؛ حيث يقول: «كما عنيتُ في كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن، وغريب تأليفه، وبديع تركيبه»[3].

ويقول أيضًا في موضع آخر: «وفي كتابنا المنزّل الذي يدلّنا على أنّه صِدقٌ، نَظمُه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد، مع ما سِوَى ذلك مِن

---

(١) انظر (أثر القرآن في تطوّر النقد العربيّ إلى آخر القرن الرابع الهجري) للدكتور: محمّد زغلول سلّام، ص ٧٧.

(٢) (التعبير الفنّي في القرآن) للدكتور: بكري شيخ أمين، ص ١٥٤.

(٣) (الحيوان) للجاحظ، ١/ ٩.

الدّلائل التي جاء بها مَنْ جاء به»[1].

يتبيّن لنا ممّا سبق: أنّ القول بالصَّرْفة فاسدٌ، ويستلزم أمورًا، أشار إليها السيوطي بقوله: «وهذا قولٌ فاسد؛ بدليل ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾[2] الآية، فإنّه يدلّ على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سُلبوا القدرة لم تبقَ فائدة لاجتماعهم؛ لمنزلته منزلة اجتماع الموتى... هذا مع أنّ الإجماع منعقدٌ على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزًا وليس فيه صفةُ إعجاز؟ بل المعجز هو الله تعالى؛ حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله.

وأيضًا: فيلزم مِن القول بالصَّرْفة، زوالُ الإعجاز بزوال زمان التحدّي، وخلوّ القرآن مِن الإعجاز، وفي ذلك خَرْقٌ لإجماع الأمّة: أنّ معجزة الرسول العظمى باقيةٌ، ولا معجزة له باقية سوى القرآن»[3].

يضافُ إلى ذلك أنّ القول بالصَّرْفة باطلٌ بنصوص القرآن الكريم التي تَحدّتِ العربَ أنْ يأتوا بمثله، ثُمّ بإجماع الأمّة على أنّ الإعجاز ذاتيّ في القرآن غير منفكّ عنه؛ حيث يقول الإمام القرطبي (ت٦٧١هـ)

(١) (الحيوان) للجاحظ، ٤/ ٩٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٣) (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي، ٢/ ١٥١.

رحمه الله تعالى: «إجماع الأمّة قبل حدوث المخالف: أنّ القرآن هو المُعْجز، فلو قلنا: إنّ المنع والصَّرْفة هو المعجز، لخرج القرآن عن أنْ يكون معجزًا، وذلك خلاف الإجماع، وإذا كان كذلك عُلِمَ أنّ نفس القرآن هو المعجز؛ لأنّ فصاحته وبلاغته أمرٌ خارق للعادة؛ إذ لم يوجد كلامٌ قطّ على هذا الوجه، فلمّا لم يكن ذلك الكلام مألوفًا معتادًا منهم، دلّ على أنّ المنع والصَّرْفة لم يكن معجزًا»[(١)].

٢ - (إعجاز القرآن) لأبي عبدالله: محمّد بن يزيد الواسطي (ت٣٠٦هـ).

وهذا الكتاب اهتمّ به الشيخ عبدالقاهر الجرجاني؛ لأنه «شَرَحه شَرْحًا كبيرًا سمّاه «المعتضد» وشَرْحًا آخر أصغر منه»[(٢)].

يقول الدكتور / أحمد مطلوب: «ولا يُعْرَف عنه شيءٌ، مع أنّ عبدالقاهر الجرجاني شرحه مرتين؛ لأنّ الأصل وشَرْحيه قد ضاعا، وإنْ كان العنوان يدلّ على أنّه عالج مسألة النّظم، وأقام عليها إعجاز كتاب الله»[(٣)].

(١) (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي، ١/ ٧٥.

(٢) (إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة) لمصطفى صادق الرافعي، ص ١٠٦، وانظر (كشف الظنون) لحاجي خليفة، ١/ ١٢٠.

(٣) (أساليب بلاغيّة) للدكتور: أحمد مطلوب، ص ٦٩.

٣ - (النكت في إعجاز القرآن) لأبي الحسن: علي بن عيسى الرمّاني (ت٣٨٦هـ).

هو أبو الحسن: علي بن عيسى الرمّاني، أحد أعلام المعتزلة في عصره، كان واسعَ الاطّلاع، غزير العلم، متقنًا لعلوم اللغة والنحو، ومن أجل ذلك لُقّب «الرمّاني» بالنحوي، شيخ العربيّة، صاحب التصانيف، وكان يمزج كلامه في النحو بالمنطق.

يقول عنه أبو حيّان التوحيدي (ت٤٠٤هـ): «وأمّا علي بن عيسى الرُمّاني فعالي الرتبة في النحو واللغة، والكلام، والعروض، والمنطق»[(١)].

إضافةً إلى أنّ الرمّاني كان (متفنّنًا في علومٍ كثيرة؛ مِن الفقه، والقرآن، والنحو، واللغة، والكلام على مذهب المعتزلة)[(٢)].

ورسالةُ الرُمّانيّ «**النكت في إعجاز القرآن**» هي رسالةٌ إعجازيّة بلاغيّة ألّفها الرمّاني؛ دفاعًا عن القرآن الكريم، وإبرازًا لوجوه إعجازه، وهي وإنْ كانتْ دراسةً تحليليّة للإعجاز، إلّا إنّها في معظمها تدور حول البلاغة العربيّة ومباحثها، وعكستْ لنا اختصاص الرمّاني العلمي، ومنهجه الاستدلاليّ التحليليّ في توصيل أفكاره وآرائه، وقد ظهر في «الرسالة» أثرُ الاعتزال وعلم الكلام؛ لحاجته إليهما في الدفاع عن القرآن

(١) (الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيّان التوحيدي، ١/ ١٣٣.
(٢) (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، ١٢/ ١٧.

الكريم، وتنزيهه عن المطاعن.

والرّمّاني - إذًا - هو (شيخُ العربيّة في زمانه)[1] وأحدُ متكلّمي المعتزلة، وقد بيّن أنّ تأليفه لرسالته كان إجابةً لسؤالٍ وُجّه إليه حول النكت في إعجاز القرآن الكريم؛ إذ يقول: «سألتَ - وفّقك الله - عن ذكر النّكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحِجاج، وأنا أجتهدُ في بلوغ محبّتك، والله الموفّق للصواب بمنّه ورحمته»[2].

ورسالة الرُمّانيّ هذه تُعَدّ (أوّل دراسةٍ فنّية ذات وحدة متماسكة، فتحتِ البابَ بعد ذلك لدراساتٍ أوسعَ وأشمل وأعمق)[3].

وقد قرّر الرمّاني: أنّ القرآن الكريم معجزٌ ببلاغته وأسلوبه ونَظْمه، وأنّه معجزٌ للعرب والعجم على حدّ سواء.

وبيّن الرمّاني أنّ وجوه إعجاز القرآن الكريم تظهر مِن سبع جهاتٍ، هي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدّة الحاجة، والتحدّي للكافّة، والصَّرْفة، والبلاغة، والأخبار الصّادقة عن الأمور المستقبلة، ونَقض

(١) (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي، ٣/ ١٠٩.

(٢) (النكت في إعجاز القرآن) للرمّاني - وهي رسالة مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - ص ٧٥.

(٣) (بلاغة القرآن بين الفنّ والتاريخ) للدكتور: فتحي أحمد عامر، ص ١١٢.

العادة، وقياسه بكلّ معجزة[١].

ونظرًا لأنّ الرمّاني يُعَدُّ أحدَ المتذوّقين للبلاغة القرآنيّة، فقد خصّ «البلاغة» دون غيرها مِن الوجوه السّبعة بحديثٍ مفصّل؛ حيث عرّف البلاغة بأنّها «إيصالُ المعنى إلى القلب في أحسن صورةٍ مِن اللفظ... والبلاغة على ثلاث طبقات؛ منها: ما هو في أعلى طبقة، ومنها: ما هو في أدنى طبقة، ومنها: ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقةً فهو معجزٌ – وهو بلاغة القرآن – وما كان منها دون ذلك فهو ممكن، كبلاغة البلغاء من النّاس»[٢].

بعد ذلك يعرض الرمّاني لأقسام البلاغة، فيذكر أنّها عشرة أقسام هي: (الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحُسْن البيان)[٣]، وعرّف كلّ قسمٍ منها، ممثّلًا لها بشواهد مِن القرآن الكريم، وبليغ الكلام.

ورسالة الرمّاني هذه كان لها أثرٌ كبير في تاريخ البلاغة؛ لأنّها كانتْ مصدرًا يستقي منه العلماء الذين أتوا بعده، وعُنوا بالبلاغة العربيّة عامة، والبلاغة القرآنيّة خاصّة.

---

(١) انظر (النكت في إعجاز القرآن) للرمّاني، ص ٧٥.

(٢) (النكت في إعجاز القرآن) للرمّاني، ص ٧٥ – ٧٦.

(٣) (النكت في إعجاز القرآن) للرمّاني، ص ٧٦.

والمأخذ الذي أُخذ على الرمّاني: أنّه جعل الصَّرْفة وَجْهًا مِن وجوه الإعجاز؛ إذ يقول: «وهذا عندنا أحدُ وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول»(١)، وقد قال به الرمّاني؛ مجاراةً لمذهبه الاعتزاليّ الذي اضطر أنْ يجاري به أهل زمانه، وقد رَدّ العلماء ذلك القول ولم يقبلوه.

٤- (إعجاز القرآن) للقاضي أبي بكر: محمّد بن الطيّب الباقلاني (ت٤٠٣هـ).

ولعلّ الباقلاني هو أوّل مَنْ ألّف في الإعجاز كتابًا مستقلًّا به مقصورًا عليه؛ إذ كان كتابه «إعجاز القرآن» مِن أوسع الكتب التي أُلّفتْ لبيان إعجاز القرآن الكريم؛ حيث يقول الرافعي: «وجاء القاضي أبو بكر الباقلاني، المتوفّى سنة ٤٠٣هـ، فوضع كتابه المشهور «إعجاز القرآن» الذي أجمع المتأخّرون مِن بعد على أنّه بابٌ في الإعجاز على حدة، والغريب أنّه لم يذكر فيه كتاب الواسطي، ولا كتاب الرّماني، ولا كتاب الخطّابي الذي كان يُعاصره، وأومأ إلى كتاب الجاحظ بكلمتين لا خير فيهما، فكأنّه هو الذي ابتدأ التأليفَ في الإعجاز بما بسط في كتابه واتّسع»(٢).

والباقلاني مِن أعلام المتكلّمين على مذهب الأشاعرة، وقد ألّف

---

(١) (النكت في إعجاز القرآن) للرمّاني، ص ١١٠.

(٢) (تاريخ آداب العرب) لمصطفى صادق الرافعي، ٢/ ١٥٣.

كتابه «إعجاز القرآن» بهدف الكشف عن إعجاز القرآن الكريم، وبيان الوجوه التي كان بها معجزًا.

وقد ذكر الباقلاني أنّ مِن وجوه إعجاز القرآن الكريم براعةَ نَظْمه وتأليفه، الذي يتميّز به عن أساليب الكلام المعتاد؛ لأنّه (بديعُ النَّظْم، عجيبُ التأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحدّ الذي يُعْلَمُ عجزُ الخلق عنه)[1].

ومِن أجل ذلك فقد عقد الباقلانيّ بعض الموازنات بين القرآن الكريم وبين أساليب البلغاء نثرًا وشعرًا، أثبت من خلالها بلاغةَ أسلوب القرآن الكريم ونظْمه، وأنّ أسلوبه خاصٌّ به لا يشابهه فيه غيره؛ لأنّ نَظم القرآن الكريم خارجٌ عن جميع وجوه النّظم المعتاد في كلام العرب؛ إذ يقول الباقلانيّ: «فأمّا شأو نظم القرآن فليس له مثالٌ يحتذى إليه، ولا إمامٌ يقتدى به، ولا يصحّ وقوع مثله اتّفاقًا»[2].

إذًا: الباقلانيّ يرى أنّ إعجاز القرآن الكريم يتمثّل في نظمه وتأليفه المباين لما عليه كلام العرب؛ إذ يقول: «انظر بسكون طائر، وخَفْض جناح، وتفريغ لُبّ، وجَمْع عقل في ذلك، فسيقع لك الفضلُ بين كلام النّاس وبين كلام ربّ العالمين، وتعلم أنّ نظم القرآن يخالف نظم كلام

(١) (إعجاز القرآن) للقاضي الباقلاني، ص ٦٥.

(٢) (إعجاز القرآن) للقاضي الباقلاني، ص ١٦٢.

الآدميين»[١].

وأشار أحدُ الباحثين إلى أنّ القاضي الباقلانيّ قد تأثّر في نظريته حول «إعجاز القرآن» «بفكرة الجاحظ التي ذهب فيها إلى أنّ مرجع الإعجاز في القرآن إلى نَظمه وأسلوبه العجيب، كما تأثّر - أيضًا - بفكرة الرمّاني التي ذهب فيها إلى أنّ القرآن يرتفع إلى أعلى طبقةٍ مِن طبقات البلاغة»[٢].

فالباقلانيّ يرفض فكرة إثبات الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم عن طريق ما فيه مِن بديع؛ وذلك لأنّه على حدّ تعبيره «لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن مِن البديع الذي ادّعوه في الشعر، ووصفوه فيه، وذلك أنّ هذا الفنّ ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العُرْف، بل يمكن استدراكه بالتعلّم والتدرّب به، والتصنّع له، كقول الشعر، ورصف الخُطب، وصناعة الرسالة، والحذق في البلاغة، وله طريقٌ يُسْلك، ووجه يُقصَد، وسُلّم يُرتقَى فيه إليه»[٣].

وممّا يُحْمَد للباقلاني أنّه لم يرَ في القول بالصَّرْفة وجهًا مِن وجوه الإعجاز؛ إذ يقول في بطلانها: «وممّا يُبْطل ما ذكروه مِن القول بالصَّرْفة:

(١) (إعجاز القرآن) للقاضي الباقلاني، ص ٢٠٨.

(٢) (البلاغة: تطوّر وتاريخ) للدكتور: شوقي ضيف، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٣) (إعجاز القرآن) للقاضي الباقلاني، ص ١٦١.

أنّه لو كانت المعارضة ممكنةً وإنّما منع منها الصَّرْفة لم يكن الكلام مُعْجزًا، وإنّما يكون المنع معجزًا، فلا يتضمّن الكلام فضيلةً على غيره في نفسه.

وليس هذا بأعجب ممّا ذهب إليه فريقٌ منهم: أنّ الكلّ قادرون على الإتيان بمثله، وإنّما يتأخّرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيب، لو تعلّموه لوصلوا إليه به، ولا بأعجب مِن قول فريق منهم: إنّه لا فرق بين كلام البشر، وكلام الله تعالى في هذا الباب، وإنّه يصحّ مِن كلّ واحدٍ منهما الإعجاز على حدٍّ واحد»[(١)].

ومِن الألوان والفنون البلاغيّة التي أشار إليها القاضي الباقلاني: السجع، والتشبيه، والاستعارة، والكناية والتعريض، والمبالغة والغلوّ، والمطابقة، والتجنيس، والمقابلة، والموازنة، والمساواة، والالتفات، والفواصل[(٢)].

٥ - (إعجاز القرآن) للقاضي عبدالجبّار الأسد آبادي (ت٤١٥هـ).

هو قاضي القضاة عبدالجبّار بن أحمد الهمذاني الأسد آبادي، نسبةً إلى «أسد آباد» وهي مدينة مشهورة بينها وبين همذان مرحلة واحدة نحو

(١) (إعجاز القرآن) للقاضي الباقلاني، ص ٥٨.

(٢) انظر (إعجاز القرآن) للقاضي الباقلاني، ص ٩٨، ١١١، ١١٨، ١٢٤، ١٢٧، ١٣١، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٨.

العراق[1].

ويقول صاحب «الطبقات الكبرى» مشيرًا إلى مكانة القاضي عبدالجبّار: «وهو الذي تُلقّبه المعتزلة بقاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على سواه، ولا يعنون به عند الإطلاق غيره، كان إمامَ الاعتزال في زمانه، وله التصانيف السائرة، والذكر الشائع بين الأصوليين، وبَعُدَ صيته، ورحل إليه الطلّاب»[2].

وهو من رؤوس المعتزلة، وله مصنّفاتٌ كثيرة في الدراسات القرآنيّة، منها كتاب «**المغني في أبواب التوحيد والعدل**» حيث خصّص الجزء السّادس عشر منه للبحث في: إعجاز القرآن الكريم.

وهو يرى: أنّ الفصاحة تقوم على ضمّ الكلمات وتقارنها، وهي الفكرة التي تبنّاها الشيخ عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) فيما بعد، وسمّاها «نظرية النَّظْم».

يقول القاضي عبدالجبّار: «اعلم أنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنّما تظهر في الكلام بالضمّ على طريقةٍ مخصوصة، ولا بُدّ مع الضمّ مِن أنْ يكون لكلّ كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أنْ تكون بالمواضعة التي تتناول الضمَّ، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخلٌ فيه،

(١) انظر (معجم البلدان) لياقوت الحموي، ١/ ١٠٨.
(٢) (طبقات الشافعية الكبرى) لتاج الدين السبكي، ٢/ ٢٧٩.

وقد تكون بالموقع»[1].

وعند حديث القاضي عبدالجبّار عن الكلام الفصيح، نقل رأي شيخه أبي هاشم الجُبَّائي في الفصاحة التي بها يُفضَّل بعض الكلام على بعض، وهو قوله: «قال شيخنا أبو هاشم: إنّما يكون الكلامُ فصيحًا؛ لجزالة لفظه، وحُسْن معناه، ولا بُدّ مِن اعتبار الأمرين؛ لأنّه لو كان جزل اللفظ، ركيك المعنى لم يُعَدّ فصيحًا، فإذن يجب أنْ يكون جامعًا لهذين الأمرين، وليس فصاحة الكلام بأنْ يكون له نظمٌ مخصوص؛ لأنّ الخطيب عندهم قد يكون أفصحَ مِن الشاعر، والنّظْم مختلف، إذا أريد بالنّظم اختلافُ الطريقة، وقد يكون النّظم واحدًا وتقع المزيّة في الفصاحة، فالمعتبر ما ذكرناه؛ لأنّه الذي يتبيّن في كلّ نظم وكلّ طريقة»[2].

وعقد القاضي عبدالجبّار فصلًا طويلًا، بيّن فيه رأيه في «الإعجاز بالكلمة» أشار فيه إلى أنّ التأليف يقع على طرائق مختلفة، فتختلف لذلك مراتبه في الفصاحة، وهذا يُصحّح به التحدّي؛ إذ يقول: «هل يصلح الكلام أنْ يكون مادةً للتحدّي؟ وإذا صلح فهل يتّسع هذا التحدّي لقيام معجزة؟ - ثُمّ يجيب قائلًا -: إنّ للكلام الفصيح مراتب

(١) (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي عبدالجبّار، ١٦/ ١٩٩.

(٢) (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي عبدالجبّار، ١٦/ ١٩٧.

ونهايات، وأنّ جملة الكلمات - وإنْ كانتْ محصورة - فتأليفها يقع على طرائق مختلفة مِن الوجوه، فتختلف لذلك مراتبه في الفصاحة، فيجب ألّا يمتنع أنْ يقع فيه التفاضل، وتبين بعض مراتبه مِن بعض، ويزيد عليه قدرًا يسيرًا أو كبيرًا، وما هذا حاله فالتحدّي صحيحٌ فيه؛ لأنّ فيه مقادير معتادة تصحّ فيها زياداتٌ في الرتب غير معتادة»[1].

وكأنّ القاضي عبدالجبّار أراد بكلامه هذا أنْ يكشف شُبهةً ربّما قامتْ في بعض العقول، وهي «الإعجاز بالكلمة»؛ لأنّ «ما عُرف مِن المعجزات قبل القرآن كان يقوم على أشياء مادية محسوسة، تتحدّى قوى النّاس جميعًا، فتبهرهم بأفاعيلها، وتُخرسهم بآثارها وأعاجيبها... أمّا أنْ يكون الكلام مادةً للتحدّي فهذا ممّا لم يعهده النّاس قبل القرآن، ولم يتصوّروا وقوعه في الحياة يومًا مِن الأيّام»[2].

والقاضي عبدالجبّار لا يرتضي أنْ تكون الصّرْفة وجهًا مِن وجوه إعجاز القرآن، وينبغي التنبيه إلى أنّ احتجاجه لدفع مذهب الصّرْفة سبقه إليه الخطّابي وهو معاصرٌ له، فهو يتّبع نفس المنهج، ويسير في نفس الاتّجاه[3].

---

(١) (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي عبدالجبّار، ١٦/ ٢١٤.

(٢) (الإعجاز النحوي في القرآن الكريم) للدكتور: فتحي عبدالفتّاح الدجني، ص ٧٨.

(٣) انظر: (بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبّار) للدكتور: عبدالفتّاح لاشين، ص ٤٨٤.

بل إنّ القاضي عبدالجبّار قد ذهب إلى أبعد مِن ذلك، حين يرى أنّ الإخبار بالغيوب ليس وجهًا مِن وجوه الإعجاز، ويحتجّ لذلك «بأنّ القرآن تحدّاهم أنْ يأتوا بمثله أو بسورةٍ مِن مثله، دون أنْ يُخصّص شيئًا بعينه، والإخبار بالغيوب لا يوجد في كلّ سورةٍ مِن السور... والتحدّي إنّما هو بجملة القرآن لا بالبعض، فكيف يُصرف التحدّي إلى ما يتضمّن الإخبار عن الغيوب وحده؟!»[1].

نخلص مِن ذلك إلى أنّ وجه الإعجاز في القرآن الكريم عند القاضي عبدالجبّار - كما أشار إليه أحد الباحثين - ينحصر في «جزالة لفظه، وحُسْن معناه، على وجهٍ لم تبلغه بلاغة البلغاء، وفصاحة الفصحاء... ورفض أنْ يكون الإعجاز راجعًا إلى الصَّرْفة، أو الإخبار عن الغيوب... فكلّ هذه - عند عبدالجبّار - ليستْ مناطَ التحدّي بالقرآن، وإنْ كان لها شأنٌ في تثبيت دعائم الإعجاز، وترسيخه في النفوس»[2].

وقد حاول أحدُ الباحثين المقارنة بين القاضي الباقلاني والقاضي عبدالجبّار في أوجه الإعجاز؛ فقال: «إنّ الفرق بين كتاب الباقلاني وبين كتاب عبدالجبّار هو: أنّ كتاب الباقلانيّ قَصْرٌ على قضيّة الإعجاز مِن الناحية الفنّية، في حين أنّ كتاب عبدالجبّار يتناول طائفةً مِن قضايا

(١) (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي عبدالجبّار، ١٦/ ٢٢٠.

(٢) (الإعجاز في دراسات السابقين) للدكتور: عبدالكريم الخطيب، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

التوحيد والعدل، ويتناول كثيرًا مِن القضايا المتّصلة مِن القرآن وإنْ لم تكن مِن الإعجاز الفنّي مِن الصميم»[1].

والقاضي عبد الجبّار مِن أكثر العلماء وضوحًا في تناوله للنّظْم، وقد أفاد منه الشيخ عبدالقاهر الجرجاني الشيء الكثير؛ لأنّ القاضي عبدالجبّار «صاحبُ النظريّة أصلًا، وفَضْلُ اكتشافها وابتكارها يُنْسب إليه، وعبدالقاهر له فضيلةُ تفسيرها تفسيرًا دقيقًا؛ حتى أصبح فعلًا صاحبها الذي صوّرها وطبّقها، واستخرج على أساسها علم المعاني المعروف الآن بين علوم البلاغة»[2].

٦- (دلائل الإعجاز) و(الرسالة الشّافية في الإعجاز) للشيخ: عبدالقاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ).

وهو أحدُ المتكلّمين على مذهب الأشاعرة، وفي كتابه «**دلائل الإعجاز**» كشف عبدالقاهر عن دقائق إعجاز القرآن، وبيان الوجوه التي كان بها معجزًا، وبرهن وأثبت حقيقة عَجْز العرب عن معارضة القرآن الكريم، وانقطاعهم دونه؛ إذ يقول: «هاهنا نكتة... وهي أنّا إذا سُقْنا دليلَ الإعجاز فقلنا: لولا أنّهم حين سمعوا القرآنَ، وحين تُحُدُّوا إلى

(١) (الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن: دراسة تحليليّة نقدية) للدكتور: عبدالرؤوف مخلوف، ص ٤٧٥.

(٢) (فكرة النّظم بين وجوه الإعجاز) للدكتور: فتحي أحمد عامر، ص ٦٨.

معارضته، سمعوا كلامًا لم يسمعوا قطّ مثله، وأنهم رازوا أنفسهم فأحسّوا بالعجز عن أنْ يأتوا بما يُوازيه، أو يُدانيه أو يقع قريبًا منه، لكان محالًا أنْ يَدَعوا معارضته وقد تُحُدُّوا إليه، وقُرّعوا فيه، وطُولبوا به، وأنْ يتعرّضوا لشَبَا الأسِنّة(١)، ويقتحموا مواردَ الموت.

فقيل لنا: قد سمعنا ما قلتم، فخبّرونا عنهم، عمّا ذا عجزوا؟ أعن معانٍ مِن دقّة معانيه، وحُسْنها وصحّتها في العقول؟ أم عن ألفاظٍ مثل ألفاظه؟ فإنْ قلتم: «عن الألفاظ» فماذا أعجزهم مِن اللفظ، أم ما بهرهم منه؟

فقلنا: أعجزتهم مزايا ظهرتْ لهم في نَظْمه، وخصائصُ صادفوها في سياق لفظه، وبدائعُ راعتهم مِن مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها... وبهرهم أنّهم تأمّلوه سورة سورة، وعُشْرًا عُشْرًا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمةً ينبُو بها مكانها، ولفظةً يُنكر شأنها»(٢).

والشيخ عبدالقاهر الجرجاني نظر إلى نظريّة «النَّظْم» بذوقٍ وحصافةٍ ونُضْج؛ حيث اتّجه بالقضيّة اتجاهًا جديدًا، فهو يرى أنّ الجمال والرّوعة ليسا في اللفظ وحده؛ لأنّ اللفظ المفرد لا قيمة له في ميزان البلاغة، ولا في المعنى وحده.

---

(١) (شَبَا الأسنّة) حدّها وطرفها الذي يُصيب فيجرح، أو يقتل.

(٢) (دلائل الإعجاز) لعبدالقاهر الجرجاني، ص ٣٨ - ٣٩.

وإنّما سِرُّ الفصاحة والبلاغة عنده هو: النَّظْم، أو الأسلوب المؤلّف مِن اللفظ والمعنى معًا؛ إذ يقول: «إنّ الألفاظ لا تتفاضل مِن حيث هي ألفاظٌ مجرّدة، ولا مِن حيث هي كَلِمٌ مفردة، وأنّ الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، ممّا لا تعلّق له بصريح اللفظ»(١).

إذًا: فقد ربط عبد القاهر إعجازَ القرآن بالنّظْم وحده؛ أي: أنّ القرآن الكريم معجزٌ بنظمه، وما النّظْم عنده إلّا ائتلافُ الألفاظ، ووضعُها في الجملة الموضعَ الذي يفرضه معناها النّحْوي، فالمعنى النّحْوي للكلمة هو الذي يفرضُ تقديمها أو تأخيرها، تعريفها أو تنكيرها، ذِكْرها أو حذفها؛ حيث يقول عبدالقاهر: «اعلم أنْ ليس «النَّظْمُ» إلّا أنْ تضع كلامكَ الوضعَ الذي يقتضيه علمُ النّحْو، وتعملَ على قوانينه وأصوله، وتعرفَ مناهجه التي نُهِجتْ فلا تزيغ عنها، وتحفظَ الرّسومَ التي رُسِمَتْ لك، فلا تُخلّ بشيءٍ منها»(٢).

ويقول في موضعٍ آخر: «قد علمنا أنْ ليس« النَّظْمُ» شيئًا غير توخّي معاني النّحْو وأحكامه فيما بين الكَلِم»(٣).

---

(١) (دلائل الإعجاز) لعبدالقاهر الجرجاني، ص ٤٦.
(٢) (دلائل الإعجاز) لعبدالقاهر الجرجاني، ص ٨١.
(٣) (دلائل الإعجاز) لعبدالقاهر الجرجاني، ص ٣٩١ – ٣٩٢.

فالجمال – إذًا – عند عبدالقاهر مردُّه في النّهاية إلى نَظْم الكلام؛ لأنّ نَظْم القرآن الكريم وتأليفه هما مصدرُ الإعجاز فيه؛ إذ يقول: «فإذا بطل أنْ يكون الوصف الذي أعجزهم مِن القرآن في شيءٍ ممّا عدّدناه، لم يَبْقَ إلّا أنْ يكون في النَّظْم»(١).

و(**الرسالة الشّافية**) التي ألّفها الشيخ عبدالقاهر، هي مِن أفضل ما كُتِبَ في إعجاز القرآن الكريم؛ لأنّه تحدّث فيها عن حقيقة إثبات الإعجاز نفسه عن طريق عَجْز العرب عن معارضة القرآن؛ إذ يقول: «وهذه جُمَلٌ مِن القول في بيان عجْز العرب، حين تُحُدّوا إلى معارضة القرآن، وإذعانهم وعلمهم أنّ الذي سمعوه فائتٌ للقوى البشرية، ومتجاوزٌ للذي يتّسع له ذرعُ المخلوقين... قد تحرّيتُ فيها الإيضاحَ والتبيين، وحذوتُ الكلامَ حذوًا، هو بِعُرْف علماء العربيّة أشبه، وفي طريقهم أذهب، وإلى الأفهام جملة أقرب»(٢).

وقد دافع عبدالقاهر في رسالته هذه عن الإعجاز بمنهجٍ جدلي، نفى فيها القولَ بالصَّرْفة؛ مؤيّدًا كلامه بالأدلّة القاطعة؛ حيث خالف الكثيرين رأيهم حول الإعجاز، حين زعموا أنّ إعجاز القرآن الكريم إنّما هو

(١) (دلائل الإعجاز) لعبدالقاهر الجرجاني، ص ٣٩١.

(٢) (الرسالة الشافية في الإعجاز) لعبدالقاهر الجرجاني – وهي رسالة مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – ص ١١٧.

بـ«الصَّرْفة» أي: أنّ الله تعالى قد صرف العربَ عن مضاهاة القرآن الكريم، فدفع عبدالقاهر هذه الفكرة بقوّةٍ وإصرار، وألحّ على تبيان فسادها في مؤلفاته عن الإعجاز، معتبرًا أنّ إعجاز القرآن الكريم ليس بالصَّرْفة، وإنّما هو في: فصاحته وبلاغته.

فالفصاحة والبلاغة هما: مصدر الإعجاز في القرآن الكريم عن طريق النّظْم؛ لأنّ نَظْم القرآن وتأليفه هما: مصدر الإعجاز فيه.

فالشيخ عبدالقاهر لم يُعْجبه رأي القائلين بالصَّرْفة، ووقف مِن أصحاب القول فيها موقفَ جمهور العلماء منه؛ لأنّه رأى أنّه «قولٌ في غاية البُعْد والتّهافت»[1]؛ لأنّ القول بالصَّرْفة يؤدّي إلى أنْ يكون القرآن غيرَ معجزٍ في نفسه، وإنّما الإعجاز في أنْ «صُرِفَتْ هممهم وخواطرهم عن تأليف كلامٍ مثله، وكان حالهم على الجملة حالَ مَنْ أُعدِمَ العلمَ بشيءٍ قد كان يعلمه، وحِيلَ بينه وبين أمرٍ قد كان يتّسع له، لكان ينبغي أنْ لا يتعاظمهم، ولا يكون منهم ما يَدُلّ على إكبارهم أمره، وتعجُّبهم منه، وعلى أنّه قد بَهَرهم، وعَظُمَ كلّ العِظَم عندهم»[2].

وقد عرض عبدالقاهر لكثيرٍ مِن الألوان والفنون البلاغيّة؛ مثل: التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والقصر

(١) (الرسالة الشافية) لعبدالقاهر الجرجاني، ص ١٤٩.

(٢) (دلائل الإعجاز) لعبدالقاهر الجرجاني، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

والاختصاص، والمجاز العقلي، والمجاز اللغوي، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، والجناس، والسجع؛ وذلك لأنّ هذه الألوان طرُقٌ يؤدّى بها النّظم.

يمكن القول: إنّ نظريّة النّظْم عند الشيخ عبدالقاهر الجرجاني قد نشأتْ في جوّ ديني؛ لأنّه ربطها بموضوع الإعجاز القرآنيّ.

وقد كان منهج عبدالقاهر في بحث الإعجاز منهجًا قائمًا على تربية الذوق، وإدراك مواطن الجمال في الأساليب؛ لأنّه استطاع بحسّه المرهف، وذائقته الأدبية أنْ يكشف عن خصائص الصِّيغ والتراكيب.

ونظريّة النَّظْم عند الشيخ عبدالقاهر قد اتّسعتْ آفاقها؛ لأنّها - عنده - طريقٌ إلى إثبات الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم، إضافةً إلى أنّها أصبحتْ دراسةً أسلوبيّة واسعة النّطاق، شغلتْ طائفةً كبيرةً مِن العلماء على اختلاف مذاهبهم.

الخاتمة

وفي الختام أحمدُ الله تعالى الذي بنعمته تتمُّ الصّالحات، والحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث، وَلَمّ شتاته، وقد توصّل البحث إلى عدّة نتائج، أُجْملها في الآتي:

١- أنّ الدفاع عن كتاب الله تعالى، والوقوف في وَجْه الملاحدة الطّاعنين المشكّكين فيه، أدَّى إلى ظهور كثيرٍ مِن المؤلفات والدّراسات القرآنيّة المتعلّقة بالإعجاز البلاغيّ.

٢- أنّ البحث عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، كان سبيلًا إلى دراسة فنون البلاغة العربيّة؛ مِن أجل إدراك سِرّ النَّظْم القرآنيّ، وجمال أسلوبه.

٣- أنَّ المتكلّمين قد أسهموا إسهامًا كبيرًا فاعلًا في تأصيل البحث البلاغيّ؛ وذلك لأنّ الجدل الذي كان قائمًا بينهم وبين أعدائهم وخصومهم، يتطلّب منهم امتلاكَ قدرةٍ بلاغيّة رائعة، تُمكّنهم مِن إبطال وَرَدّ كلّ الشُّبهات التي أوردها وأثارها الطّاعنون في القرآن الكريم، خاصةً فيما يتعلّق بإعجازه البيانيّ.

٤- ممّا يُحْمَد للشيخ: عبدالقاهر الجرجاني أنّه أعاد (نظريّة النَّظْم) إلى خطّ مسارها الصحيح؛ لأنّه ربطها بموضوع الإعجاز القرآنيّ.

والله الموفِّق والهادي إلى سواء السّبيل، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين.

ثبت المصادر والمراجع.

١- **(الإتقان في علوم القرآن)** لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

٢- **(أثر القرآن في تطوّر النقد العربيّ إلى آخر القرن الرابع الهجري)** للدكتور: محمّد زغلول سلّام، نشر: دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٦١م.

٣- **(أساليب بلاغيّة)** للدكتور: أحمد مطلوب، نشر: وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى.

٤ - **(أصول الدين)** لأبي منصور: عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٥ - **(الإعجاز في دراسات السابقين)** للدكتور: عبدالكريم الخطيب، ملتزم الطبع والنشر: دار الفكر العربيّ، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٦ - **(إعجاز القرآن)** للقاضي الباقلاني، قدّم له وشرحه وعلّق عليه الشيخ: محمّد شريف سُكّر، نشر: دار إحياء العلوم، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٧- **(إعجاز القرآن البيانيّ بين النظرية والتطبيق)** للدكتور: حفني محمّد شرف، نشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة،

سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٨ - **(إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة)** لمصطفى صادق الرافعي، نشر: دار الكتاب العربيّ، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٩ - **(الإعجاز القرآني: وجوهه وأسراره)** للدكتور: عبدالغني محمّد سعد بركة، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٠ - **(إعجاز القرآن ونَظْمه عند السكّاكي)** للدكتور: فوزي السيّد عبدربه عيد، مطبعة الحسين الإسلاميّة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١١- **(الإعجاز النحوي في القرآن الكريم)** للدكتور: فتحي عبدالفتّاح الدجني، نشر: مكتبة الحياة، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

١٢ - **(الإمتاع والمؤانسة)** لأبي حيّان التوحيدي، تحقيق: أحمد أمين وزميله، نشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٩م.١٣ - **(الانتصار والردّ على ابن الراوندي)** لأبي الحسين: عبدالرحيم بن محمّد الخيّاط، طبع المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت - لبنان، سنة ١٩٥٧م.

١٤ - **(الباقلانيّ وكتابه إعجاز القرآن: دراسة تحليليّة نقدية)** للدكتور: عبدالرؤوف مخلوف، نشر: دار مكتبة الحياة، بيروت -

لبنان، سنة ١٩٧٣م.

١٥ - (**البرهان في علوم القرآن**) للإمام بدر الدين: محمّد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١٦ - (**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**) لمجد الدين: محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: عبدالعليم الطحاوي، توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع، مكّة المكرّمة.

١٧ - (**البلاغة: تطوّر وتاريخ**) للدكتور: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.

١٨- (**البلاغة العربيّة بين التقليد والتجديد**) للدكتورين: محمّد عبدالمنعم خفاجي، وعبدالعزيز شرف، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٩ - (**بلاغة القرآن بين الفنّ والتاريخ**) للدكتور: فتحي أحمد عامر، نشر: منشأة المعارف بالإسكندرية.

٢٠ - (**بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبّار**) للدكتور: عبدالفتّاح لاشين، نشر: دار الفكر العربيّ، القاهرة.

٢١ - (**البيان العربيّ**) للدكتور: بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ودار المنار، جدة، الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٢ - (**البيان في إعجاز القرآن**) للدكتور: صلاح بن عبدالفتّاح الخالدي، نشر: دار عمّار، الأردن، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.

٢٣ - (**تأويل مشكل القرآن**) لابن قتيبة الدينوري، تحقيق السيّد: أحمد صقر، مكتبة دار التراث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة جديدة منقّحة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٤ - (**تاج العروس مِن جواهر القاموس**) لمحمّد مرتضى الزبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٥ - (**تاريخ آداب العرب**) لمصطفى صادق الرافعي، راجعه وضبطه: عبدالله المنشاوي، ومهدي البحقيري، نشر: مكتبة الحياة، المنصورة، مصر.

٢٦- (**تاريخ بغداد**) للخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٧- (**التعبير الفنّي في القرآن**) للدكتور: بكري شيخ أمين، نشر: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٢٨ - (**التعريفات**) للسيّد الشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، نشر: دار الكتاب العربيّ، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٩ - (**تفسير القرآن العظيم**) للحافظ ابن كثير الدمشقي، قدّم له: عبدالقادر الأرناؤوط، نشر: مكتبة دار السّلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٠ - (**ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**) - وهي: النكت في إعجاز القرآن، للرماني، وبيان إعجاز القرآن، للخطّابي، والرسالة الشّافية في الإعجاز، لعبدالقاهر الجرجاني - تحقيق: محمّد خلف الله أحمد، والدكتور: محمّد زغلول سلّام، الطبعة التاسعة، نشر: دار المعارف، مصر، ٢٠١٥م.

٣١- (**الجامع لأحكام القرآن**) للإمام: محمّد بن أحمد القرطبيّ، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٧م.

٣٢- (**الجواب الصحيح لمَن بدّل دين المسيح**) لشيخ الإسلام: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق وتعليق الدكتور: علي بن حسن بن ناصر، والدكتور: عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر، والدكتور: حمدان بن محمّد الحمدان، نشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٣ - (**الحيوان**) لأبي عثمان: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمّد هارون، نشر: دار إحياء التراث العربي،

بيروت – لبنان.

٣٤ – **(دلائل الإعجاز)** لعبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمّد شاكر، نشر: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٣٥ – **(رسائل الجاحظ)** لأبي عثمان: عمرو بن بحر الجاحظ، مطبعة التقدّم، مصر، سنة ١٣٢٣م.

٣٦ – **(شذرات الذهب في أخبار من ذهب)** لابن العماد الحنبليّ، نشر: دار الفكر، بيروت – لبنان.

٣٧ – **(شرح ديوان امرئ القيس)** لحسن السندوبي، نشر: المكتبة الثقافيّة، بيروت – لبنان، الطبعة السّابعة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٣٨ – **(الشفا بتعريف حقوق المصطفى)** للقاضي: عياض الأندلسي، اعتنى به وراجعه: هيثم الطعيمي، ونجيب ماجدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣٩ – **(صحيح البخاري)** للإمام أبي عبدالله: محمّد بن إسماعيل البخاري، ضبطه ورقّمه ووضع فهارسه الدكتور: مصطفى ديب البُغا، نشر وتوزيع: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٤٠ – **(صحيح مسلم)** للإمام أبي الحسين: مسلم بن الحجّاج

القشيري النيسابوري، نشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤١ - **(طبقات الشافعية الكبرى)** لتاج الدين السبكي، نشر: المطبعة الحسينيّة، مصر، الطبعة الأولى.

٤٢ - **(عقود الجمان في المعاني والبيان)** لجلال الدين السيوطي، شرح العلّامة: عبدالرحمن بن عيسى المرشدي، طبع ونشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

٤٣ - **(الفَرق بين الفِرَق، وبيان الفرقة النّاجية منهم)** لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربيّ في دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، نشر: دار الجيل، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٤٤ - **(فكرة النّظْم بين وجوه الإعجاز)** للدكتور: فتحي أحمد عامر، طبعة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٤٥ - **(الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان)** لابن القيّم، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٦ - **(القاموس المحيط)** لمجد الدين: محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، طبعة جديدة، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٧ - **(كتاب الدلائل: معجزات النّبي صلى الله عليه وسلّم)** للحافظ ابن كثير، دراسة وتحقيق: محمّد بن عبدالعزيز الهلالي، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

٤٨ - **(كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر)** لأبي هلالٍ العسكري، تحقيق: علي بن محمّد البجاوي، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، نشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٩ - **(كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)** لحاجي خليفة، نشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٠ - **(الكليّات)** - معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة - لأبي البقاء: أيوب بن موسى الكفويّ، تحقيق الدكتور: عدنان درويش، ومحمّد المصري، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٥١ - **(لسان العرب)** للعلّامة ابن منظور، طبعة مراجعة ومصحّحة، طبع ونشر وتوزيع: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥٢ - **(المتكلّمون ونظريّة إعجاز القرآن)** للدكتور: منير عبدالقادر سلطان، طبع: منشأة المعارف بالإسكندريّة.

٥٣ - **(مجاز القرآن)** لأبي عبيدة: معمر بن المثنّى، عارضه بأصوله وعلّق عليه الدكتور: فؤاد سزكين، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٥٤ - **(مجموع فتاوى شيخ الإسلام: أحمد بن تيمية)** جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمّد بن قاسم، وابنه محمّد، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥٥ - **(معجم الأدباء)** لياقوت الحموي، تحقيق الدكتور: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٥٦ - **(معجم البلدان)** لياقوت الحموي، نشر: دار الفكر، ودار صادر، بيروت - لبنان.

٥٧ - **(معجم مقاييس اللغة)** لأبي الحسين: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام بن محمّد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٥٨ - **(المغني في أبواب التوحيد والعدل)** للقاضي عبدالجبّار - الجزء السّادس عشر في إعجاز القرآن - تحقيق: أمين الخولي، نشر:

الشركة العربيّة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م.

٥٩- **(مفاتيح الغيب)** لفخر الدين الرازي، نشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، سنة ١٤٠٥هـ.

٦٠- **(مفتاح العلوم)** لأبي يعقوب السكّاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، نشر: دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٦١ – **(مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين)** لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمّد محيي الدين عبدالحميد، نشر: مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٥٠م.

٦٢ – **(مقدّمة ابن خلدون)** لعبدالرحمن بن محمّد ابن خلدون، تحقيق الأستاذ: درويش الجويدي، نشر: المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت – لبنان، سنة ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

٦٣ – **(مناهل العرفان في علوم القرآن)** للشيخ: محمّد عبدالعظيم الزرقاني، نشر: دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

٦٤ – **(مِن معجزات النبي صلى الله عليه وسلّم)** لعبدالعزيز بن محمّد السلمان، الرياض، الطبعة الخامسة عشرة ١٤٢٧هـ –

٢٠٠٦م.

٦٥ - (**منهج الخطّابي في العقيدة**) لإبراهيم بن عبدالله الحمّاد، رسالة ماجستير، مقدَّمة لقسم العقيدة بكليّة أصول الدين، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، الرياض.

٦٦ - (**النبأ العظيم**) للدكتور: محمّد عبدالله دراز، نشر: دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٦٧ - (**وفيات الأعيان**) لابن خلّكان، تحقيق الدكتور: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت - لبنان.

٦٨ - (**اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر**) للشيخ: عبدالوهّاب الشعراني، طبع: عبّاس عبدالسلام بن شقرون، سنة ١٣٥١هـ.

(٣)

جدلية الطبع والصنعة عند الجاحظ
(رؤية نقدية)

د. وفاء سعيد شهوان

- أستاذة مساعدة في اللغة العربية (أدب ونقد).
- كليـة عمّـان الجامعيـة للعلـوم الماليـة والإداريـة، جامعة البلقاء التطبيقية.

جدلية الطبع والصنعة عند الجاحظ

(رؤية نقدية)

الملخص

قام البحث حول فكرة واحدة، هي: الجدال القائم حول مفهومي الطبع والصنعة عند الجاحظ. وعليه، فقد قرأت الباحثة تلك المفاهيم قراءة متأنّية، ودرستها دراسة مغايرة مثبتة ذلك بالحجّة والبرهان؛ بُغْيَةَ الوصول إلى الدلالات النقدية الدقيقة لمعنى الطبع والصنعة على غير ما كان ظاهرًا عند الجاحظ.

وقد قامت الدراسة على أربعة أركان، الأول: تعريف الطبع، والثاني: تعريف الصنعة، اتخذت الباحثة الدارسة نموذجين من الأدب والنقد، فطبّقت عليهما معاني تلك المصطلحات، فكان الركن الثالث حول (عبيد الشعر)، وما نجم عنه من قضيتين نقديتين، هما: الموازنة بين الصنعة والغرض، وقضية التفاوت في الشعر.

ثم حصل الركن الرابع في (الحوليّات)، ودار بين زهير والحطيئة. ولعل الباحثة تكون قد قاربت الصواب في قراءتها الأخرى لمعاني تلك المفاهيم، كما استوقفت الباحثة قضايا نقدية متنوعة تكشّفت في أثناء الدراسة، فوجدت بعضها قد دُرس؛ لكنها بحاجة إلى مزيد من البحث،

وبعضها لـم يُـدرس أصـلًا، فـدوّنتها موثقـةً في خاتمـة البحـث، تـلا ذلـك خلوص الباحثة إلى مجموعة من النتائج العامّة والخاصّة.

الكلمـات المفتاحيـة: الطبـع، الصـنعة، الحوليّـات، عبيـد الشـعر، الجاحظ، زهير، الحطيئة.

Abstract

The research centered around one idea i.e. Al-Jahiz' problematic controversy over the two concepts: The nature habit i.e. talent) ،and material production i.e. writing. The author has had a new careful scan for the said terms and studied them within Al-Jahiz' contextual testimony and proof.

The study consisted of four pillars: the definition of «The nature habit i.e. – talent» was the first ،and the definition of «material production i.e. writing was the second ،then two models of literature and criticism were chosen and applied ،the (slaves of poetry) was as a sample ، which shows the balance between material production i.e. writing» from one side and presenting the production & inequality in poetic literature ،and that was the third pillar.

Then the fourth pillar was about the annualities i.e. the yearly productions ،and the dialogue between Zuhair and Hotayeh. The researcher also stopped with some critical issues during the study ،some of them were researched and some weren't. The said issues were summarized in the conclusion of the study.

المقدمة

لعل من أهم القضايا النقدية التي تناولها الجاحظ قضية الطبع والصنعة، وهي قضية لها مساحتها في النقد القديم وصداها في النقد الحديث، وما زال البحث فيها قائمًا والخلاف مستمرًّا.

ومن المعروف أنّ الجاحظ بذل جهدًا واضحًا في دفاعه عن البيان العربي، فجاءت قضية الطبع والصنعة من ضمن تلك الجهود، وما كان ذلك إلّا لإثبات براعة العرب في الفصاحة والبلاغة وقول الشعر.

وقد وقف الجاحظ عند مصطلحي الطبع والصنعة وجاء بآراء ووجهات نظر قيّمة، إلا إنها بقيت كما هي من غير تحليل ودراسة ممن جاؤوا بعده، ومع ذلك كانت لها أهميتها ودورها في النقد. وحتى في ثنايا تناول الباحثة القضية مدار البحث استوقفتها بذور لقضايا نقدية أخرى جديدة لها أهميتها أيضًا، وهي جديرة بالدراسة، ستُعرض في ختام البحث.

وجاءت هذه الدراسة محاولة الوقوف على قضية الطبع والصنعة وقراءتها وفق رؤية نقدية جديدة، من غير ضرورة أو قيد لتبني رأي الجاحظ أو رفضه، وسعت الدراسة إلى رؤية مدى انعكاس هذه القضية على الأدب والنقد.

إن مفهومي الطبع والصنعة يصبان في العملية الإبداعية بلا شك، ومن المعلوم في عملية الإبداع في كل الفنون أنها لا تقوم إلا على الموهبة والاستعداد الفطري ثم بالتعليم والمران والتجربة؛ لصقل هذه الموهبة. والشعر -مثل غيره من الفنون- يتطلب عملية إبداعه تلك الأمور.

وعليه، فقد اختلف النقاد والباحثون، وكثر الجدال وتوسع النقاش حول قضية الطبع والصنعة، فجاء هذا البحث لتوضيح تلك المفاهيم والمصطلحات بدقة، ثم الإجابة عن بعض التساؤلات النقدية في ضوء قراءة جدلية الطبع والصنعة عند الجاحظ، وفق رؤية نقدية جديدة.

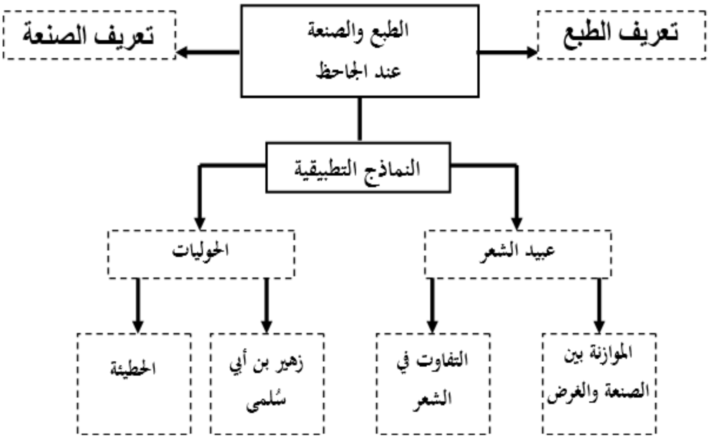
فما المقصود بمصطلحي الطبع والصنعة؟ وأيهما أكثر جدلية وتأثيرًا في العملية الإبداعية والمتلقي؟ ومَنْ هم (عبيد الشعر) [(١)]؟ وما معنى (الحوليّات) [(٢)]؟ وهل نجم عن دراستهم بروز لقضايا نقدية أخرى، تحتاج إلى وقفة مع إبداء الرأي حولها؟ هذا ما سيتضح لنا خلال البحث.

---

(١) عبيد الشعر: مصطلح نقدي، كان الأصمعي أول من أطلق هذه التسمية على زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأضرابهما، ونسبهما إلى التكلف وثقاف الشعر؛ إذْ قال: «ومن الشعراء المتكلف والمطبوع، فالمتكلِّف هو الذي قوَّمَ شعره بالثقاف ونقَّحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهيرٍ والحطيئة» وكان الأصمعي يقول: «زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر؛ لأنهم نقَّحوه، ولم يذهبوا فيه مذاهب المطبوعين. وكان الحطيئة يقول: خير الشعر الحولي المنقَّح، وكان زهير يسمي كُبرَ قصائده الحوليات ...».

(٢) الحوليات: مصطلح نقدي قديم، عميق الدلالة، يرتبط بمفهومي الطبع والصنعة.

الهيكل التنظيمي



إنها تساؤلات، سنقف عندها ونجيب عنها تحت مظلة قضية الطبع والصنعة في مفهوم الجاحظ وفي ضوء القراءة الجديدة، التي قامت على أربعة أركان، هي: تعريف الطبع، وتعريف الصنعة، ثم أخذ نماذج تطبيقية عليهما، دار أوّلُهما حول (عبيد الشعر) وما تفرع عنه من قضايا نقدية، مثل الموازنة بين الصنعة والغرض، والتفاوت في الشعر. بينما دار النموذج الثاني حول (الحوليات)، وتحدث عن شاعرين، هما: زهير بن أبي سُلمى والحطيئة، ثم خلُصت الدراسة إلى نتائج عامة وأخرى تخص البحث.

أولًا: تعريف الطبع.

يقول الجاحظ: الطبع، كل شيء للعرب إنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا

استعانة... وكانوا مطبوعين لا يتكلّفون[1]. وقد يكون الرجل له طبع في تأليف الرسائل والخطب ولا يكون له طبع في قرض بيت من الشعر[2]. وصدق الله العظيم حين قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾[3].

لقد ارتبط الشعر عند الجاحظ بالبداهة والإلهام وانتفاء المشقة والعنت أو التكلّف في قوله، وأن أصحابه لا ينمقون، ولا يتأنقون ولا يتكفلون ولا يغربون، وهنا يذم الجاحظ التكلّف والتصنّع الذي ينصرف إلى قهر النفس على قول الشعر مع إعمال العقل وكدّه.

وإن كان محقًّا في ذمه للتكلف إلا أن الارتجال ليس طبعًا، لعلّه دليل على التسرع يجعل القصيدة مفتقرة للوحدة العضوية، والنسيج النفسي الذي يمثل بناءها الداخلي، ويحقق رؤيتها الكلية.

ويؤيد الرأي الحصري حين يقول: إنما الشعر المطبوع كالبحر؛ مرة يقذف صدفة، ومرة يقذف جيفة[4].

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٤، دار الفكر، بيروت، ج ٣، ص٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص٢٠٨. وانظر- القاضي عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (اختلاف الشعر باختلاف الطبائع)، ص١٨.

(٣) سورة ص، آية ٨٦.

(٤) الحصري: زهرة الآداب وثمرة الألباب، شرح د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م، ج ١، ص٢٧٩.

وخطأ كبير أن نقصر الشاعر المطبوع على الذي يفيض الشعر منه وينساب[(١)].

لقد كان أغلب العرب أميين لا يكتبون؛ وبذا انتفت حاجتهم إلى دراسة الشعر أو التأني في قوله لغرض تنقيحه؛ لذلك كان قولهم ارتجالًا وعلى البديهة، ولكن الملكة في اللسان وحدها لا تكفي[(٢)]. والقول في كيفية عمل القصيدة عند ابن رشيق: غير أنني لا أجد ذلك في طبعي جملة ولا أقدر عليه، بل أصنع القسيم الأول على ما أريده ثم ألتمس في نفسي ما يليق به من القوافي[(٣)].

والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية: قراره الطبع، وسمكه الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدربة، وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون[(٤)].

مع العلم بأن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له[(٥)]، إلا أن الجاحظ يؤكد كونَ الطبع،

---

(١) طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الحكمة، بيروت، ص١٢٧.

(٢) إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م، ص٦٢٤.

(٣) ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط ٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م، ج ١، ص٢١٠.

(٤) العمدة: ج ١، ص١٢١.

(٥) الجرجاني: الوساطة، ص١٥. وانظر- ابن رشيق: العمدة، ج١، ص١٢٢.

مصطلحًا نقديًّا بحتًا، وهو لا يخرجه عن الإلهام والبديهة، فيقول: «ومَنْ أعاره الله من معرفته نصيبًا، وأفرغ عليه من محبته ذنوبًا(١)، جلبت إليه المعاني، وسلس(٢) له النظام، وكان قد أعفى المستمع من كدّ التكلف، وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم»(٣).

إننا نجد الجاحظ أميل إلى الطبع في قول الشعر وتأليف الكلام، وهذا ينفي جملة ما تقدم في تاريخ الأدب والنقد بأنه شكليّ الاتجاه؛ ذلك لأن الشكل أقرب إلى الصنعة، ولم يكن الجاحظ يتصور أن نظريته التي لم تكن تمثل خطرًا عليه ستصبح في أيدي رجال البيان خطرًا على المقاييس البلاغية والنقدية؛ لأنها ستجعل العناية بالشكل شغلهم الشاغل(٤)، وهنا يأتي موقفه الآخر في قضية الطبع والصنعة، حين قال: إنما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير(٥).

ما هذا؟ أيعقل أن يكون قد اختلط معنى الشعر عند الجاحظ، أم عساه تغير ذوقه؟! أم التفت إلى قواعد وأساليب جديدة تجاوزت مفهوم الطبع من البداهة والارتجال والإلهام إلى الصناعة؟ لا سيما وأن العرب

(١) ذنوبًا: الدلو أ الملأى، والحظ والنصيب.

(٢) التسليس: الترصيع والتأليف.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٨.

(٤) إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ص٩٩.

(٥) الجاحظ: الحيوان، تحقيق: يحيى الشامي، ط١، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦م، ج ٣، ص١٣١، ص١٣٢، وهذا رأي الجمحي، انظر – العمدة، ج ١، ص١١٨.

أمة البيان، وليس غريبًا أن يكون الطبع عند أغلبهم، أم تراه تنبه لدور الصنعة في الشعر؟!

هذا ما ستكشفه السطور القادمة.

إن الطبع في لسان العرب هو الطبيعة: الخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان، وهي طبيعته التي طبع عليها، وطبعه الله على الآخر: فطره[1]. والجاحظ مؤمن بهذا، ومؤكد لمعنى الاستعداد الفطري الذي هو فطرة طبيعية فطرها الله في نفس الشاعر أو الأديب، وملكة تتحلى بالقدرة والإيحاء.

فالذي تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهوًا ورهوًا، مع قلة لفظه وعدد هجائه، أحمد أمرًا، وأحسن موقعًا من القلوب، وأنفع للمستمعين من كثير خرج بالكدّ والعلاج[2]، لقد جاء الجاحظ بالأصل وألمح بالمزيد عليه.

ونحن هنا ما زلنا في فلك ما جاء به الجاحظ وقاله. وعليه، بقي مفهوم الطبع على ما جاء به الجاحظ على مدار النقد العربي القديم ابتداءً من ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢ هـ)، ومرورًا بالجاحظ نفسه (ت ٢٥٥ هـ)، ومن ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، وقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ)،

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد ٨، مادة (طبع)، ص٢٣٢.
(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٤، ص٢٨، ص٢٩.

والقاضي الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ)، والمرزوقي بعده (ت ٤٢١ هـ)، حتى ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ)، وغيرهم من النقاد من غير زيادة على ما قاله الجاحظ.

وكلها تدور حول البداهة وما تجود به الطبيعة وتعطيه النفس، وجميعها وإن لم تكن تحمل الدلالة نفسها، فإنها قريبة منها أو تدور في الإطار نفسه.


الطبع
الاقتدار على القوافي
التفاوت
الإلهام
البداهة
الارتجال
القريحة
السليقة
الطبيعة
عطاء النفس
انثيال الألفاظ
الاسترسال
السلاسة
السهولة
إدراك الفاتحة والقافية
عدم الزحير
الفكرة والمعنى
عدم الطلب
عدم التحفظ
عدم التكلف
الشعور
الأصل
الملكة
البديهة الحاضرة
الإحساس
الرونق
الغريزة

إن ما تقدم من نماذج لمصطلحات الطبع بقيت على حالها من غير تطوير مفصلي للمصطلح نفسه (الطبع)، وإنما الفارق بينها كان الزمن.

إن ما لدى الجاحظ من أصول نظريات لم يمنحها ما تستحقه من شرح وتفسير وتمثيل، وظلت مغلقة على الذين جاءوا بعده، فلم يتقدموا شوطًا، أو تناولوا بعضها وانتزعوه من ملابساته الواقعية فأخطأوا تأويله والانتفاع به[1].

فبالرغم من الإحصائية السابقة لمترادفات الطبع في النقد القديم، التي دارت في معظمها حول ما جاء به الجاحظ وتؤكده -أحيانًا-، إلا إنني أرى أن الجاحظ نفسه لم يكن يقصد بمعنى الطبع الدلالة الأولى للمفردة بمعناها المجرد، أبدًا؛ بدليل قوله: «إنما الشعر صناعة»[2].

ولعلّ الجاحظ أدرك أنّ الطبع لا يُفهم أو يُفسر أو حتى يترجم إلا بالإبانة وضرورة الإفصاح، وقد وصل بالطبع إلى نوع آخر غير الموهبة المحضة قبل إيحاءات الجرجاني بمئات السنين؛ بدليل قوله: صناعة.

ومن الأدلة التي تثبت الرأي، كلام الجاحظ عن البداهة عند حديثه عن مكانة الشعراء، وقد تعبد [الشاعر] للمعاني، وتعود نظمها، وتنضيدها، وتأليفها وتنسيقها، واستخراجها من مدافنها[3]. وعليه، فإنّ

(١) إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٩٦.

(٢) الجاحظ: الحيوان، ج٣، ص١٣١، ص١٣٢.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٤، ص٣٠.

المكانة الحقيقية للشعر والشاعر لا تأتي إلا بمسوغ البلوغ، والطبع وحده لا يحقق ذلك.

وكذلك حين ذكر الطبيعة وعطاء النفس، عند حديثه عن تعلّم الشعر(١) والتعلم وحده وفي جميع العلوم لا يقوم على الموهبة وحدها، ولا يتم إلا بتوافر الأدوات، وقد أدرك نقادنا القدماء ذلك، وتفهّموا طبيعة العملية الإبداعية وتمثلوها جيدًا؛ إذ ركز كثيرون منهم على عنصر الطبع/ الموهبة، وأكدوا ضرورة توافر الأدوات أو الآلات/ العوامل المكتسبة أو الإطار(٢).

ودليلٌ آخر -أيضًا- حين اعتمد الجاحظ في قول الشعر على ثلاثة أمور، الطبع الذي جاء بمعنى الغريزة، والبيئة: التي جاءت بمعنى البلاد، ثم الوراثة التي جاءت بمعنى الأعراق(٣)والطبع وحده لا يصنع شعرًا.

إن الجاحظ متعمق بمعنى الموهبة، ومتفهم دلالة الطبع/ الموهبة الفطرية والطبيعية ذات الإحساس المرهف القوي التأثير، لكنه يوحي بضرورة وجود قوة تنفيسية أخرى تساندها وتدعمها قوة ممزوجة بالأدوات؛ ليصل بنا إلى اكتشاف نوع آخر من الموهبة، وهو الموهبة

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٨.

(٢) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٩٥م، ج١، ص٣٨١.

(٣) الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص١٣١، ص٣٨١.

الشعرية، موهبة تحتاج إلى وقت حتى تخرج عن حرفية التجربة، أو الموقف أو الحالة والمثير فتتحول من المجرد إلى المحسوس الملموس.

إنها موهبة تتضمن قوة مستمرة تخلق مع الإنسان، وتستوعب المواقف، وتعيش مع الأحداث، تتميز بالأناة والتأمل وتأخذ وقتها حتى تستغرق الذات في الموضوع باستدعاء جديد للزمن والحدث والحالة نفسها عبر المؤثرات والأدوات، إنها الموهبة الشعرية وقد قدمت عملًا إبداعيًّا ينال الإعجاب ويتصدر المراتب.

هنا تكمن القراءة الأخرى لمفهوم (الطبع)؛ حيث تجاوزت القراءة الدلالات القديمة للمفهوم، وتلمست دلالات جديدة بمضامين جديدة، منها: الموهبة الخلّاقة، والموهبة الشعرية، والابتكار، وموهبة السموّ (فيها الأصل والتجلّي).

وأغلب الظن أن الجاحظ لا يفوته أبدًا مسألة كهذه، وهو بما أوتي من علم وذكاء وشخصية متفردة جعلته من خير مَن يحسنون تأسيس النقد[1]، وقد بلغ من جودة القريحة وقوة العارضة والتفكير ما جعله من كبار أئمة الأدب[2].

---

(١) إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٩٤، ٩٥.

(٢) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، مجلد١، ص٤٧٦.

إن القارئ الناقد على استيعابٍ تامٍّ بأن الجاحظ تفهّم الطبع/ الغريزة تفهمًا نفسيًّا وربطه بأمور الحضارة، والثقافة، والعلم، والخلق، والبيئة. وحين عرّف الشعر، وتحدث عن تعلّمه وعن مكانة الشعراء منه، وحين قال بثلاثية التفاوت: البيئة والعرق والغريزة، قدم الدليل على أنه استوعب (الطبع) بنضج فكري مميز، وموهبة نقدية خلّاقة. غير أنها لم تعلل أو تفسر؛ فاقتصر الجاحظ في الميدان النقدي على وقفات قصيرة معدودة[1]، ولو أنه ترك طبيعته النقدية على سجيتها، إضافةً إلى سعة ثقافته لأفرد كتبًا قيمة خاصة في النقد.

لقد أحس الجاحظ بالموهبة الفطرية/ الأصل التي لا يمكن لها أن تتميز وتؤثر إلا بأن تنصهر بالمثيرات والأدوات؛ فتبرز من بعدُ موهبة شعرية جديدة تحسن قول الشعر وتجيده، فالشعر المطبوع هو الذي صدر عن نفس تجد ما تقول، وانبعث عن سليقة، ووفق الشاعر فيه إلى الإبانة المصقولة الواضحة. على أنه من الصعب تحديد أمارات الشعر المطبوع؛ لأن ميادين الطبع والشعور والجودة فسيحة ومتنوعة[2]، وقد آمن الجاحظ بأن قول الشعر بعفوية محضة، وموهبة مطلقة يعد اعتباطًا.

---

(١) إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٩٥.

(٢) طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ص١٢٦.

وشاهدنا على ما تقدم، وهو أصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل، وثبت فيه الشاهد، مناقشة قصيدة. اخترتها لابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ) في رثاء ولده؛ إذ كان في قمة ضعفه وانهياره، وكانت نكبة من الألم والحزن أحلت به وتدهور نفسي شديد، يقول الشاعر في أسى ووجع:

بكاؤكُما يَشْفِي وإنْ كان لا يُجدي   فجودا فقد أودى نظيرُكمَا عندي
توخَّى حِمَامُ الموتِ أوسطَ صبيتي   فلله كيف اخْتارَ واسطةَ العِقْدِ
محمَّدُ، ما شيءٌ تُوُهِّمَ سَلوةً   لقلبي إلَّا زاد قلبي مِنَ الوجْدِ
أرى أَخَوَيْكَ الباقِيَيْنِ فإنما   يكونان للأحزَانِ أوْرَى مِنَ الزَّنْدِ
إذا لعِبا في مَلْعَبٍ لك لذَّعَا   فؤادي بمثْلِ النارِ عنْ غيرِ ما قَصدِ

أيعقل أن يكون ابن الرومي كتب قصيدته، التي تعد من أجود أشعاره[1]، وقد أُرخ لها وصُنّف ووضعت في المختارات في كتب الأدب، وهو على ما هو عليه من جزع وتشاؤم واختلال أعصاب وخسارة وجرح نازف لفقد ولده؟؟ أيُّ موهبة مجردة تخلق هذه الأبيات المتسقة في المبنى والمعنى؟!

(١) ابن الرومي: ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٤م، ج٢، ص٦٢٤، ٦٢٦.

وقد قيل: «قصيدته قطعة مؤلفة تأليفًا منطقيًّا فنيًّا لا عوج فيها، ولا ضعف»[1].

من المستحيل عليه «أن يكون استطاع هذا في ثورة تفجعه الأولى عقب وفاة ولده مباشرة، هو قد مرّ هذه الفترة وكانت عاطفته منها قوية هائجة وعانى حقًّا كل الأحاسيس والخواطر التي يصورها في قصيدته.. ثم بدأ يهدأ.. فجلس يستعيد أحاسيسه وخواطره هذه ويتعرّفها ويزداد فهمًا لها ويحاول صوغها في قالب ينقلها إلينا نقلًا حيًّا»[2].

لقد شرح العواطف الأبوية المتألمة شرحًا يحرّك أوتار القلوب. فجمع بين شدة الألم ودقة التصوير، «والقصيدة كلها من هذا النمط البليغ الذي يشهد لشاعرنا برقة الشعور ودقة الفن»[3].

لا بد أن الموهبة الشعرية جعلت هناك تلازم الشعور بالفن. إنها تستدعي الطبع/ الحالة في هدوء وروية وأناة، ثم تلبسه الآلات والأدوات بالاختيار والصوغ. لقد أكد الجاحظ علاقة الطبع بالبيئة والثقافة والمجتمع والتجربة وأن الطبع وحده لا يصنع شعرًا أو يخلقه.

---

(١) أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٩٨٣م، ص٢٩٥.

(٢) محمد النويهي: وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٦م، ص٧٥.

(٣) أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص٣٠٦.

إن طبيعة ابن الرومي طبيعة واجفة مستسلمة لا حول لها ولا قوة أمام المصائب؛ إذ كان يرى أن الحياة فجيعة مستمرة، وهزيمة دائمة، لا قِبل له بالصمود أمام حتمية الأقدار والمصائر[١]، ولو بقي الطبع على حاله موهبة مجردة لما قال ابن رشيق في ابن الرومي: «ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته، ولا يبالي، كابن الرومي، وأبي الطيب، ومن شاكلهما: هؤلاء المطبوعون»[٢]؛ وعليه، فلو استسلموا كما استسلم ابن الرومي؛ لبقي عنترة على لونه، وبشار على عماه. إن النزاع بين حتميّة النفس وحتميّة الحياة والقدر والمصير، يفجر ينابيع النفس عند معظم الشعراء.

وخلاصة القول: إن صناعة تأليف الكلام، من المنثور والمنظوم تفتقر إلى آلات كثيرة، وقد قيل: ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم.

ومِلاك هذا كله الطبع؛ فإنه إذا لم يكن ثَم طبع فإنه لا تغني تلك الآلات شيئًا[٣]، ويرى أن الشعر صناعة يسبقها طبع شعري.

---

(١) إيليا الحاوي: نماذج في النقد الأدبي، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ص٦٠.

(٢) ابن رشيق: العمدة، ج١، ص١٢٦.

(٣) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص٢٧.

إن أولى مميزات الشعر هي استثمار خصائص اللغة بوصفها مادة بنائية، فعلاقة تجربة الشاعر بلغته أوثق وأهم من علاقة تجربة القاصّ أو مؤلف المسرحية في العصر الحديث؛ وذلك أن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إيحاء بالمعاني في لغته التصويرية الخاصة به، وفي لغة الشعر يخضع التعبير لقوانين اللغة العامة، لكنه يفيد مع ذلك من اعتماده على دلالات القرائن، وما يمكن أن تضيفه هذه الدلالات على التصوير، عن طريق موسيقية التعبير، وموقعه وتآزر كلماته وأثر ذلك كله في التصوير[١].

ويختم الجاحظ رأيه في قضية الطبع بقوله: «وأحسن الكلام... ما كان صحيح الطبع، بعيدًا عن الاستكراه، ومنزَّهًا عن الاختلال مصونًا من التكلّف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة»[٢].

وصحيح الطبع الذي قصده الجاحظ عميق المضمون، وجديده أنه الموهبة التي أحسها برهافة ذوقه، وفهم معناها بعقليته النقدية البارعة. وقد قصد: الملكة التي تستحكم نفس الشاعر وتقوده برغبة شديدة إلى أسرار الجمال، هنا يحتاج الشاعر إلى كدّ ذهنه وبذل النفيس من طاقته

---

(١) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٤٠٨.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٨٣.

ووقته؛ ليعلو في مستوى كتابته حتى على نفسه. ولن يكون الشاعر شاعرًا حرًّا من كل قيد إلا إذا وضع نفسه هو في قالب من الجلال والعذوبة، وهنا يتحقق الطبع وتتحقق الصنعة.

فالشعراء في الطبع مختلفون: منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء، ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل[1]. فالشاعر له الحرية.

والحقيقة أن الجاحظ ناقدٌ بالمعنى الاصطلاحيّ والمنهجيّ، ويمكن أن يقال فيه كما قيل في ابن المقفع: «علمه أكثر من عقله»، وزيادة. لقد ورّث الجاحظ التراث العربي نقدًا لو دُرس حقًّا لأبرز شيئين: الناقد الفذ بكل خصائصه، والنقد البناء بكل قضاياه ومعاييره.

ويبقى الطبع مصطلحًا نقديًّا من الصعب تحديد دلالته على نحو دقيق؛ لأن مبعثه النفس، والحكم على أمورٍ مبعثها النفس تكون فضفاضةً. وعليه، فقد وصلنا بالقراءة الجديدة إلى أن معنى الطبع الحقيقي والمقصود عند الجاحظ هو الموهبة الشعرية بكل ما تحمله من طاقات وإبداعات وأبعاد.

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، طبعة محققة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م، ج١، ص٣٧.

ثانيًا: تعريف الصنعة:

يقول الجاحظ: «إنما الشعر صناعة وضرب من النسج، وجنس من التصوير»، ويُقال: أصله ضرب من الصبغ؛ والصبغ أكثر انسجامًا، وهو ثابت في إحدى النسخ[١].

والصبغ أقرب؛ ذلك لأن اللغة وسيلة الأديب للتعبير والخلق، فاللغة هي موسيقاه وهي ألوانه وهي فكره وهي المادة الخام التي سوّى منها كائنًا ذا ملامح وسمات، كائنًا ذا نبضٍ وحركةٍ وحياة، كائنًا خلقه الشاعر ذا صوت يحمل صورة[٢].

وليس من فضلٍ أو مزية إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم، وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش[٣].

(١) إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، هامش ص٩٨. وانظر: يوسف محمد رضا: معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، لبنان، ص٩٩٥.

(٢) محمد زكي عشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ص٤١.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تعليق: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٧٠، وله فصل أيضًا (في النظم يتحد الوضع. ويدق فيه الصنع) وفيه ألطف أنواع البديع.

ومن المعلوم أن معظم النقاد القدماء اتفقوا على أن الشعر صناعة بدءًا من ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢ هـ)[١]، وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت ٣٢١هـ)، وقدامة (ت ٣٣٧ هـ)، ومرورًا بالجرجاني (ت ٣٩٢ هـ)، وبالعسكري (ت ٣٩٥ هـ)، وابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ)، وحتى ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)، وغيرهم.

إذن، كلها أجمعت على أن الشعر صناعة وثقافة وعلم، والشعر عندنا هو كلام يصنعه ويؤلف بينه الشعراء[٢]، وقد وصفوا الكلام البليغ بجودة الصنعة، وأن المصنوع هو إتقان بنية الشعر، واعتُرف به صنعة بكتاب العسكري؛ إذ سماه (الصناعتين الكتابة والشعر)[٣]. بعده (العمدة في صناعة الشعر ونقده) للقيرواني، ثم (الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور) لابن الأثير، وغيرها.

---

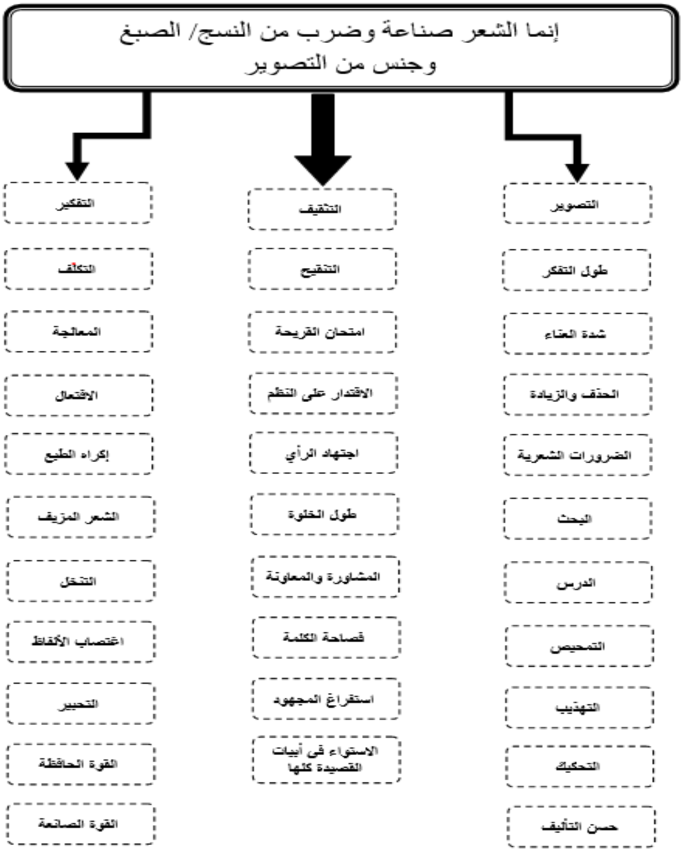
(١) ابن سلام الجمحي: طبقات تحول الشعراء، مصر، مطبعة السعادة، ص٦.

(٢) يوسف بكار: بناء القصيدة العربية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٥٣.

(٣) للمزيد حول مفهوم الشعر صناعة انظر:

- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٩م، ص٦٤.
- أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م، ص٥٣.
- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج١، ص١٤٩.
- ابن رشيق: العمدة، ج١، ص١٢٩.

ولو عرضنا لمعظم المصطلحات النقدية الدالة على الصنعة عبر توالي العصور؛ لوجدناها -على الأغلب- مرادفات لمعنى الصناعة الذي قال به الجاحظ مع بعض الزيادات.



وحتى لا يكون الكلام من المعاد الذي لا جديد فيه وتكون غاية كتابة البحث هي انتفاع القارئ، فإننا نقول إن الصنعة مصطلح نقدي مفهومة دلالته عند الجاحظ ومحددة، لكنها لم تصل عنده إلى درجة التكلّف، تلك التي وصلت إليها فيما بعد؛ فقد تطور مفهوم الصنعة وتعدى ما أراده الجاحظ إلى اعتبار غاية الجودة، والقصور عن حد الإحسان لا يتم إلا بالصنعة، حتى يجمع الكلام ويطلب بتعب وجهد، حتى إذا ما تنولت ألفاظه من بعد، فهو متكلف[1].

والمتكلف: الذي يأتي بالفكرة والرؤية، وذلك أن ينحني الخاطر في طلبه، ويبعث على تتبعه واقتصاص أثره[2]. فلا بد من تخير الألفاظ وإبدال بعضها من بعض بما يوجب الالتئام، وأن يكون الكلام مشتبهًا أوله بآخره، ومطابقًا هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر أطراره[3]. ومن التكلف -أيضًا- أنْ ترى البيت فيه مقرونًا بغير جاره ومضمومًا إلى غير لِفقه[4].

(١) العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، ص٥٥.

(٢) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ح١، ص٢٦٩.

(٣) العسكري: الصناعتين، ص١٦٠.

(٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٨٨.

وبذا، فقد أخذت الصنعة معنى الإكثار من الفنون البديعية في الشعر وسندًا حكمًا على جودة الشعر، فهذا الجرجاني معلقًا على أحد الأبيات في الوساطة بقوله: لم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة..، طابق وجانس وهي معدودة في المختار من غزله.. وحَق لها؛ فقد جمعت على قصرها فنونًا من الحسن وأصنافًا من البديع(١)، وغيره كذلك اعتمد التكلف واعتبره تميزًا.

إلا أن ابن رشيق استوعب هذا الأمر، وفرق بين الصنعة والتكلّف وألمح إلى أن الصنعة لا تحتاج إلى قصد ولا تعمُّل ويصنع القصيدة يكرر نظره فيها، فإذا استطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد، يستدل بذلك على جودة شعر الرجل، وصدق حسّه، وصفاء خاطره: فأما إذا أكثر من ذلك فهو عيبٌ يشهد بخلاف الطبع، وإيثار الكلفة(٢).

حتى التنقيح والتثقيف يُعدّ صنعة ولا يُعدّ تكلفًا أبدًا، والبحث عن الأدوات يضمن للشعر التفوق والنجاح، ومهما كانت مساحة دلالة

---

(١) القاضي عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص٣٣.

(٢) ابن رشيق: العمدة، ج١، ص١٣٠.

الصنعة عند الجاحظ فإن كان مؤداها زيادة التأثير في المتلقي فهي لا تخرج صاحبها حتى من دائرة الطبع، وهذا كلامٌ سلم من العيب.

لقد أطَّر الجاحظ مفهوم الصنعة قديمًا بكلمات ذات مغزى تبرق بدلالة عميقة من ناقد فذّ. تلخص الصنعة بأنها إحساس الشاعر أو الأديب بآثار الجمال الغني البارز المترامي الأطراف في جسد القصيدة كلها، وهو بيان ضمني يجمع بين الطبع والصنعة.

فاللغة في يد الشاعر أو الكاتب قادرة على أن تحمل صورة نابضة حيّة، وهو الخلق الأدبي، إنه سيطرة الأديب على اللغة بما يضيفه عليها من ذاته وروحه[1]. إنها معادلة متساوية تجمع الطبع والصنعة بمفهوم الجاحظ.

وخلاصة الأمر، أن الجاحظ لم يصدر حكمًا أو يلمح لمحة بأن الصناعة فن بديعيٌّ مكثّف، قال بالأصباغ وقصد بها الصورة والنقش بتخير وتدبّر وترتيب مع إدراك للموقع والمقدار. وحاول بقدرته النقدية وإحساسه بمعنى الطبع والصنعة أن يجعل الصنعة امتدادًا للطبع وثوبًا يحتويه، فالولادة والرعاية طبع وصنعة.

---

(١) محمد زكي عشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص٤١.

لقد امتدح الجاحظ إجادة الصنعة في الشعر من غير التكلّف، في قوله: وهم يمتدحون الحِذق والرِّفق، والتخلص إلى حبات القلوب، وإلى إصابة عيون المعاني.

ويقولون: أصاب الهدف، إذا أصاب الحق في الجملة. ويقولون: قرطس فلان، وأصاب القِرطاس، إذا كان أجود إصابةً من الأول، فإن قالوا: رمى فأصاب الغُرّة، وأصاب عينَ القِرطاس، فهو الذي ليس فوقه أحد[1].

وهذا ينطبق على ما أسلفنا قوله من أنه يرى أن الشعر صناعة يسبقها طبع شعري، إنها صناعة تتميز بالإتقان والحذق والمهارة، من تطبيقاتها نموذج/ عبيد الشعر، ونموذج/ الحوليات، وعلى هذه النماذج سنقف.

ثالثًا: عبيد الشعر (النموذج الأول):

لعلها من أهم النماذج وأوضحها دلالة لمفهومي الطبع والصنعة عند الجاحظ. وعبيد الشعر موضوعٌ في غاية الأهمية، طرحه الأصمعي وتناوله الجاحظ.

قُسّم الشعراء إلى مطبوعين ومتكلفين تصنيفًا، يقول ابن قتيبة: «ومن الشعراء المتكلف والمطبوع. فالمتكلّف هو الذي قوّم شعره بالثِّقاف، ونقحه

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص١٤٧.

بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهير والحطيئة»[١].

يقول الجاحظ: «وقال الأصمعي: زهير بن أبي سلمى والحطيئة[٢] وأشباههما، عبيد الشعر[٣]. وسُئل أحدهم: من أشعر الناس؟ قال: أجاهليةٌ أم إسلامية؟ قلت: جاهليةٌ، قال: زهير، قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق[٤] وقال أبو عمرو بن العلاء: الفرزدق يشبه بزهير»[٥].

لقد تنبه الجاحظ إلى مصطلح (عبيد الشعر)، وأدرك دلالته وبيّنها، ففسر المصطلح الفني نقديًّا بأن قال:

كل مَنْ جوّد في جميع شعره ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد فيه النظر حتى يُخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة، ولولا أن الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم في باب التكلّف وأصحاب الصنعة[٦]. إذن، عبيد الشعر هم الشعراء الذين

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٨١.

(٢) الحطيئة: جرول بن أوس الملقب بالحطيئة من بني عبس بن مضر، كان مضطرب النسب غير صريح القرابة. طلب الالتحاق بإخوته من أبيه فلم يُفلح، فهجاهم. والتحق بأهل امرأة أبيه من بني ذُهل، فلم يلق عندهم خيرًا، فهجاهم. انظر: حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ط٦، بيروت، ص١٩٦.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص١٣.

(٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٨١.

(٦) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص١٣. وانظر: جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص١٥٩.

يجودون كل شعرهم بيتًا بيتًا فيكون شعرهم مميزًا متخيرًا متساوي الجودة جميعه ليس عليه أيُّ مآخذ ولا مجال للطعن فيه، وشاهده على لسان الأصمعي: «الحطيئة عبدٌ لشعره»، عاب شعره حين وجده كله متخيرًا منتخبًا مستويًا؛ لمكان الصنعة والتكلّف، والقيام عليه[1].

ولا أحسب هذا ينطبق على زهير والحطيئة، وأخوف ما أخاف منه، أن تكون تلك الأحكام أطلقت عفويةً على سجيتها فطارت بين الناس ولصقت بالحطيئة والزهير (قضية عبيد الشعر)، وهنا يحضرني قول سيدنا عمر لابن عباس: أنشدني لشاعر الشعراء، الذي لم يعاظل بين القوافي ولم يتبع وحشي الكلام، قال: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، فلم يزل يُنشِد إلى أن برق الصبح، وكان زهير أستاذ الحطيئة[2].

وعلى النقيض القسم الآخر، وهم جماعة الطبع، وقد سبق الحديث عنهم عامةً، هنا يأخذنا السياق إلى قضيتين:

الأولى: الموازنة بين الصنعة والغرض.

والثانية: التفاوت في الشعر.

القضية الأولى: تدخل في باب الصنعة وتؤكد إيمان الجاحظ بها، مع ضرورة اللجوء إليها ولكن بحذر وعند الحاجة، وبحسب الغرض فيما

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٦.

(٢) انظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٨١.

عُرض؛ إذ يقول: ومن تكسب بشعره والتمس به صلات الأشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة،.. لم يجد أبدًا من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما،... فإذا قومه الثِّقاف وأُدخل الكِير، وقام على الخِلاص، أبرزوه محككًا منقحًا، ومصفّى من الأدناس[1]، وزهير معظم شعره في مدح الملوك. يقول ابن قتيبة: وكان جيد شعره في هرم بن سنان[2]. إلا أن تكسبه كان يسيرًا معه[3].

وقد تمثل هذا الرأي ابن رشيق، فجاء في العمدة: إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعلهُ كما تمدح العامة، وإنما تمدح بالإغراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لبذله[4]، وجاء في العمدة أيضًا تعليقه على أحد الأبيات، فقال: وإنما أخذه من قول زهير في هرم بن سنان[5]، وزهير من عبيد الشعر. كما أجاز ابن قتيبة التكلّف في غير المديح إنما في دواعي الطمع، والشوق، والشراب، والطرب، والغضب، والوفاء[6].

وخلاصة القول، إن عبيد الشعر من أهل الصنعة وليسوا من أهل التكلّف، وهنا يوجب الجاحظ التهذيب والتنقيح والتحكيك في غرض

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص١٣، ص١٤.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٨٢.

(٣) ابن رشيق: العمدة، ج١، ص٨١.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٠.

(٦) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٨٠.

المديح والتكسب وينفيه في مواطن أخرى، فلكل مقام مقال[1]. أما إدخال تنقيح الشعر وتهذيبه في باب التكلّف فليس صحيحًا، حتى وإن نقّح بيتًا بيتًا في القصيدة.

فالتنقيح: تغيير النص عند ظهور خطأ فيه، بإزالة التشويه والتحريف منه، وتصحيح ما يلحقه من خطأ[2]، وهو أقرب إلى المراجعة، والرجوع حق، والحق قديم.

أما التكلّف فهو ما كان ناشئًا عن ضعف ملكة الشاعر وقصور أدواته عن إصابة الغرض أو الوفاء به.

وأما تقويم الشعر وتثقيفه وتنقيحه لطول التفتيش وإعادة النظر فيه بعد النظر من شعراء كزهير والحطيئة المشهود لهما بالطبع والشاعرية بشهادة سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لزهير، فليس تكلّفًا بأيّة حال من الأحوال؛ وإنما هو مذهب في الأدب تبناه شعراء مطبوعون

(١) للمزيد من آراء الجاحظ، انظر- آراء الجاحظ البلاغية وتأثيرها في البلاغيين العرب حتى القرن الخامس الهجري، د.أحمد أحمد فشل، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ج١، ص١٩٩، وانظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٧.

(٢) أحمد مطلوب: معجم النقد العربي القديم، ج١، ص١٣١.

يرون الشعر فنًّا وصناعة، ويحاولون أن يبلغوا بالتعبير فيه أقصى ما يستطيعون من درجات الإتقان والكمال الفني(١).

وبذلك يصب في ما قال به الجاحظ: الشعر صناعة، وحِرفة واحتراف تبلورِ الطبع؛ إلى حد الإبداع فيُشهد للقصيدة بتميز بعض أبياتها على بعض وتفوقها، وليس بكمالها وتمام أبياتها؛ لأن في ذلك مأخذًا على القصيدة.

القضية الثانية: نظرية التفاوت في الشعر، وهي نظريةٌ دُرست كثيرًا، وليس الجديد في القراءة هنا سوى الوقوف على قدمها وعمق أهميتها وبراعة النقد والناقد فيها؛ فهي أحد مخرجات الصنعة، فبحجم فطرة الطبع تكون قُرابة الصنعة.

وقد تنبه الجاحظ لها وهو يتحدث عن (عبيد الشعر)، والأصمعي قبله حين ينكر الصنعة ويميل إلى الطبع، نجده يستحسن التفاوت في الشاعرية، وفي الجودة والأسلوب، ويؤمن بأن الأثر الذي تتركه الأبيات الجيدة القليلة في القصيدة المتفاوتة الجودة أبقى؛ إنه يفضل الشعر المتفاوت على الشعر الجيد المستوى، وكذلك الجاحظ. وابن قتيبة

(١) عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، ط٣، ١٩٧٤م، ص٣٩١، ص٣٩٢.

أيضًا حين تحدث عن أوائل الشعراء بدأ بقوله: لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة(١).

وهذا ابن رشيق له قول حول ما تقدم حين يجيب عن افتراض السؤال التالي: متى يكون التصنيع مقبولًا؟

ولسنا ندفع أن البيت إذا وقع مطبوعًا في غاية الجودة ثم وقع في معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر فيه الكلفة ولا ظهر عليه التعمل كان المصنوع أفضلهما، وسبيل الحاذق بهذه الصناعة -إذا غلب عليه التصنيع- أن يترك للطبع مجالًا يتسع فيه، وقيل: إذا كان الشاعر مصنعًا بأن جيّده من سائر شعره؛ وإذا كان الطبع غالبًا عليه لم يبن جيده كل البينونة(٢).

لا شك في أنّ ابن رشيق ناقد يغوص في النقد عمقًا واتساعًا؛ فهو مؤمن بأن للفن طبيعته ومقتضياته؛ لذلك هو يضمن تميز القصيدة وطرافتها، وتتدخل الصنعة حسب الحاجة، واستطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد، يستدل بذلك على جودة شعر الرجل وصدق حسه، وصفاء خاطره؛ فأما إذا كثر ذلك فهو عيب يشهد بخلاف الطبع، وإيثار الكلفة، وليس يتجه البتّة أن يتأتى من

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٤٨.
(٢) ابن رشيق: العمدة، ج١، ص١٣١، ص١٣٢.

الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنع من غير قصد[1]، والمطبوع مستغنٍ بطبعه عن معرفة الأوزان، والضعيف الطبع محتاج إلى معرفة شيء من ذلك يعينه على ما يحاوله من هذا الشأن[2].

ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحدًا، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه، ومن حق الشعر أن يختص بفضل التهذيب، ويفرد بزيادة عناية، ويضاف إليه التعمّل والصنعة؛ ليخرج جزلًا قويًّا متينًا[3]، والسؤال الافتراضي هنا للجاحظ -الذي أدخلنا في هذه الجدلية فتشبعت أطرافها- هل التفاوت في بناء القصيدة سببٌ في الحكم على جودتها؟

لعل الإجابة نعم، استنادًا إلى رد الجاحظ الذي يقول فيه: لو أن شعر صالح بن عبد القدوس[4]، وسابق البربري[5] كان مفرقًا في أشعار كثيرة

(١) ابن رشيق: العمدة، ج١، ص١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٣٤.

(٣) القاضي الجرجاني: الوساطة، ص١٧، ص٢٤.

(٤) صالح عبد القدوس، شاعر حكيم من المتكلمين، من الوعاظ بالبصرة، اتهم عند المهدي بالزندقة فقتله ببغداد، ضربه بيده بالسيف فجعله نصفين، ت ١٦٧. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، مجلد ٢، ص٤٩٢، ص٤٩٣.

(٥) البربري، أبو سعيد سابق بن عبد الله، له أشعار حسنةٌ في الزهد، وهو من موالي بني أمية، سكن الرّقة ووفد على عمر بن عبد العزيز. والبربري نسبة إلى بلاد في المغرب، قيل: إنما هو لقب له. انظر حاشية البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٦.

لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات، ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق. ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالًا لم تسِرْ، ولـم تجرِ مجرى النـوادر، ومتـى لـم يخـرج السـامع مـن شـيء إلـى شـيء لـم يكـن لذلك عندهم موقع(١).

ويؤيد الرأي ما جاء في «الشعر والشعراء» حين قيل لأحـدهم: مالـك لا تطيل الهجاء؟ فقال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق(٢)، وهـو ناقـل هذا القول حرفيًّا عن الجاحظ -والله أعلم-.

إن القصـيدة الجيـدة الكاملـة بتمامهـا لا تسـير عنـد النـاس كمـا يسـير البيت والبيتان المميزان في القصيدة نفسـها، وإلا مـا دلالـة قـول النقـاد - ومنـذ القـدم- حـين كـانوا يحكمـون، فيقولـون: هـذا أصـدق بيـت قالتـه العـرب، وهـذا أجمـل بيـت قالتـه العـرب، وإن كـان إصـدار الحكـم لـم يتجاوز التأثر والانفعال الفطري(٣)، إلا إنه إحساس مرهف بالتمايز، وإن جاز التعبير فهم أهل الموهبة النقديـة. وهـذا قـولٌ يؤيـد لسـيدنا عمـر بـن الخطاب -رضي الله عنه- عن زهير إنه (أشعر الشعراء صاحب مَنْ ومَنْ

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٦.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٢١. علمًا بأنه أدخل تنقيح الشعر وتهذيبه في باب التكلف، على حين أنه ليس من التكلف في شيء. انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٧.

(٣) ثريا عبد الفتاح ملحس: القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت، ص٥١.

ومَنْ)، أراد بذلك أبيات زهير بن أبي سلمى الحكيمة في معلقته، تلك الأبيات التي تبتدئ بمن[1]. هذا شاهد دالٌّ على التعلّق، الذي تم وتحقق بالتفاوت.

لقد وصل بنا الجاحظ إلى إدراك واعٍ لمعنى الصنعة لإحساس دقيق لمعنى الإتقان والمهارة والحذاقة، وهذا يختلف تمامًا عن معنى التكلّف، الذي هو مدعاة للرتابة؛ لأنه ينتج الشعر الجيد المستوى بأكمله، فلا يكون له -حينها- الأثر الذي تتركه الأبيات الجيدة المتناثرة في جسد القصيدة المتفاوتة الجودة.

إن الشعر المتفاوت الجودة يأتي الشعر فيه سليقةً طبعًا، إنه مبنيٌّ على أصالة منتجها وفطرته. أما الذي يجوّد في شعره ويصنعه بالتكلّف فإن دافعه لذلك هو ضعف سليقته وفطرته.

(١) زهير بن أبي سلمى: الديوان، دار صادر، بيروت، د.ث، ص٥/ المقدمة. الأبيات:

ومَن لم يُصانعْ في أمورٍ كَثيرَةٍ ... يُضَرَّسْ بأنْيابٍ وَيُوطأ بمَنْسِمِ
ومَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يفِرْهُ ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
ومَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فيَبْخَلْ بفَضْلِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ ويُذْمَمِ
ومَنْ يَجْعَلِ المعْرُوفَ في غَيْرِ أَهْلِهِ ... يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ ويَنْدَمِ
ومَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزِّجَاجِ فَإِنَّهُ ... يُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَت كُلَّ لَهذَمِ
ومَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ ... يُهَدَّمْ ومَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ
ومَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَه ... ومَنْ لَمْ يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَمْ يُكَرَّمِ

انظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٨٧، ص٨٨.

وللجاحظ نظرة ثاقبة في تفضيله للتفاوت في الشعر؛ إذ يربط هذا بنفسية الشاعر (الشاعر نفسه قد تختلف حالاته)[1]، وتتفاوت بين قوة وضعف الأمر الذي ينعكس على الإنتاج الشعري فيخرجه من دائرة الرتابة والسير على وتيرة واحدة إلى مواطن متفاوتة حسب الدفقات الشعورية التي يعيشها الشاعر فيتميز -حينها- البيت والبيتان في القصيدة الواحدة عن باقي أبياتها. وهنا تمثّل للطبع وهضمٌ للصنعة؛ فإذا ما توارث مهارة الصنعة باحتراف... ظهر الطبع. والمراوحة المرتبطة بالحالة الشعورية[2] في أبيات القصيدة الواحدة دليل على الطبع أكثر من الصنعة، وهذه فكرة الجاحظ. أفما يكون في كثرة الصواب فضيلة؟

لقد زاد على الجاحظ ما علّمته الكتب ما قدمت له التجربة والمعاينة، كان علّامة عصره، رجل العقل يجعل له المحل الأول في البحث والتحقيق[3]، فلم يكتب كلمة واحدة في النقد إلا وقد فهمها وعاينها، يأتي بالشاهد ويوثق بالبرهان، فكل فكرٍ فيه إلى معرفة ما استُخزن من البرهان وحتى من الدلالة، وكان مَنْ بعده جزءًا منه أو نقدًا مكرورًا عنهُ يحسَبُ له أيضًا، وقلّة قليلة من النقاد جاءت بعده ثم أخذت موقفًا ومنهجًا.

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٩.

(٢) انظر: سامي يوسف أبو زيد: النقد العربي القديم، دار المسيرة، عمان، (الاستعداد النفسي لقول الشعر)، ص٢٧٩. تأييدًا لفكرة الجاحظ.

(٣) حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، بيروت، ط٦، ص٥٦٤.

رابعًا: الحوليات (النموذج الثاني) **زهير بن أبي سُلمى، والحطيئة.**

أ. زهير بن أبي سُلمى:

يقول الجاحظ: كان زهير بن أبي سُلْمى، وهو أحد الثلاثة المتقدمين، يسمي كبار قصائده «الحوليّات»[1] وذكر ذلك في أكثر من مكان[2]. وسنبدأ هنا من حيث انتهينا هناك في حديثنا عن (عبيد الشعر)، الذي أفضى إلى قضيتين، الأولى: الموازنة بين الصنعة والغرض، والثانية: التفاوت في الشعر. وكلاهما يصبان في نقطة خلاف وجدال واحدة هي كلمة.. (الصنعة).

يقول ابن رشيق: كان الأصمعي يقول: زهير والنابغة من عبيد الشعر، يريد أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرهما[3]، لعل هذا غير صحيح؛ إذ لا يمكن إضافة الإحساس والخاطر إلى مفردات دالة على الصنعة بمعنى التكلّف، والجاحظ يسمي التكلّف فسادًا[4] ولعلّه قصد بالإحساس والخاطر الذوق، وهو جزء من الصنعة.

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢.

(٣) ابن رشيق: العمدة، ج١، ص١٣٣.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٨.

ولست مؤمنة بأن عبيد الشعر هم عبيد حقًّا له. لا من حيث الخبرة الكميّة/ بمعنى الزمن، ولا من حيث الخبرة النوعية/ بمعنى التنقيح والمراجعة. وما زلت على جدال مع الجاحظ في حديثه عن الحوليات، حين يقول: من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولًا كريتًا (كاملًا) وزمنًا طويلًا يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه، اتهامًا لعقله وتتبعًا على نفسه، فيجعل عقله زمامًا على رأيه، ورأيه عيارًا على شعره، إشفاقًا على أدبه، وإحرازًا لما خوّله الله من نعمته. وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات، والمقلدّات، والمنقحات والمحكمات؛ ليصير قائلها فحلًا خنذيذًا[١]، وشاعرًا مفلقًا[٢].

ما زال الجاحظ يدور حول الصنعة والصناعة، وهي: فن لا جدال فيه إلا أن يكون مرهونًا بزمن؛ والحوليات مصطلح نقدي مدلوله زمني فقط، وضع خصيصًا للتنقيح والتحكيك والتحيز في مدّة زمنية محددة.

وهذا ما جاء عند الجاحظ وغيره، إلا أن إنعام النظر في معنى الحوليات يوحي بلفتات نقدية أخرى مهمة تخرج عن الحيز الزمني إلى الذوق، واحترام المتلقي، وتقدير عقول الناس، وفيها إشارة لكل مقام

(١) الخنذيذ: الشاعر الجيد المنقِّح المفلق، ويمكن أن تطلق على الخطيب أيضًا. انظر: لسان العرب، مادة: خنذ، مجلد ٣، ص٤٨٩.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٩.

مقال، وإقرار بشخصية الشاعر وفنيته، وفيها إيحاء للنقد والناقد الذي يستكشف النص ثم يصدر الحكم عليه. إن ربط مفهوم الحوليات بالزمن فيه تجاهلٌ لكثير من المضامين التي سبقت. أيعقل أن تكون الحوليات لانقضاء الأجل المسمى فقط؟! والسؤال الحقيقي هنا: هل في هذا منطق؟

ما زالت كلمة الحوليات ذات صدى في نفسي، فهذا ابن جني يقول: هذا الحوليّ المنقّح(١).

وقال الحطيئة: «خير الشعر الحوليّ المنقّح(٢)، وجاء في موضع آخر في البيان والتبيين قول الحطيئة نفسه: خير الشعر الحولي المحكك»(٣).

هو اعتراف وتأكيد إذن لمعنى الحوليات وحصره في التثقيف والتحكيك والتحبير بحولٍ كاملٍ ليس غير. وأيًّا كانت دلالة الحوليات عند الجاحظ وعند غيره، فإنها عندهم جميعًا تدل على مفهوم أكثر من الصنعة، أو على أقل تقدير تعني براعة الصنعة. وعليها يصنف الشعراء رتبة ومكانة، وجاءت في العمدة: ومن أصحابهما -يقصد زهيرًا والنابغة- في التنقيح وفي التثقيف والتحكيك: طفيل الغنوي.

---

(١) أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط٤، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ج١، ص٣٢٥، ص٣٢٦.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣.

وقد قيل: إن زهيرًا روى له، وكان يسمى (محبرًا) لحسن شعره[1].

ولا ألمس دورًا للطبع ولا أحس بفخر الموهبة والقريحة والإحساس، أم تراها مرحلة قد انقضت ولم يتنبه لها النقاد؛ لتكون مقياسًا هي الأخرى في الحوليات.

وانصب الأمر على الابتلاء بتكلفة القول وتعاطي الصنعة بالتنخيل والتثقيف والتحبير؛ ليصل إلى زهو التميز، وفن الصياغة الذي هو ذو طلاوة ورونق، فإذا عملت القصيدة فهذبها ونقّحها بإلقاء ما غثّ من أبياتها ورثّ ورذل، والاقتصار على ما حسن وفخم[2]. وبقي مفهوم الحوليات محصورًا في دلالة الصنعة والاستغراق بها، وكأن الحكم على القصيدة يقاس بزمن عملها وتحكيكها ثم عرضها في حول كامل.

إنه مقياس لا أطمئن إليه؛ لأنه يصب صياغة العمل الشعري في حيز زمني محدود، وعمل محدد، ثم انظر ما عساه يكون؟؟ إنه لا يكون إلا تاريخًا معبأ بمادة الشعر.

وثَمّ جدال طويل ما زال مستمرًّا بيني وبين الجاحظ، فبعد الوقوف على دلالة الحوليات، التي أسلفنا الحديث عنها أحاول أن أدرسها من خلال زهير بن أبي سلمى، وارتبط ذكره بذكرها منذ نعومة أظافر الأدب والنقد.

---

(١) ابن رشيق: العمدة، ج١، ص١٣٣.

(٢) العسكري: الصناعتين، ص١٥٧.

فهل كان هذا الارتباط من باب الشاهد والمثال لتطبيق النظرية، أم كان مبدأ مطلقًا اعتمده زهير لنفسه وسار عليه؟ هذا ما ستكشفه السطور القادمة.

من المعلوم أن العملية الإبداعية طبع وصنعة، واللغة وسيط إبداعي وهي صنعة، وزهير بن أبي سلمى وصل إلى القمة في قول الشعر، وقد وسمه سيدنا عمر -رضي الله عنه- بشاعر الشعراء، وقال فيه: لا يتتبع حوشي الكلام، ولا يعاظل في المنطق، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمتدح الرجل إلا بما يكون فيه[1]، وزهير ابن البيئة الشعرية أصلًا ومكانة، وقد خرج من بيت شعر، كان يحسن قول الشعر وينقحه ويهذبه، وزعم رواة أخباره أنه كان ينظم الواحدة منها في أربعة أشهر، وينقحها في أربعة أشهر، ويعرضها على أخصائه في أربعة أشهر، فلا تظهر إلا بعد حول[2] وهو في هذا يسعى إلى أقصى حالات الجودة التي يرضى عنها، قبل أن يرضى عنها الناس/ المتلقون.

وما قيل عن زهير والحطيئة من أنهما كانا من عبيدِ الشعر، وأنهما شقيا به، ليس معناه التكلّف أو الصنعة. كان زهير حريصًا على ألا يخرج شعره للناس إلا بعد تهذيبه، وما كان هذا التهذيب إلا إبعاد ما لا يحتاج

---

(١) انظر: زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص٥؛ حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ج١، ص٢٥١.

(٢) زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص٦.

إليه المعنى، أو إبعاد معنى لا جلال له[1]. إنه يُجيب فلا يبطئ، ويقول فلا يخطئ.

لقد تجاوز زهير الصنعة بمراحل، بل بلغ تمامها، فلا يحتمل أن يكون الحول الذي قصده الجاحظ هو مدة زمنية وتكون لإتمام صنعة القصيدة، بدليل قوله نفسه: ومن الشعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولًا كريتًا، وزمنًا طويلًا، يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله، ويقلّب فيها رأيه[2].

لقد ركز في مراجعة حال القصيدة على النظر والعقل والرأي.. ومعظمها أمور لا تكترث بالصنعة حيث اللغة والشكل وإقامة الوزن وتخير اللفظ والاقتدار على القوافي وغير ذلك من أمور التكلّف. فلا يقوم شعر عظيم إلا إذا استوفى خطه وتوازى فيه الحس والعقل والقلب بالجمال والمثال والخيال والإلهام، فكلما قرب الشعر من التوازن أوفى إلى الكمال، وجاءت القصيدة حيةً في أنبض ما تكون الحياة، بديعة على أدق ما يكون الإبداع[3].

---

(١) محمد مندور: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٩٩.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٩.

(٣) نجيب العقيقي: من الأدب المقارن، طبعة موسعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١١.

ربما إذن، يكون قد فُهم خطأ قول الجاحظ عن زهير، وعن المقصود بمصطلح الحوليات أصلًا؛ إذ لم يذكر الجاحظ شيئًا عن إطالة النظر في القصيدة بغرض الصنعة، ولا يوجد في مقولة الجاحظ دليلٌ واحدٌ على ذلك. في الحقيقة، كان الجاحظ يرسل أحكامًا كبيرة لا تستطيع اليوم أن تستوثق من صحتها، هكذا يقول إحسان عباس(1).

لعل بقاء القصيدة ما بين تأليف وتنقيح وتهذيب حولًا كاملًا في يد زهير بن سلمى كان لأغراض أخرى ومختلفة تمامًا عما هو معروف، وقد كان يقال إنه لم يتصل الشعر في ولد أحدٍ من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير(2)، فربما حرص زهير على مراعاة المتلقي بكل ظروفه، وزهير بحكم عمره وزمانه خبير بأحوال الناس فلا يستطيع الخروج على سنة المجتمع القبلي فخاطبهم على قدر حالهم وعقولهم، وربما -أيضًا- كان مدركًا بأن لكل مقام مقال؛ فقصائده التي تحمل الآراء الأخلاقية والاجتماعية كانت بغرض إرشاد مجتمعه، وهو قريب من الشعب؛ لأنه كان يكلمه فيها بما يعرف ويألف.

كما كان زهير مقربًا من أمراء ذبيان، وخصوصًا هرم بن سنان والحارث بن عوف. وأول قصيدة نظمها في مدحهما معلقته؛ فهو يتقن تمامًا مخاطبة الأمراء والملوك. قال عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم:

(1) إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص١٠٢.

(2) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٧٦.

أنشدني بعض مدح زهير أباكَ فأنشده، فقال عمر: إنه كان ليحسن فيكم القول، فقال: ونحن والله كنا نحسن له العطاء، فقال عمر: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم[1]، علمًا أن تكسب زهير بن أبي سلمى بالشعر يسيرٌ مع هرم بن سنان.

ويقول العسكري: من أوائل المدح الجيد الذي لا نظير له، قول زهير:

من يلق يومًا[2] على علّاته هَرِمًا ... يلق السماحةَ منه والندى خُلقا
قد جعل المُبتغونَ الخيرَ في هرمٍ ... والسائلون إلى أبوابِه طُرُقا
لو نال حيٌّ من الدنيا بمكرمة ... أفقَ[3] السماءِ لنالت كفُّه الأفقا[4]

وزهير من أشهر شعراء الجاهلية في إعطاء الحكمة وضرب المثل، وعرف في حياته بالرصانة والتعقل، ومعلقة زهير ثمرة الشيخوخة العاقلة الواعية التي تجعل للتعقل والرزانة والتروي المحل الأول في كل شيء[5]، وهذا ما وقف عنده الجاحظ فيما سماه (حولًا كريتًا) وركز فيه على العقل والرأي.

---

(١) ابن رشيق: العمدة، ج١، ص٨١.

(٢) في الديوان: (إن تلق، تلق.

(٣) في الديوان: (وسْطَ).

(٤) زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٤٣.

(٥) حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩١م، ج١، ص٢٥٧.

وربما -أيضًا- طبيعة زهير النفسية جعلته ينسب لشعراء الحوليات، وقد امتاز في نظمه بالحكمة البالغة وكثرة الأمثال مع القدرة على المدح، وهو لا يعاظل في الكلام ويتجنب وحشيه ولا يمدح أحدًا إلا بما فيه، وكثيرون يفضلونه على صاحبيه -امرؤ القيس والنابغة- ويقولون إنه أحسنهم شعرًا، وأبعدهم عن سخف، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ[(١)] فطبيعته تسوقه إلى تأمل الأشياء وإطالة النظر ودراسة المحيط، وتقدير ما يُقال وما لا يُقال.

وثمة احتمال أخير أن يكون الجاحظ قد ذكر زهيرًا والحطيئة على سبيل المثال على التثقيف والتنقيح والتهذيب؛ لبراعتهما في الشعر، وليقينه بأن زهيرًا رجل العقل الذي يفكر، وليس رجل العقل الذي يحلل ويبني؛ وذلك لأنه قريب إلى الفطرة والبداوة، فردٌ من المجتمع الجاهلي، في استقلاله، وانفراد ذاته، تربطه بغيره روح الحوار والعصبية، لا روح التسلسل والبناء[(٢)].

وبناء على ما تقدم لا يحتمل أن يكون زهير شاعر الحوليات بالمعنى الضيق لتنقيح جملة أو مراجعة كلمة أو حرف ولا حتى دلالة الحوليات، دلالة صنعة فقط، أو زمنٍ فقط.

---

(١) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص١٠٢.

(٢) حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العرب وتاريخه، ج١، ص٢٦٠.

وإن كان يأخذ شعره بالثقاف والتنقيح والصقل، أرى أن ذلك لم يكن لأجل تحسين اللغة وبذل الجهد في الصنعة. ويبدو زهير من خلال معلقته شيخًا شبع من الأيام، وحكيمًا تفهّم قيمة الحياة ومعناها، لا تطغى عليه عاطفة جموح، ولا يثور به خيال صبياني، فهو هادئ السرب، يقوده عقل الفطرة عقل نير وبصيرة واعية، وهو ينصب نفسه حكمًا ومرشدًا في قومه، يشجع المصلحين ويدعو إلى التفاهم[١].

إن زهيرًا يرمي إلى النفع، ولا ينظم لإرضاء الفن الصافي، ولا لإرضاء الحاجة الشعرية فيه[٢].

ب- الحطيئة

قال عنه الأصمعي: الحطيئة عبد لشعره[٣]. وقال الحطيئة نفسه: خير الشعر الحوليّ المنقح[٤].

وسوّغ الأصمعي قوله حين عاب شعر الحطيئة بأن وجده كله متخيّرًا منتخبًا مستويًا؛ لمكان الصنعة والتكلف، والقيام عليه[٥].

---

(١) حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العرب وتاريخه، ج١، ص٢٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٦١.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٤. وجاء في مكان آخر (الحوليّ المحكك)، الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص١٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٦.

لكن الحطيئة اعترف بأنه يفضل الشعر المنقح الذي مر عليه الحول من غير تبرير لحكمه النقدي، ولعل مرد ذلك إيمان الحطيئة بمقدرته الشعرية في جانب الهجاء خاصة، الغرض الوحيد الذي أبدع فيه وتميز، وهو لا يحتاج إلى تنقيح وتحكيك وتثقيف.

سُئل عن الحطيئة، فقيل ما رأيت مثله في تكفّيه على أكناف القوافي، وأخذه بأعنتها حيث شاء؛ من اختلاف معانيها، امتداحًا وذمًّا(١).

والحطيئة كان ذا سفه دنيء النفس لا رأي له، وإنما يُساق إلى ما يرجو فيه مصلحة، وكان شديد الهجاء يخاف العرب لسانه ويسترضونه بالمال خوفًا من شره. شكاه الناس لعمر بن الخطاب فسجنه، ثم أخرجه من السجن وهدده بقطع لسانه، وأوصاه أن يكف لسانه عن الهجو. وبلغ من شغف الحطيئة بالهجو أنه هجا أمه وأباه وهجا نفسه(٢).

قال في أمه:

ولقد رأيتكِ في النساء فسؤتِني وأبا بنيك، فساءني في المجلس

وقال في أبيه خاصة:

فبئس الشيخُ أنتَ لدى تميم وبئس الشيخ أنت لَدى المعالي(٣)

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٨١.

(٢) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج١، ص١٤٧.

(٣) البيت في الديوان:

فَنِعِمِ الشيخُ أنت لدى المخازي وبِئسَ الشيخُ أنت لدى المعالي

=

حتى قال لنفسه:

أبــت شــفتاي اليــومَ إلا تَكَلُّمًــا بسـوءٍ فـلا أدري لمـن أنـا قائلُـه
أرى لـيَ وجهـًا قَبَّـحَ الله خَلقَـهُ فقُـبّحَ مـن وجـهٍ وقُـبِّحَ حاملُـه

لقد أخذ عليه عمر ألا يهجو أحدًا، وجعل له ثلاثة آلاف درهم اشترى بها منه أعراض المسلمين[1].

والحطيئة معلول النسب، وضيع الشرف، كاره للناس أجمعين، راح يعمل لسانًا أمضى من السنان، مقلبًا مع كل نسب وكل حال[2].

فأين مجال التثقيف والتنقيح والتحكيك عنده إنه يهجو قاصدًا ذلك الغرض.

قالوا: أهجى بيت قالته العرب قول الحطيئة في الزبرقان بن بدر:

دَعِ المكــارمَ لا ترْحــلْ لبغيتهــا واقْعد، فإنك أنتَ الطاعمُ الكاسي[3]

قاله، وقطع الأمر. فأي مراجعة وتنقيح وإعادة نظر؟ هجاء الحطيئة هجاء مطبوع، هو ثمرة لؤم وخبث، وهو هجاءٌ من النوع الأول؛

=

نقلًا عن حاشية ديوان المعاني، ج١، ص٤٠. المخازي: الفضائح المهينة، جمع مخزاة، وهي ما يبعث على الخزي، والخزي: الهوان والعار.

(١) أبو هلال العسكري: ديوان المعاني، شرح وضبط أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ج١، ص٤٠، ص٤١.

(٢) حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ج١، ص٢٤٢.

(٣) أبو هلال العسكري: ديوان المعاني، ج١، ص١٦٩.

فصاحبه يميل بطبيعته إلى المناقضة(١).

أغلب الظن أن الحطيئة حاله حال زهير، إنما سيق ذكره من باب الشاهد والمثال على مبدأ الحوليات، فأينما ورد ذكر زهير ورد ذكر الحطيئة(٢).

كما أن الحطيئة كان يقلّد زهيرًا في شعره المدحي؛ إذ كان يتعكز على معاني النابغة وأساليب زهير في التنقيح وسلامة اللفظ والتركيب(٣).

وبذا فهو مُقِلٌّ في المدح، أما في الهجاء فالأمر العجيب نسبة الحطيئة للحوليات، وهو أمر يتنافى مع السياق التاريخي للحطيئة، فأي تهذيب وتنقيح مرادف للهجاء؟

وهو شاعر الهجاء الأول بجدارة، وبشهادة سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، -كما أسلفنا- الذي قال في آخر أمره بالحطيئة: امضوا به إلى السجن، فحبسه في حفرة من الأرض(٤).

فبعد كل ما تقدم من أدلة تؤكد أن مقولة الجاحظ عن الأصمعي بأن زهيرًا والحطيئة وأشباههما، عبيد للشعر، وأن زهيرا كان يسمي كبار

---

(١) حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ج١، ص٢٤٧.

(٢) انظر: ابن رشيق: العمدة، ج١، ص٨١؛ الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص١٣.

(٣) حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ج١، ص٢٤٤.

(٤) ابن رشيق: العمدة، ج١، ص٧٦.

قصائده الحوليات، ومقولته العامة في الحوليات: ومن الشعراء من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولًا كريتًا وزمنًا طويلًا...

لم تكن مقصودة بمفهومها المباشر أو بما توحي به، وما كان ذكر زهير والحطيئة من باب أن يكون التنقيح خاصًّا بهما وحدهما، وإنما كانا مثالًا على مبدأ الصنعة، كما أن النابغة الجعدي - هو أيضًا- مثالٌ على مبدأ الطبع.

المهم في الشاعر، إذن، أن يكون الشعر من طبعه وملكته وأن يواتيه البيان في الإفصاح عن إحساساته وخواطره فلا يجهد نفسه، ولا يطلب منها ما تعطيه بقهرٍ وعنف. وتلك أمورٌ تتحقق في زُهير والحُطيئة؛ فقد كان الشعر ملكةً عندهما، وكان من طبعهما، وكانت العباراتُ تواتيهما في يُسرٍ وهوادة؛ فأما أنهما عُنيا بالتجويد والتنقيح فذلك لا يضيرهما، ولا يخرجهما من المطبوعين. قديمًا قال الأصمعي: زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء، عبيدُ الشعر؛ لأنهم نقّحوه، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين، يريد أنهم يتأنون على غير عادة العرب، لا أنهم متكلّفون[1].

(١) طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص١٢٧.

وبعد القراءة تلو القراءة في معظم المعاجم العربية، فقد وجدتُ في أساس البلاغة[1] الحَوْل بمعنى حال عليه الحول، وليس له علاقة بمفهوم الحوليات الذي نبحث فيه، ولم يذكر حتى كشاهد على المراجعة والتنقيح، وفي اللسان وجدتُ الحَوْل: سنة بأسرها، والجمع أحوال وحُوُول وحُؤول؛ حكاها سيبويه.

وحَوْليات: أتى عليها حول، وكل ذي حافر أوّل سنة حَوْليّ، والأنثى حَوْليّة، والجمع حَوليّات[2].

لكن أقرب المعاني لمفهوم الحوليات الذي ندرسه، هو ما جاء في اللسان، الحَوْل: الحِذْق وجودة النظر والقدرة على دِقّة التصرف. ويقال: حُوَّل، بتشديد الواو، أي بصير بتحويل الأمور، رجل حَواليّ للجيد الرأي.

وجاء في القاموس المحيط، الحَوْلُ: السنة (ج) أحوال حؤول وحُوُول. الحَوْلِيّ: ما أتى عليه حَوْل من ذي حافر وغيره وهي بهاء ج حوليات[3]، ولم يتطرق لمفهوم الحوليات بالمعنى الذي نقصده.

---

(١) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر،١٩٧٩م، ص١٤٨، مادة (حول).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد ١١، ص١٨٤، ص١٨٥، ص١٨٦، مادة (حول).

(٣) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، ج٣، ص٣٧٤، مادة (حول).

وفي الوسيط، الحَوْل: الحركة والتحوّل والسنة.

(ج) أحوال. و-الحذق وجودة النظر والقدرة على دقة التصرف في الأمور- ومن الشيء: الجهات المحيطة به. وفي محيط المحيط كذلك، لم يزد عن الحَوْلي: الحائل (ج) حوليات(١).

ولم يأت ذكر الحوليات بما يوحيه مفهوم الجاحظ نهائيًّا في معظم ما قرأت من معاجم.

والحقيقة أن الجاحظ لم يصرح بأن شعراء الحوليات، هم شعراء الصنعة، إنما قال: وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليّات، والمقلَّدات، والمنقَّحات، والمحكمات؛ ليصير قائلها فحلًا خنذيذًا، وشاعرًا مفلقًا(٢).

وأيًّا كانت دلالة المسميات، فإن مفهوم الحوليات تحديدًا الذي هو موضوع الدراسة والبحث، لم يكن القصد منه زمنيًّا؛ فالحوليات مصطلح نقدي عميق الدلالة ومتنوعها، يحمل وجهًا جديدًا في النقد، إضافة إلى ما تقدم من دلالة ضمنية على معنى الصنعة دون التكلف، فإن فيه احترامًا لعقلية المتلقي، وتقديرًا ومراعاة لحقائقه النفسية والاجتماعية.

---

(١) بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣م. ص٢٠٧، مادة (حول).

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٩.

وهـو مصـطلح قريـب مـن الواقعيـة، ومصـطلح يخلـق جـوًّا مـن المشاركة الوجدانية بين النص وقارئه، وفيه قوة فنية تتجه بجهدها نحو غاية خاصة في نفس شاعرها، وهـو-أيضًـا- مصـطلح يـوحي بنقطـة بـدء لمفهوم التأثر والتأثير.

والحوليات تقدم صورة للعصر الجاهلي فيما لـه مـن طـابع زمـاني ومكـاني، وتقـدم حقـائق تاريخيـة واجتماعيـة؛ لتجـذب القـارئ وتثيـر انتباهه. في الحوليات تختفي العواطف والمشاعر باستثناء المقدمات المعهودة وتحل محلها الإحساسات العامة تجاه المجتمع.

وأصل المقال، بعد القراءة والجدال، قول الجاحظ بالصناعة وكرهه التصنع والتصنيع، فهو تكلف الصنعة وهو عيب يشهد بخلاف الطبع. فقد كانت الصنعة مؤطرة عنده، ولم تكن تعني التكلّف مطلقًا، ولـو بقـي مفهوم الصنعة على ما قاله الجاحظ على أقل تقدير لكان الطبع والصنعة وجهين لعملة واحدة، هي (العملية الإبداعية)، لكن تطور دلالة الصنعة عبر العصور الأدبية المتأخرة كاد أن يقضي على الطبع والصنعة معًا.

إن الصنعة التي قصدها الجاحظ لا تعني الإكثار من الفنون البديعية، وكانـت العـرب إنمـا تفاضـل بـين الشـعراء في الجـودة والحسـن بشـرف

المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع[1].

ومدار اللائمة عند الجاحظ ومستقر المذمة؛ حيث رأيتَ بلاغة يخالطها التكلّف، وبيانًا يمازجه التزيّد[2]. إن هذا التباين في الحكم على ظاهرة نقدية أو مصطلح نقدي ونتيجة طبيعية للتسرع في إصدار الأحكام مع غياب للشروط الموضوعية التي تسمح بالدراسة المتأنية، فهل كان وقوف الجاحظ على قضية الطبع والصنعة وقوفًا نقديًّا مدروسًا ومتأنيًا؟

وهنا نعود إلى ما بدأناه، فبالرغم من بيئة الجاحظ وعصره الذي امتاز بحرية الفكر وتنوع الثقافات وازدهار، العلم، إلا إن الجاحظ تناول قضية الطبع والصنعة من منظور واحد، هو العروبة. ولعله حينها غابت الشروط الموضوعية التي تسمح بالدراسة المتأنية.

فقد وقف في جبهة المدافعين عن الثقافة العربية والعروبة من خلال بلاغة العرب وفصاحة بيانهم، وقد قصر فضيلة الشعر على العرب، وعلى من تكلم بلسان العرب فقط، ولم يتطرق إلى دراسة القضية دراسة نقدية.

(١) القاضي عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص٣٣، ٣٤. يقال: أبدع الرجل؛ إذ أتى بالبديع.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص١٣.

ربما لو وقف على قضية الطبع والصنعة وعلى غيرها من القضايا النقدية وعلى بوادر القضايا المهمة التي أشار إليها وطرحها في مجموع كتبه بالدرس والتحليل والتطبيق لأسهمت في تطور الأدب وتقييمه، وربما -أيضًا- لوقف النقد عنده؛ لكنه كان ينتصف للثقافة العربية ويسعى إلى إبرازها، والسير في نفقها في نظرةٍ ثابتة ومحصورة.

وتأسف الباحثة؛ لأن الجاحظ لم يفرد للنقد كتابًا خاصًّا، وأنه أورد ما أورده من نظرات عرضًا في تضاعيف كتبه كالحيوان والبيان والتبيين فقط، وهو على ما هو عليه من طبيعة ذاتية وملكات وسعة في الثقافة، ومقدرة على النقد والتحليل وسبر أعمق المسائل في النقد؛ لكنه اكتفى بما قدّم، وما زال ما قدّمه بحاجة إلى استنطاق.

الخاتمة

بعد جدالٍ طويل حول مفهومي الطبع والصنعة وما ترتب عليهما من نماذج تطبيقية، مثل: (عبيد الشعر) و(الحوليات)، وما وقفت عنده من قضايا نقدية ظهرت في أثناء البحث، وصلت إلى بعض **النتائج العامة**، منها:

١.ضرورة دراسة قضية الموازنة بين أقدار المعاني وأقدار المستمعين، وأقدار الحالات بحيث يجعل الدارس لكل طبقة من ذلك كلامًا، ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات[١]فيتكلم عن المعنى، والمستمع، والحالة، والمقام، والطبقة على نحوٍ خاص.

٢.دراسة موضوع الشعر الذي لا يُترجم، والشعر لا يستطاع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل، ومتى حُوّل، تقطّع نظمه، وبطل وزنه، وذهب حسنه، وسقط موضع التعجب منه، وصار كالكلام المنثور[٢].

٣.دراسة الحالة النفسية للشاعر ومدى اختلافها، بحيث يربط الدارس بين الشعر وحال النفس، والشاعر نفسه قد تختلف حالاته[٣].

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص١٣٨، ص١٣٩.

(٢) الجاحظ: الحيوان، تحقيق د. يحيى الشامي، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ج١، ص٥١.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٩.

٤. دراسة موضوع أن يكون عقل الغريزة سُلَّمًا إلى عقل التجربة[1].

٥. دراسة ملامح الخُلق الاجتماعي في كتب الجاحظ عامةً.

٦. دراسة موضوع أن الحفظ وحده مضيعة للتراث.

٧. دراسة الخطابة ومدى علاقتها بالطبع؛ إذ يقول الجاحظ: رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحاها رواية الكلام، وحَلْيها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه[2].

أما نتائج البحث الخاصة، فهي:

١- الصنعة مصطلح نقدي مفهومة دلالته، لكن الطبع يبقى مصطلحًا معقدًا غير مفككةٍ معانيه.

٢- الوقوف على قضية الطبع والصنعة دليل على احترام المتلقي، وتقديرٌ لعقول الناس.

٣- التفاوت في الشعر يجمع بين الطبع والصنعة.

٤- عدم التفاوت مدعاةٌ لرتابة الشعر.

٥- الصنعة خبرة وتحتاج إلى دُربةٍ ومِران وذكاء.

٦- الطبع والصنعة ثروة الوحدة العضوية.

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٤.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٤٤.

٧- أهمية الطبع في نوع التأليف؛ فقد يكون الرجل له طبيعته في الحساب وليس له طبيعة في الكلام.

٨- الارتجال ليس طبعًا، ومهما كانت قدرة العرب على الارتجال لا ينفي قاعدة أن الشعر موهبة وصناعة.

٩- الإيمان بالطبع إلى حدٍّ كبير، فأنا أوصيك أن لا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة، وأنهما يناسبانك بعض المناسبة ولا تهمل طبيعتك فيستولي الإهمال على قوة القريحة، وليستبد بها سوء العادة.

١٠- الإيمان بقدرة الجاحظ النقدية، فمثله لم تر قط عيني، ولو كان أعلم الناس.

ولولا كراهة الإطالة تخوّف الإملال، لزدت من هذا النوع، ولكن يكفي من البحر جرعة. وقد قيل: خير الكلام ما قلّ وجلّ ودلّ، ولم يملّ.

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ): **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.

٢- ابن الرومي: **ديوان ابن الرومي**، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٤ م.

٣- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

٤- ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.

٥- ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢ هـ): **طبقات فحول الشعراء**، مصر، مطبعة السعادة.

٦- ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ): **الشعر والشعراء**، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.

٧- ابن منظور (ت ٧١١ هـ): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

٨- أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٧٢/ ٣٩٣ هـ): **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، ط٤، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

٩- أبو القاسم بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): **أساس البلاغة**، دار الفكر، ١٩٧٩م.

١٠- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ): **الصناعتين الكتابة والشعر**، تحقيق: مفيد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤ م.

١١- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ): **ديوان المعاني**، شرح وضبط: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية.

١٢- إحسان عباس: **تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري**، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨ م.

١٣- أحمد أحمد فشل: **آراء الجاحظ البلاغية وتأثيرها في البلاغيين العرب حتى القرن الخامس الهجري**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٩م.

١٤- أحمد مطلوب: **معجم مصطلحات النقد العربي القديم**، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١.

١٥- أنيس المقدسي: **أمراء الشعر العربي في العصر العباسي**، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م.

١٦- إيليا الحاوي: **نماذج في النقد الأدبي**، دار الكتاب اللبناني، ط٢.

١٧- بطرس البستاني: **محيط المحيط**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.

١٨- ثريا عبد الفتاح ملحس: **القيمة الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه**، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

١٩- الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ): **الحيوان**، تحقيق يحيى الشامي، ط١، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٠- الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٤، دار الفكر، بيروت.

٢١- جرجي زيدان: **تاريخ آداب اللغة العربية**، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٢- الحصري: زهرة **الآداب وثمرة الألباب**، شرح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢٣- حنا الفاخوري: **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

٢٤- حنا الفاخوري: **تاريخ الأدب العربي**، ط٦، بيروت.

٢٥- زهير بن أبي سلمى، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، دار صادر، بيروت.

٢٦- سامي يوسف أبو زيد: **النقد العربي القديم**، دار المسيرة، عمان، (الاستعداد النفسي لقول الشعر).

٢٧- طه أحمد إبراهيم: **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري**، دار الحكمة، بيروت.

٢٨- عبد العزيز عتيق: **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ط٣، دار النهضة العربية، ١٩٧٤م.

٢٩- عبد القاهر الجرجاني (ت ٣٢١ هـ): **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تعليق: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠- القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ): **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.

٣١- قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ): **نقد الشعر**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٩م.

٣٢- مجد الدين يعقوب الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، دار الجيل، بيروت.

٣٣- محمد النويهي: **وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي**، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٦م.

٣٤- محمد زكي عشماوي: **قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث**، دار النهضة العربية، بيروت.

٣٥- محمد غنيمي هلال: **النقد الأدبي الحديث**، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢م.

٣٦- محمد مندور: **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار الحكمة، بيروت.

٣٧- نجيب العقيقي: **من الأدب المقارن، طبعة موسعة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م.

٣٨- يوسف بكار: **بناء القصيدة العربية**، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩م.

٣٩- جبور عبد النور: **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م.

٤٠- يوسف محمد رضا: **معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة**، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، لبنان، ٢٠٠٦م.

(٤)

المنهج الرياضي في الدرس العروضي عند الفراهيدي (تقويم وتجديد)

د. عادل عباس النصراوي

- كلية التربية الأساسية – جامعة الكوفة.
- جمهورية العراق

المنهج الرياضي في الدرس العروضي عند الفراهيدي
(تقويم وتجديد)

مدخل

إنّ العقلية الرياضية التي يمتلكها الخليل (رحمه الله تعالى) هي التي قادته إلى إيجاد التفعيلات لبحور الشعر العربي، ووجد أنّ هذه البحور ما هي إلّا مجاميع تربطها روابط وعلاقات تشابه فيما بينها؛ إذْ إنّها تضمّ الشكل إلى قرينه والشيء إلى حيِّزه.

قال أبو بكر الزبيدي(ت٣٧٩هـ) عن الخليل: «ثم ألّف على مذهب الاختراع وسبيل الإبداع كتابي الفرش والمثال والعروض، فحصر بذلك جميع أوزان الشعر، وضمّ كلّ شيء إلى حيزه، وألحقه بشكله وأقام ذلك عن دوائر عجزت الأذهان وبهرت الفطن وغمرت الألباب»[١].

والحق أنّ الخليل ضمّ الشيء إلى حيزه؛ إذْ وجدتُ في هذه الدوائر تكاملًا في مساحة البحور وكمياتها، غير أنّ هذه البحور تختلف فيما بينها في توزيع المسافات داخل هذه المساحة لكل جزء في الدائرة الواحدة، وهذا يعني أنها متساوية ومتكاملة، لكن الفرق في التنويع الداخلي

(١) المزهر في علوم اللغة، السيوطي:١/ ٨١.

للعناصر الزمنية، أي توزيع المتحرك والساكن في كل بحر الذي يختلف عنه في البحر الآخر للدائرة الواحدة.

لهذا يعدّ الزمن هو المولِّد الرئيس لهذه البحور واختلاف بعضها عن بعض، فلو تساوى توزيع المتحركات والسواكن برتابة واحدة لما كان هذا التعدّد في البحور، وإنما هو بحر واحد؛ لأنّ الإيقاع كمٌّ عشوائي ينظمه الزمن.

إنّ إدخال عنصر الزمن المرتّب في البحر هو الذي خلق له الموسيقى، ومنه استطعنا أن نتلمس الفرق بين بحر وآخر بحسب توزيع الزمن للمقاطع في الشعر العربي.

فعندما يُقال إنّ لفلان حسًّا موسيقيا يعني أنّ له أذنا تستطيع أن تتحسس الفروقات الزمنية لهذا الكم العشوائي، وهو إحساس لا تجده إلا عند بعض الناس؛ وذلك لدقة المدَد الزمنية للمقاطع في البيت الشعري.

إذن هذا الكم العشوائي الذي يعبّر عنه بالإيقاع، عندما يُضبط بزمن معيّن يتحول إلى موسيقى؛ ولهذا يمكننا أن نصوغه بالصياغة الآتية:

الكم العشوائي(الإيقاع) + انضباط زمني = كم منضبط(١).

وهذا الكم المنضبط هو(الموسيقى)، ويسمى في اللغة وزنًا، وهو

(١) محاضرات الدكتور علي كاظم أسد لطلبة الدراسات العليا.

يميّز الكلام الشعري من غيره، لكنّ الشاعر في كثير من الأحيان لا يلتزم بالأوزان التامة لبحور الشعر، فيقع فيما يسمى بالعلل والزحافات، وهي إجازات في حدود المقبول الذي تستسيغه الأذن العربية أو تعديلات في كميات التفعيلات.

لكنّنا في بحثنا هذا سوف ندرس البحور الشعرية التامة الخالية من الزحافات والعلل توخيًا للوصول إلى الكميات النظرية للبحور العربية.

إذن الشعر كلام مركب من كميات إيقاعية محسوبة على أساس زمني، وهذا الزمن يكون موزعًا داخل الدائرة الواحدة بالكمية ذاتها إلّا أنه يختلف من بحر لآخر.

وعند الفارابي(ت٣٣٩هـ) أنّ قوام الشعر وجوهره... أن يكون قولًا مؤلفًا مما يحاكي الأمر، وأن يكون مقسوما بأجزاء ينطق بها في أزمنة متساوية[١].

وأما ابن سينا(ت٤٢٨هـ) فالشعر عنده كلام مخيّل مؤلف من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب مقفاة، ومعنى كونها موزونة أن يكون لها عدد إيقاعيّ، ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفا من أقوال إيقاعية، فإنّ عدد زمانه مساوٍ لعدد زمان الآخر[٢].

---

(١) ينظر: جوامع الشعر، الفارابي:١٧١.

(٢) ينظر: الشفاء، كتاب الشعر، ابن سينا:١٦١.

وأما حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ) فإنه يعرّف الوزن على أساس من تساوي زمن النطق، فالوزن عنده هو أن تكون المقادير المقفاة تتساوى في أزمنة متساوية لاتفاقها في عدد الحركات والسكنات والترتيب[(١)].

في حين يرى الدكتور جابر عصفور أنّ القصيدة عند حازم تتألف من حروف هي أصوات تتضام فتكوّن الأسباب والأوتاد، والأسباب تتضام فتتكوّن أجزاء المصاريع؛ ومن ثَم أجزاء البيت وأجزاء القصيدة أو التفاعيل، وكذلك الألحان فإنها تتألف من أصوات تتناغم تبعا لما فيها من حِدّة وثقل، فتكوّن الأسباب الأُوَل والثواني، مكونة أجزاء اللحن، والعامل المشترك في الحالتين هو التعاقب في الزمن[(٢)].

أي أن هذا الزمن يولّد وحدة عمل تعمل تجانسًا في التفعيلة الواحدة بين الساكن والمتحرك ضمن البحر الواحد والدائرة الواحدة، فالزمن يعدّ العامل المحرك لهذه الأجزاء، وهو الذي يصنع النغمات المختلفة للبحور المختلفة.

بيدَ أن مجموع هذه النغمات التي يحددها الزمن في البحر الواحد ما هي إلا كمية مساوية لتلك الكمية في البحر الآخر من الدائرة ذاتها.

لقد تنبّه الخليل لهذا التشابه بين بعض الأبحر فحصرها جميعًا في

(١) ينظر: منهاج البلغاء، القرطاجني:٢٧٣.

(٢) ينظر مفهوم الشعر، د. جابر عصفور:٣٧٠.

الدوائر الخمسة على أساس توزيع أسباب وأوتاد بحر ما من الأبحر المتشابهة على شكل دائري؛ وعليه فإن أي نقطة على محيطها يمكن أن تكون مبدأ نسير منه ونعود إليه(١).

وفي ضوء ما تقدم فالإيقاع يمكن أن يُعرّف بأنّه «مجموعة من نقرات تتخللها أزمنة محددة المقادير على نسب وأوضاع مخصوصة، ويكون لها أدوار متساوية، وأما الشعر فإنه كلام يستغرق التلفظ به مُددًا من الزمن متساوية الكمية»(٢).

علاقة أوزان الشعر بالألحان

يتصوّر ابن سينا تميّز الوزن عن اللحن الموسيقي؛ لأنّ الشعر في تقديره يُخيّل ويُحاكَى بأشياء ثلاثة: باللحن الذي يتنغّم به في حالة التغنّي بالشعر، وثانيها بالكلام نفسه، وثالثها بالوزن، وصحيح أنّ ابن سينا يفصل الوزن عن الكلام، ولكنّه ـ وهذا هو الأهم ـ يميّزه من اللحن الموسيقي(٣).

إذن اللحن هو التنغيم الذي يصاحب الكلام، فإذا كان التنغيم متفقًا معه أي أنّ الأوزان المناسبة لهذا التنغيم تميل إليه النفس، فيتولد الالتذاذ، ويكون بالمحاكاة والاتفاق بين الوزن والنغم، ومنها تُولَد

(١) ينظر الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة، د. مصطفى جمال الدين:٢٧.
(٢) المصدر نفسه:١٠.
(٣) ينظر: مفهوم الشعر، د. جابر عصفور:٣٨٥.

الشاعرية.

وذهب الفارابي وابن سينا إلى أنّ دراسة الأوزان الشعرية مهمة العروضي والموسيقي على السواء، وقال الجاحظ(ت٢٥٥هـ): «إنّ وزن الشعر من جنس الغناء»[١]، فإحساس السامع بالالتذاذ إنما يأتي بسبب من تشاكل الأوزان لحالات النفس المتعددة، فكلاهما – الموسيقى والأوزان –، يقوم على التأليف بين الأصوات ومحاكاة الحالات المتعددة للنفس في آنٍ[٢].

لذا نجد أنّ كثيرًا من العروضيين قد أعطوا لكل بحر استعمالًا يختلف عن الآخر، بما يتلاءم والحالة النفسية التي تنسجم مع هذا الوزن أو ذاك، فحازم القرطاجني يقول: «العروض الطويل تجد فيه أبدًا بهاء وقوة، وتجد للبسيط سباطة وطلاوة، وتجد للكامل جزالة وحُسن اطّراد، وللخفيف جزالة ورشاقة، وللمتقارب سباطة وسهولة، وللمديد رقة ولينًا مع رشاقة، وللرَّمَلِ لينًا وسهولة، ولِما في المديد والرمل من اللين كانا أليق بالرثاء وما جرى مجراه بغير ذلك من أغراض الشعر»[٣].

الاستعمال المخصص لكل بحر من بحور الشعر نراه يعتمد على التنغيم الذي يصحب الوزن الذي يتحكّم به الزمن بما يتلاءم مع الحال

(١) رسائل الجاحظ، رسالة القيان: ٢/ ١٦٢.
(٢) ينظر: منهاج البلغاء، القرطاجني: ٢٦٤.
(٣) ينظر: ص٢٦٩.

النفسية للسامع؛ لذا نرى أن هناك قدرا مشتركا بين الناس من تلك التي تسمى حاسة الجمال، وأنّ هذا القدر فطري غريزيّ وُلِدَ معنا، وليس مكتسبا من التجارب، يقول إبراهيم أنيس: «إنّ للشعر نواحي عدّة للجمال، أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ وانسجام من تتالي المقاطع وتردد بعضها بعد قدر معيّن منها، وكلّ هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر»[1]، ونسب الدكتور إبراهيم أنيس إلى كتّاب علم النفس الموسيقي قولهم عن كيفية شعور المرء بنغم الكلام، أنّ هناك ميلا غريزيا في كل كتلة من مقاطع عدة تشبه الفقرات القصار أو العبارات الصغيرة، فقد تسمع في عشر من الثواني ما يكاد يبلغ خمسين مقطعا صوتيا تسمعها الأذن فتلتقطها كتلًا من المقاطع تطول أو تقصر، فإذا ترددت في أواخر هذه الكتل الصوتية مقاطع بعينها شعرنا بسهولة ترديدها، وأحسسنا بغبطة وسرور حين سماعها وبعث فينا هذا الرضا والاطمئنان إليها، وفي هذا سر من أسرار الكلام المقفى[2]، أي أن الاستمتاع يكون أولا بالموسيقى قبل الاستمتاع بالكلام ومعانيه؛ إذْ إنّ النغمة الموسيقية هي لغة يفهمها كل الناس بمختلف البيئات فتراهم يتمايلون لمجرد سماعها بما يتلاءم مع حدود النغمات فتثير فينا انتباها معينا، وقال: «الكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباها

---

(١) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس:١٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:٢٦.

عجيبا، وذلك لما فيه من توقّع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع لتتكون منها جميعا تلك السلسلة المتصلة الحلقات التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس أخرى»(١).

اللحن والموسيقى والعروض

أرى أنّ الشاعر هو أول من يستمتع بشعره وذلك من خلال وضع المعاني الجميلة التي تتلاءم مع الصور، ويُصاحب ذلك كله موسيقى شاعرية تؤجج في المستمع المتعة العالية. وقد شخّص إبراهيم أنيس ذلك في موسيقى الشعر؛ إذْ أكّد أنّ الموسيقى تزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها وتجعلنا نحسّ بمعانيها كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلا عمليا واقعيا، هذا إلى جانب أنها تهب الكلام مظهرا من مظاهر العظمة والجلال وتجعله مصقولا مهذبا تصل معانيه إلى القلب لمجرد سماعه(٢).

ونلاحظ حالة أخرى هي أن البحور في الدائرة الواحدة لها ميزات موسيقية مشتركة، وتشترك معها الأغراض التي تستعمل فيها تلك البحور، ففي دائرة المجتلب تجد أكثر الأغراض المستعملة فيها الرثاء والغناء، وفي دائرة المؤتلف أكثَرَ فيها الشعراءُ ما رقّ من الشعر، وهكذا.

---

(١) المصدر نفسه:١٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:٢١.

وإنّ ما ذكر من علاقة اللحن بالعروض، إنما كان مصدرها الخليل؛ إذْ لم يؤلف قبله في مجال اللحن والنغم شيئا يذكره العلماء، ويبدو أنّ استعمال أجزاء التفعلية من سبب ووتد وفاصلة، له علاقة بالإيقاع الموسيقي، وأنّ الخليل قد استعمل هذه المصطلحات وغيرها في كتابه (النغم) أو (النغم واللحون)، وكان هذا الكتاب معروفا عند علماء اللغة القدماء، وذكره ابن المعتز وابن النديم وابن خلكان[1]. ولعل معرفة الخليل باللحون والأنغام هدته إلى معرفة العروض، لما بينهما من صلة وثيقة «ويذكر القدماء أنّ أصول الألحان في الموسيقى العربية القديمة ثلاثة: السبب والوتد والفاصلة»[2].

وقد أصاب ياقوت الحموي واليافعي حين لمحا علاقة العروض العربي بالنغم والإيقاع الموسيقي في الشعر، وفسرا بذلك إحداث الخليل العروض[3]، قال ياقوت: «وكانت معرفته بالإيقاع هو الذي أحدث له علم العروض»[4].

وقال اليافعي: «وله معرفة بالإيقاع والنغم، وتلك المعرفة أحدثت له

---

(١) ينظر: طبقات الشعراء، ابن المعتز:٩٦، الفهرست، ابن النديم:٦٨، وفيات الأعيان، ابن خلكان:١/ ٣١١.

(٢) الفراهيدي عبقري من البصرة، د. مهدي المخزومي:٩٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه:١٠٠.

(٤) معجم الأدباء، ياقوت:١١/ ٧٣.

علم العروض، فإنهما متقاربان في المأخذ»[1].

وربما كان لعقله الرياضي وتفكيره العلمي أثر كبير في تقليب كل الوجوه المحتملة في المسألة الواحدة، وذلك هداه إلى حصر أوزان الشعر العربي بالبحور الستة عشر، فضلا عن البحور المهملة وندفع ما قيل من نسبة بحر المتدارك إلى الأخفش(سعيد بن مسعدة)، بل إنّ الأخذ بهذه الفرية يثلم نظرية الخليل وينسب لها النقص، والخليل منها براء؛ لأنّ منهجه الرياضي يأخذ بأيدينا إلى أنّه هو الذي استنبطه ووضع أسسه، ولا يمكن أن يفوت أو يفلت منه، قال الدكتور مهدي المخزومي: «فالذي يقف على عمل الخليل في استنباطه البحور يجزم من غير تردد أنّ بحور الشعر ستة عشر كلها من وضع الخليل ومن استنباطاته، وإذا عرفنا أنّ سبيل العروض إلى الدارسين بعد الخليل هو الأخفش، وأن الدارسين الذين عاصروا الأخفش ولقوه لم يكونوا يحسنون الظن في أمانة الأخفش على آثار الآخرين ومصنفاتهم... وضعنا أيدينا على مفتاح هذه الأسطورة التي زعمت أنّ الأخفش استدرك على الخليل شيئا، ما كان معقولا أن يفوته»[2].

ثم لو كان الخليل لم يعرف بحر المتدارك فكيف ينظم قصيدة على هذا البحر، فقد نقل القفطي في ترجمته إذ يقول: «وللخليل بن أحمد

---

(١) المصدر نفسه:١١/ ٧٤.

(٢) الفراهيدي عبقري من البصرة، د. مهدي المخزومي:١٠٥.

قصيدة على «فعَلنْ فعَلنْ» ثلاثة متحركات وساكن، وله قصيدة أخرى على «فَعْلنْ فَعْلنْ» متحرك وساكن، فالتي على ثلاثة متحركات وساكن، قصيدته التي منها:

سُئلوا فأبوا فلقد بخِلوا ... فلبئس لعمرك ما فعلوا
أبكيت على طللٍ ضربا ... فشجاك وأحزنك الطلل

والتي على (فعْلن) ساكنة العين قوله:

هذا عمروٌ يستعفي من ... زيدٍ عندَ الفضلِ القاضي
فانهوا عَمْرًا إنّي أخشى ... صولَ الليثِ العادي الماضي
ليس المرءُ الحامي أنفًا ... مثل المرء الضيم الراضي

فاستخرج المحدثون من هذين الوزنين وزنا سموه (المخلّع) وخلطوا فيه من أجزاء هذا وأجزاء هذا»(١).

وكذلك طريقته في فك البحور تهديه إلى ضرورة استنباط هذا البحر من المتقارب في دائرة المتفق.

ولم تَجزْ هذه الفرية على بعض الدارسين المحدثين من المستشرقين كما جازت على الدارسين من العرب القدماء والمحدثين، فلم يقولوا بمقولتهم، فالمستشرق الكبير بروكلمان يقول: «لا خلاف بين العلماء على أن الخليل أيضًا مبتكر علم العروض، فقد وضع

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي: ١/ ٣٧٧-٣٧٨.

مصطلحاته ما عدا القصيد والرجز والسجع والخطب والروي والقافية والبيت والمصراع»(١).

وكذلك المستشرق غرينباوم يرى في دراساته عن الأدب العربي أن الخليل قد أقرّ ستة عشر وزنا واطرح بعض الأوزان الهزيلة أو المهملة، وأشار إلى وحدة الإيقاع(٢).

وقد جمع الخليل بحور الشعر الستة عشر في خمس دوائر، اجتمع في كل دائرة بعضٌ من هذه البحور، فالبحر الذي يستنبط منه بحر أو أكثر يكون هو أصل تلك الدائرة، وأن عملية الاستنباط هذه تدل على وجود حالات مشتركة بين البحور في الدائرة الواحدة تتمثل بوحدة المساحة الصوتية المتساوية فضلا عن تقارب الأوزان والألحان والإيقاع الموسيقي؛ ولهذا فلا يمكن أن يحصل تداخل بين الدوائر، وإن حدث تشابه في حالة معينة دون باقي الصفات الأخرى والسمات فلا نعدّ ذلك تداخلًا أبدًا.

---

(١) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان:٢/ ١٣١.

(٢) ينظر: دراسات في الأدب العربي، غرينباوم:٣٥.

الدوائر العروضية:

جمع الخليل بحور الشعر العربي الستة عشر في خمس دوائر، وبدأها بدائرة المختلف التي اشتملت على بحر الطويل والبسيط والمديد، ثم دائرة المؤتلف التي ضمّت بحري الكامل والوافر، ثم دائرة المجتلب ببحور الهزج والرجز والرمل، ثم دائرة المشتبه الحاوية لبحور السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث، ثم دائرة المتفق التي شملت بحري المتقارب والمتدارك.

ولأجل دراسة هذه الدوائر وتحليلها رياضيًّا لابدّ من أن أسلك طريقًا آخر غير الذي سلكه الآخرون المذكور آنفًا؛ إذْ سوف أبدأ بدائرة المتفق ثم المجتلب ثم المؤتلف ثم المختلف وأخيرًا المشتبه؛ وذلك لأن طبيعة البحث تقتضي هذا الطريق، فسأبدأ بالدوائر ذات البحور الصافية والتفاعيل الخماسية ثم السباعية، ثم البحور المختلطة.

وقد لاحظت أنّ هذا الطريق قد سلكه قبلنا أمين الدين المحلّي في ترتيب هذه الدوائر لأسباب تختلف عن أسبابنا، وأردت من خلال هذا أن أدلّك على التساوي في المساحات الصوتية للبحور في الدائرة الواحدة، وأنّ الاختلاف في التفاصيل لا يعني اختلاف المساحة فسلكت السبيل الرياضي لذلك.

طريقة المعادلات الرياضية:

بعد أن بيّنا بشيء من التفصيل دوائر الخليل العروضية وبحورها وإيقاعها، سأثبت هذه الدوائر وبحورها بالمعادلات الرياضية التفاضلية[١]، من خلال استعمال المعادلات الجاهزة عن طريق الحاسوب (الكومبيوتر)، طلبًا للاختصار، وسأكتفي بذكر المعلومات المطلوبة (DATA) لكل بحر في المخطط البياني ذي المحورين السيني والصادي، فالمحور الصادي يمثل قيمة المتحرك وقيمة الساكن لكل حروف التفعيلات، فقيمة (ص) للمتحرك تساوي ٢ وقيمة الساكن تساوي ١.

أما المحور السيني[٢] فإنّه يمثل القيمة التراكمية لكل حروف التفعيلة، فمثلًا التفعيلة (فاعلن) تكون قيمة (س) لحرف الفاء فيه تساوي(١)، وللألف(٢)، وللعين(٣)، وللام(٤)، وللنون(٥)، وهكذا لأي تفعيلة تأتي بعدها فإنّها تأخذ القيم التي تليها بشكل تراكمي.

---

(١) لا أعلم أحدًا بحسب اطلاعي استعمل منهجًا رياضيًّا في دراسة العروض العربي لذا لم أذكر الدراسات السابقة على دراستي للعروض على وفق المنهج الرياضي.

(٢) يمثل المحور السيني الخط الأفقي في المخطط البياني، فيما يمثل المحور الصادي الخط العمودي فيه، وعند أخذ خط من المحور العمودي موازيا للمحور السيني ونقاطعه مع خط عمودي من المحور الأفقي فستمثّل نقطة التقائهما نقطة من نقاط المعادلة الرياضية لبحر معيّن بحسب قيمتها في المحورين الأفقي والعمودي كما في النقطة ف١ (١، ٢) في بحر المتدارك مثالًا عليها.

إذن سيكون إحداثيًّا كل حرف من التفعيلة لمحورَيْها السيني والصادي هي القيم المثبتة بحسب تسلسلها على المحور السيني، وبحسب حركتها على المحور الصادي، فمثلًا إحداثيا حرف العين (س، ص) للتفعيلة(فاعل) - المبيّنة سابقًا - ستكون (٣، ٢)؛ إذْ إنّ الرقم (٣) يمثل قيمتها على المحور السيني، والرقم(٢) قيمتها على المحور الصادي، وعملنا سيكون لشطر واحد من كل بحر؛ لأنه مساوٍ لقيمة الشطر الثاني.

أولًا- دائرة المتفق

١ـ بحر المتدارك:

تفعيلة هذا البحر: (فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن) لكل من الصدر والعجز، وقيم نقاطها للساكن والمتحرك حسب تسلسلها (انظر شكل ٢)، كما يأتي:

ف١(١، ٢)، أ١(٢، ١)، ع١(٣، ٢)، ل١(٤، ٢)، ن١(٥، ١).

ف٢(٦، ٢)، أ٢(٧، ١)، ع٢(٨، ٢)، ل٢(٩، ٢)، ن٢(١٠، ١).

ف٣(١٦، ٢)، أ٣(١٢، ١)، ع٣(١٣، ٢)، ل٣(١٤، ٢)، ن٣(١٥، ١).

ف٤(١٦، ٢)، أ٤(١٧، ١)، ع٤(١٨، ٢)، ل٤(١٩، ٢)، ن٤(٢٠، ١).

وبإدخال هذه المعلومات(DATA) لبرنامج المعادلات التفاضلية ينتج لنا معادلة بحر المتدارك وهي:

ص = ١,٦٦٣ -١٠٦٠٠, ٠س.

عندما تكامل المعادلة تنتج لنا المساحة تحت هذا المنحنى التي سميتها **المساحة الصوتية** علمًا أن حدود التكامل تكون من س=١ إلى س=٢٠؛ لأنّ حدود المتغيّر السيني تبدأ من (١) وتنتهي ب(٢٠).

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1{,}663\,x - \frac{0{,}00601}{2}x^2\right]_{x=1}^{x=20}$$

$$= 1,663 * 19 - \frac{0,00601}{2} * 339 = 30,4$$

وحدة صوتية.

٢- بحر المتقارب:

تفعيلة هذا البحر: (فعولن فعولن فعولن فعولن) لكل من الصدر والعجز، أما قيم نقاطها للساكن والمتحرك حسب تسلسلها (انظر الشكل١)، كما يأتي:

ف١(١، ٢)، ع١(٢، ٢)، و١(٣، ١)، ل١(٤، ٢)، ن١(٥، ١).

ف٢(٦، ٢)، ع٢(٧، ٢)، و٢(٨، ١)، ل٢(٩، ٢)، ن٢(١٠، ١).

ف٣(١١، ٢)، ع٣(١٢، ٢)و٣(١٣، ١)، ل٣(١٤، ٢)، ن٣(١٥، ١).

ف٤(١٦، ٢)، ع٤(١٧، ٢)و٤(١٨، ١)، ل٤(١٩، ٢)، ن٤(٢٠، ١).

ف٥(٢١، ٢)، ع٥(٢٢، ٢)، و٥(٢٣، ١)، ل٥(٢٤، ٢)، ن٥(٢٥، ١).

وبإدخال هذه المعلومات(DATA) ينتج لنا معادلة بحر المتقارب، وهي:

ص= ١,٧٢٦ - ٠,٠١٢ س

بعد أن نكاملها تنتج المساحة الصوتية الآتية وحدود تكاملها تكون من س=١ إلى س=٢٠ أيضًا.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1{,}726\,x - \frac{0{,}012x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=20}$$

$$= 1{,}726 * 19 - \frac{0{,}012}{2} * 339 = 30{,}4$$

وحدة صوتية.

ثانيًا – دائرة المجتلب

١- بحر الرجز:

تفعيلة هذا البحر: (مستفعلن، مستفعلن، مستفعلن)، قيم نقاطها للساكن والمتحرك حسب تسلسلها (انظر شكل ٣)، كما يأتي:

م١(١، ٢)، س١(٢، ١)، ت١(٣، ٢)، ف١(٤، ١)، ع١(٥، ٢)، ل١(٦، ٢)، ن١(٧، ١).

م٢(٨، ٢)، س٢(٩، ١)، ت٢(١٠، ٢)، ف٢(١١، ١)، ع٢(١٢، ٢)، ل٢(١٣،٢)، ن٢(١٤، ١).

م٣(١٥، ٢)، س٣(١٦، ١)، ت٣(١٧، ٢)، ف٣(١٨، ١)، ع٣(١٩، ٢)، ل٣(٢٠، ٢)، ن٣(٢١، ١).

وبإدخال هذه المعلومات ينتج لنا معادلة بحر الرجز، وهي:

ص= ٦١٤-٠٠٣٨٩, ٠س

وبتكاملها تنتج لنا المساحة تحت هذا المنحنى، علمًا أن حدود تكاملها تكون من س=١ إلى س=٢١.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1{,}614\,x - \frac{0{,}00389x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=21}$$

$$= 1{,}614 * 20 - \frac{0{,}00389}{2} * 440 = 31{,}444$$

وحدة صوتية.

٢- بحر الهزج:

تفعيلة هذا البحر التامة هي: (مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن)، وقيم نقاطها للساكن والمتحرك منها حسب تسلسلها(انظر شكل ٤) كما يأتي:

م١(١، ٢)، ف١(٢، ٢)، أ١(٣، ١)، ع١(٤، ٢)، ي١(٥، ١)، ل١(٦، ٢)، ن١(٧، ١).

م٢(٨، ٢)، ف٢(٩، ٢)، أ٢(١٠، ١)، ع٢(١١، ٢)، ي٢(١٢، ١)، ل٢(١٣، ٢)، ن٢(١٤، ١).

م٣(١٥، ٢)، ف٣(١٦، ٢)، أ٣(١٧، ١)، ع٣(١٨، ٢)، ي٣(١٩، ١)، ل٣(٢٠، ٢)، ن٣(٢١، ١).

وبإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر الهزج، وهي:

ص= ١,٧ – ٠,٠١١٦٨ س

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية تحت هذا المنحنى، علمًا أن حدود التكامل من س=١ إلى س=٢١.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1{,}7\,x - \frac{0{,}01168x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=21}$$

$$= 1{,}7 * 20 - \frac{0{,}01168}{2} * 440 = 31{,}444$$

وحدة صوتية.

٣- بحر الرمل:

تفعيلة هذا البحر هي: (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن)، وقيم نقاطها للساكن والمتحرك منها بحسب تسلسلها (انظر شكل٥)كما يأتي:

ف١(١، ٢)، أ١(٢، ١)، ع١(٣، ٢)، ل١(٤، ٢)، أ١(٥، ١)، ت١(٦، ٢)، ن١(٧، ١).

ف٢(٨، ٢)، أ٢(٩، ١)، ع٢(١٠، ٢)، ل٢(١١، ٢)، أ٢(١٢، ١)، ت٢(١٣، ٢)، ن٢(١٤، ١).

ف٣(١٥، ٢)، أ٣(١٦، ١)، ع٣(١٧، ٢)، ل٣(١٨، ٢)، أ٣(١٩، ١)، ت٣(٢٠، ٢)، ن٣(٢١، ١).

وبإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر الرمل، هي:

ص= ١,٦٥٧ - ٠,٠٠٧٧٩ س

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية تحت هذا المنحنى، وحدود تكاملها من س=١ إلى س=٢١.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1,657\,x - \frac{0,00779x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=21}$$

$$= 1,657 * 20 - \frac{0,00779}{2} * 440 = 31,444$$

وحدة صوتية.

ثالثًا- دائرة المؤتلف

١- بحر الكامل:

تفعيلة هذا البحر: (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، وقيم نقاطها للساكن والمتحرك بحسب تسلسلها (انظر الشكل٦)، وكما يأتي:

م١(١، ٢)، ت١(٢، ٢)، ف(٣، ٢)، أ١(٤، ١)، ع١(٥، ٢)، ل١(٦، ٢)، ن١(١،٧).

م٢(٨، ٢)، ت٢(٩، ٢)، ف٢(١٠، ٢)، أ٢(١١، ١)، ع٢(١٢، ٢)، ل٢(١٣، ٢)، ن٢(١،١٤).

م٣(١٥، ٢)، ت٣(١٦، ٢)، ف٣(١٧، ٢)، أ٣(١٨، ١)، ع٣(١٩، ٢)، ل٣(٢، ٢)، ن٣(٢١، ١).

بإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر الكامل، وهي:

ص= ١,٨٤٢ - ٠,١١٦٨ س

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية للبحر، وأنّ حدود تكاملها من س=١ إلى س=٢١.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1,842\,x - \frac{0,01168x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=21}$$

$$= 1,842 * 20 - \frac{0,01168}{2} * 440 = 34,288$$

وحدة صوتية.

٢- بحر الوافر:

تفعيلة هذا البحر: (مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن)، وقيم نقاطها للساكن والمتحرك منها حسب تسلسلها، (انظر الشكل ٧)، كما يأتي:

م١(١، ٢)، ف١(٢، ٢)، أ١(٣، ١)، ع١(٤، ٢)، ل١(٥، ٢)، ت١(٦، ٢)، ن١(٧، ١).

م٢(٨، ٢)، ف٢(٩، ٢)، أ٢(١٠، ١)، ع٢(١١، ٢)، ل٢(١٢، ٢)، ت٢(١٣، ٢)، ن٢(١٤، ١).

م٣(١٥، ٢)، ف٣(١٦، ٢)، أ٣(١٧، ١)، ع٣(١٨، ٢)، ل٣(١٩، ٢)، ت٣(٢٠، ٢)، ن٣(٢١، ١).

وبإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر الوافر، وهي:

ص= ١,٨ - ٠,٠٠٧٧٩ س

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية، علمًا أنّ حدود تكاملها من س=١ إلى س=٢١.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1{,}8\,x - \frac{0{,}00779x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=21}$$

$$= 1{,}8 * 20 - \frac{0{,}00779}{2} * 440 = 34{,}286$$

وحدة صوتية.

رابعًا- دائرة المختلف

١- بحر البسيط:

تفعيلة هذا البحر: (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن) وقيم نقاطها للساكن والمتحرك منها بحسب تسلسلها (انظر الشكل ٨) وكما يأتي:

م١(١، ٢)، س١(٢، ١)، ت١(٣، ٢)، ف١(٤، ١)، ع١(٥، ٢)، ل١(٦، ٢)، ن١(٧، ١).

ف٢(٨، ٢)، أ٢(٩، ١)، ع٢(١٠، ٢)، ل٢(١١، ٢)، ن٢(١٢، ١).

م٣(١٣، ٢)، س٣(١٤، ١)، ت٣(١٥، ٢)، ف٣(١٦، ١)، ع٣(١٧، ٢)، ل٣(١٨، ٢)، ن٣(١٩، ١)، ف٤(٢٠، ٢)، أ٤(٢١، ١)، ع٤(٢٢، ٢)، ل٤(٢٣، ٢)، ن٤(٢٤، ١).

بإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر البسيط، وهي:

ص= ١,٦١٥٩ - ٠,٠٠٢٦ س

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية للبحر، علمًا أن حدود تكاملها من س=١ إلى س=٢٤.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1,6159\,x - \frac{0,0026x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=24}$$

$$= 1{,}6159 * 23 - \frac{0{,}0026}{2} * 575 = 36{,}416$$

وحدة صوتية.

٢- بحر الطويل:

تفعيلة هذا البحر: (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)، وقيم نقاطها للساكن، والمتحرك منها حسب تسلسلها (انظر الشكل ٩)، كما يأتي:

ف١(١، ٢)، ع١(٢، ٢)، و١(٣، ١)، ل١(٤، ٢)، ن١(٥، ١).

م٢(٦، ٢)، ف٢(٧، ٢)، أ٢(٨، ١)، ع٢(٩، ٢)، ي٢(١٠، ١)، ل٢(١١، ٢)، ن٢(١٢، ١).

ف٣(١٣، ٢)، ع٣(١٤، ٢)، و٣(١٥، ١)، ل٣(١٦، ٢)، ن٣(١٧، ١).

م٤(١٨، ٢)، ف٤(١٩، ٢)، أ٤(٢٠، ١)، ع٤(٢١، ٢)، ي٤(٢٢، ١)، ل٤(٢٣، ٢)، ن٤(٢٤، ١).

بإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر الطويل، وهي:

ص= ١,٧٠٢٨ -٠,٠٠٩٥ س

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية لهذا البحر، وأنّ حدود تكاملها من س=١ إلى س=٢٤.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1{,}7028\,x - \frac{0{,}0095x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=24}$$

$$= 1{,}7028 * 23 - \frac{0{,}0095}{2} * 575 = 36{,}4$$

وحدة صوتية.

٣- البحر المديد:

تفعيلة هذا البحر: (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن)، وقيم نقاطها للساكن والمتحرك منها حسب تسلسلها (انظر الشكل١٠)، كما يأتي:

ف١(١، ٢)، أ١(٢، ١)، ع١(٣، ٢)، ل١(٤، ٢)، أ١(٥، ١). ت١(٦، ٢)، ن١(٧، ١).

ف٢(٨، ٢)، أ٢(٩، ١)، ع٢(١٠، ٢)، ل٢(١١، ٢)، ن٢(١٢، ١).

ف٣(١٣، ٢)، أ٣(١٤، ١)، ع٣(١٥، ٢)، ل٣(١٦، ٢)، أ٣(١٧، ١). ت٣(١٨، ٢)، ن٣(١٩، ١).

ف٤(٢٠، ٢)، أ٤(٢١، ١)، ع٤(٢٢، ٢)، ل٤(٢٣، ٢)، ن٤(٢٤، ١).

وبإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر المديد، وهي:

ص= ١,٦٣٧ - ٠,٠٠٤٣٤ س

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية لهذا البحر، علمًا أن حدود تكاملها من س=١ إلى س=٢٤.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1,637\,x - \frac{0,00434x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=24}$$

$$= 1,637 * 23 - \frac{0,00434}{2} * 575 = 36,403$$

وحدة صوتية.

خامسًا – دائرة المشتبه

١- بحر السريع:

تفعيلة هذا البحر: (مستفعلن مستفعلن مفعولات)، وقيم نقاطها للساكن والمتحرك منها بحسب تسلسلها (انظر الشكل١٥)، كما يأتي:

م١(١، ٢)، س١(٢، ١)، ت١(٣، ٢)، ف١(٤، ١)، ع١(٥، ٢)، ل١(٦، ٢)، ن١(٧،).

م٢(٨، ٢)، س٢(٩، ١)، ت٢(١٠، ٢)، ف٢(١١، ١)، ع٢(١٢، ٢)، ل٢(١٣، ٢)، ن٢(١٤، ١)،

م٣(١٥، ٢)، ف٣(١٦، ١)، ع٣(١٧، ٢)، و٣(١٨، ١)، ل٣(١٩، ٢)، أ٣(٢٠، ١)، ت٣(٢١، ٢).

وبإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر السريع، وهي:

ص= ١,٧٦٣ -٠,٠٢٤٩ س

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية تحت هذا المنحنى، علمًا أن حدود تكاملها من س=١ إلى س=٢١.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1{,}763\,x - \frac{0{,}0249x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=21}$$

$$= 1,763 * 20 - \frac{0,0249}{2} * 440 = 30,275$$

وحدة صوتية.

٢- بحر الخفيف:

تفعيلة هذا البحر: (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن)، وقيم نقاطها للساكن والمتحرك منها حسب تسلسلها (انظر الشكل ١٣)، كما يأتي:

ف١(١، ٢)، أ١(٢، ١)، ع١(٣، ٢)، ل١(٤، ٢)، أ١(٥، ١). ت١(٦، ٢)، ن١(٧، ١).

م٢(٨، ٢)، س٢(٩، ١)، ت٢(١٠، ٢)، ف٢(١١، ٢)، ع٢(١٢، ١). ل٢(١٣، ٢)، ن٢(١٤، ١).

ف٣(١٥، ٢)، أ٣(١٦، ١)، ع٣(١٧، ٢)، ل٣(١٨، ٢)، أ٣(١٩، ١). ت٣(٢٠، ٢)، ن٣(٢١، ١).

وبإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر الخفيف، وهي:

ص= ١,٧٣٧ - ٠,٠١٩٣ س

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية للبحر، علمًا أن حدود تكاملها من س=١ إلى س=٢٢.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1{,}737\,x - \frac{0{,}0193x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=22}$$

$$= 1{,}737 * 21 - \frac{0{,}0193}{2} * 440 = 30{,}49$$

وحدة صوتية.

٣- بحر المنسرح:

تفعيلة هذا البحر: (مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن)، وقيم نقاطها للساكن، والمتحرك منها حسب تسلسلها (انظر الشكل ١١)، كما يأتي:

م١(١، ٢)، س١(٢، ١)، ت١(٣، ٢)، ف١(٤، ١)، ع١(٥، ٢). ل١(٦، ٢)، ن(٧، ١).

م٢(٨، ٢)، ف٢(٩، ١)، ع٢(١٠، ٢)، و٢(١١، ١)، ل٢(١٢، ٢). أ٢(١٣، ١)، ت٢(١٤، ٢).

م٣(١٥، ٢)، س٣ (١٦، ١)، ت٣(١٧، ٢)، ف٣(١٨، ١)، ع٣(١٩، ٢). ل٣(٢٠، ٢)، ن٣(٢١، ١).

وبإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر المنسرح، وهي:

ص= ١,٧٠١ ـ ٠,٠١٦٤ س

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية لهذا البحر، علمًا أن حدود تكاملها من س=١ إلى س=٢١.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1{,}701\,x - \frac{0{,}0164x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=21}$$

$$= 1{,}701 * 20 - \frac{0{,}0164}{2} * 440 = 30{,}4$$

وحدة صوتية.

٤- بحر المضارع:

تفعيلة هذا البحر: (مفاعلين فاعِ لاتن مفاعيلن)، وقيم نقاطها للساكن والمتحرك منها بحسب تسلسلها (انظر الشكل١٦)، مما يأتي:

م١(١، ٢)، ف١(٢، ٢)، أ١(٣، ١)، ع١(٤، ٢)، ي١(٥، ١)، ل١(٦، ٢)، ن١(٧، ١).

ف٢(٨، ٢)، أ٢(٩، ١)، ع٢(١٠، ٢)، ل٢(١١، ٢)، أ٢(١٢، ١)، ت٢(١٣، ٢)، ن٢(١٤، ١).

م٣(١٥، ٢)، ف٣(١٦، ٢)، أ٣(١٧، ١)، ع٣(١٨، ٢)، ي٣(١٩، ١)، ل٣(٢٠، ٢)، ن٣(٢١، ١).

وبإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر المضارع وهي:

ص=١,٧٧٢-٠,٠٠٢٧س.

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية تحت المنحى، علما أن حدود

التكامل من س= ١، إلى س=٢١.

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1{,}772\ x - \frac{0{,}0027x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=21}$$

$$= 1{,}772 * 20 - \frac{0{,}0027}{2} * 440 = 30{,}55$$

وحدة صوتية.

٥- بحر المقتضب:

تفعيلة هذا البحر ترد مجزوءة وهي: (مفعولاتُ مستفعلن)، وقيم نقاطها للساكن والمتحرك منها بحسب تسلسلها (انظر الشكل ١٢)، كما يأتي:

م١(١، ٢)، ف١(٢، ١)، ع١(٣، ٢)، و١(٤، ١)، ل١(٥، ٢)، أ١(٦، ١)، ت١(٧، ٢).

م٢(٨، ٢)، س٢(٩، ١)، ت٢(١٠، ٢)، ف٢(١١، ١)، ع٢(١٢، ٢)، ل٢(١٣، ٢)، ن٢(١٤، ١).

وبإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر المقتضب وهي:

ص=١,٨٢١-٠٤٧٨,٠س.

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية تحت المنحنى، علما أن حدود التكامل من س=١ إلى س=١٤

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1,821\, x - \frac{0,0478x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=14}$$

$$= 1,821 * 13 - \frac{0,0478}{2} * 195 = 19,019$$

وحدة صوتية.

٦- بحر المجتث:

تفعيلة هذا البحر ترد مجزوءة وهي: (مستفعِ لن فاعلاتن)، وقيم نقاطها للساكن والمتحرك منها بحسب تسلسلها (انظر الشكل٤) كما يأتي:

م١(١، ٢)، س١(٢، ١)، ت١(٣، ٢)، ف١(٤، ١)، ع١(٥، ٢)، ل١(٦، ٢)، ن١(٧، ١).

ف٢(٨، ٢)، أ٢(٩، ١)، ع٢(١٠، ٢)، ل٢(١١، ٢)، أ٢(١٢، ١)، ت٢(١٣، ٢)، ن٢(١٤، ١).

وبإدخال هذه المعلومات تنتج لنا معادلة بحر المجتث وهي:

ص=١,٨٦٤-٠,٠٥٢س

وبتكاملها تنتج لنا المساحة الصوتية تحت هذا المنحنى، علما أن حدود تكاملها من س=١، إلى س=١٤

المساحة الصوتية:

$$M = \left[1,864\,x - \frac{0,052x^2}{2}\right]_{x=1}^{x=14}$$

$$= 1,864 * 13 - \frac{0,052}{2} * 195 = 19,165$$

وحدة صوتية.

الخاتمة

توصّل البحث إلى النتائج الآتية:

١- أوضحت الدراسةُ الأسسَ العامة لبناء العروض العربي، وفلسفته التي أقامها الخليل بن أحمد الفراهيدي على وفق منهج رياضي بحت.

٣- أوضحت طريقةُ المعادلات الرياضية طريقةَ إيجاد المساحات الصوتية في الواقع النظري لكل وزن شعري، فضلًا عن إعطاء فكرة واضحة عن مرونة الأوزان الشعرية.

٤- لم تكن دراسة العروض العربي ترفًا فكريًّا - كما يتوهم بعض الدارسين - وإنما هي حاجة مهمة لبيان الأثر النفسي للشاعر في القصيدة العربية من خلال الاختزال في الوزن الذي يظهر واضحًا في المساحات الصوتية المفترضة.

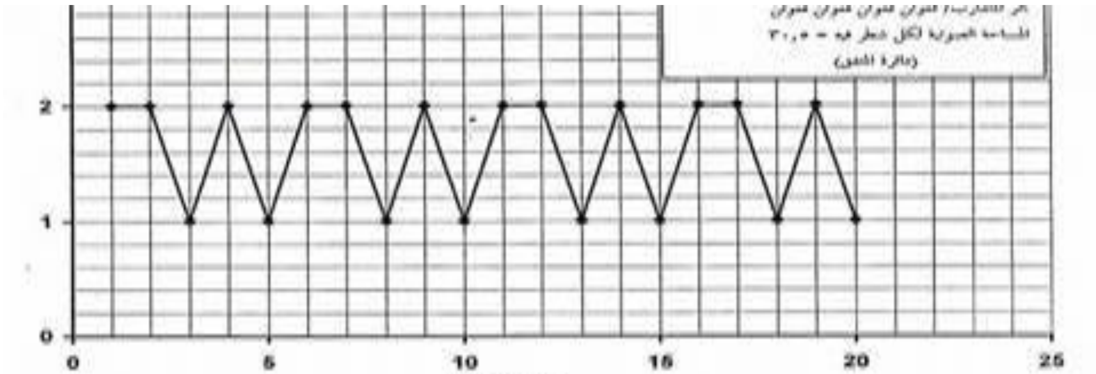
٥- لم يستطع الشاعر في الأعم الأغلب استيعاب كل إمكانات الوزن الشعري والزمن الكلي المتاح له فيه؛ لأنّ ذلك يحتاج إلى لحظة استقرار تام تعمّ نفس الشاعر وروحه المتعلقة في الخيال، ومشاعره الفياضة، وهذا ما لا يستطيع الشاعر الإمساك به في لحظة الإبداع؛ لأنّ الشعر حالة إبداعية لا يمكن تكرارها بسهولة ويسر عند ولادة القصيدة؛ لذا يحاول استثمار بعض الزمن، فيختزل الوزن عن طريق الزحافات

والعلل لإفراغ كامل الفكرة التي وُلدت ساعة الإبداع تلك.

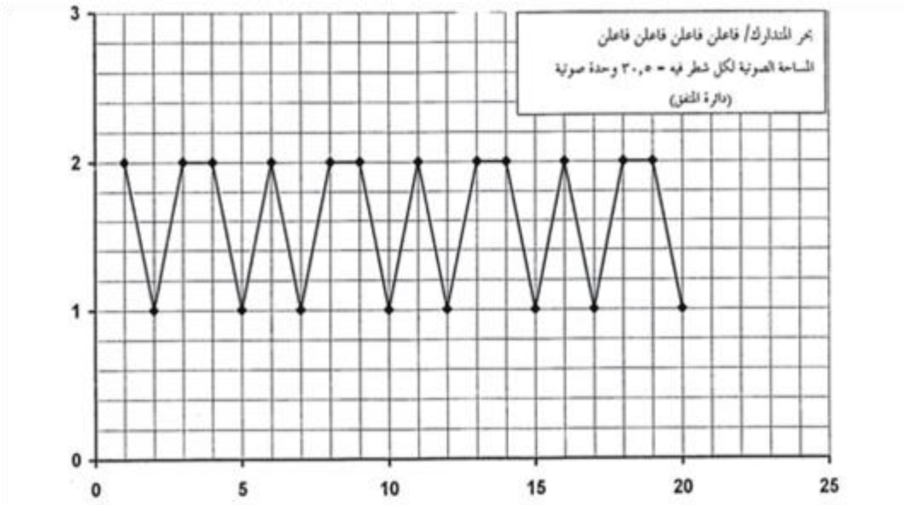
٦- أوضحت المساحاتُ الصوتية المفترضة لأوزان الشعر العربي إمكانات كل بحر من البحور في أداء اللحن الموسيقي.

٧- ربما توضّح المساحاتُ الصوتية الأثر النفسي من خلال الصعود والهبوط بأثر من الساكن والمتحرك لكل تفعيلة، فكلما ازدادت السواكن كان البحر أكثر توترًا في موسيقاه ويفصح عن حالة القلق أو الثقل في الوزن، فيما أن زيادة المتحركات تُفضي إلى السهولة وسرعة الحركة وإزالة التوتر.

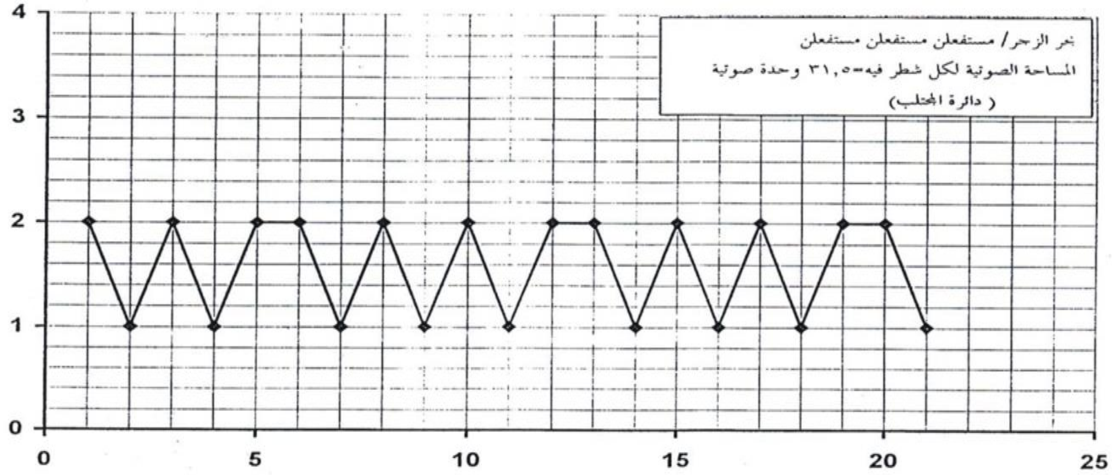
الملاحق



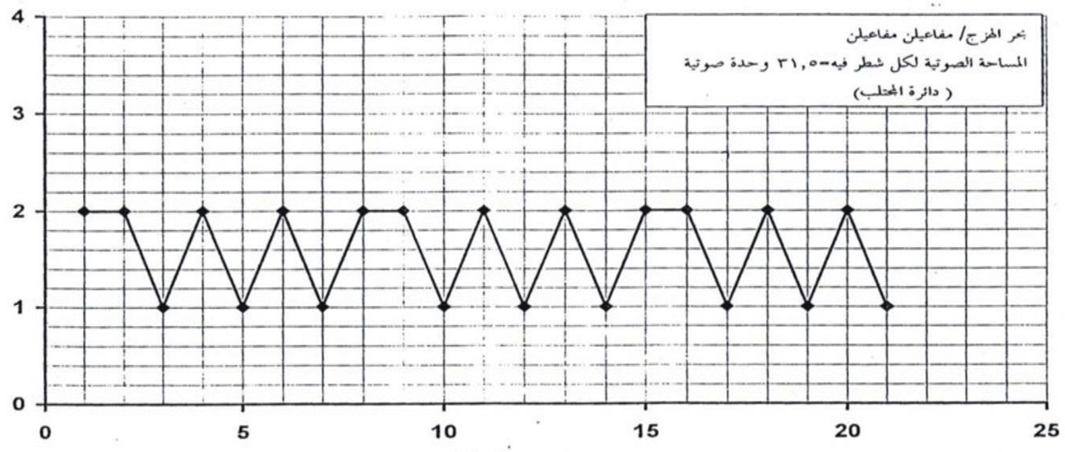
شكل رقم(١)



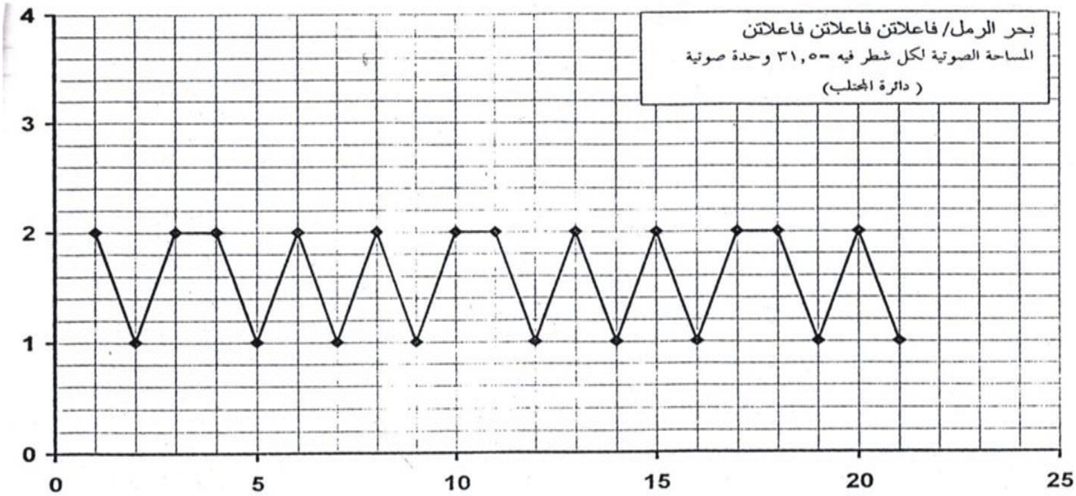
شكل رقم(٢)



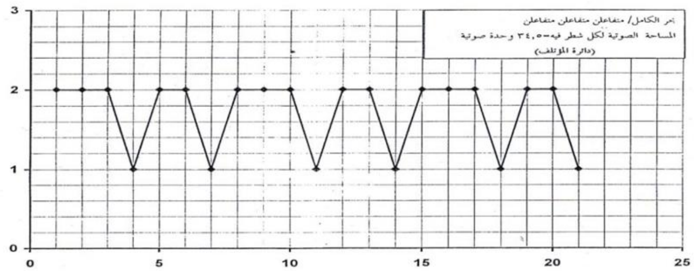
شكل رقم(٣)



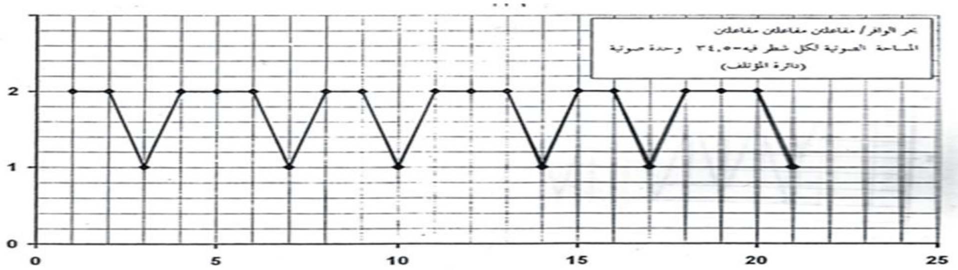
شكل رقم(٤)



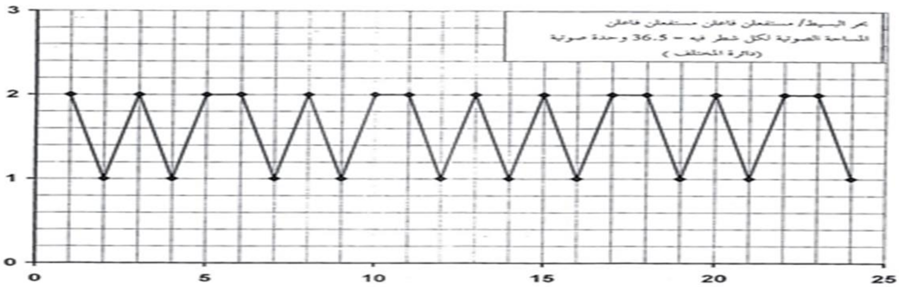
شكل رقم(٥)



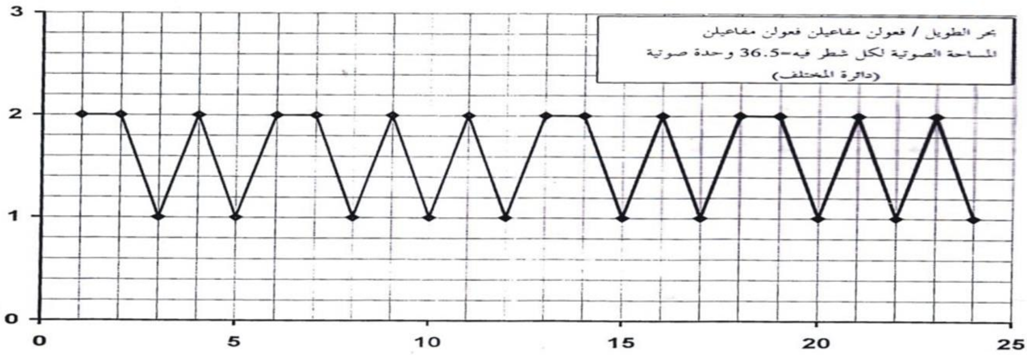
شكل رقم(٦)



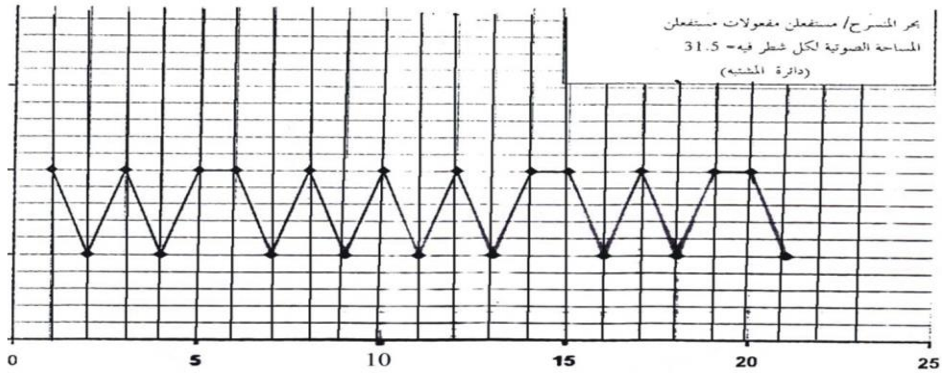
شكل رقم(٧)



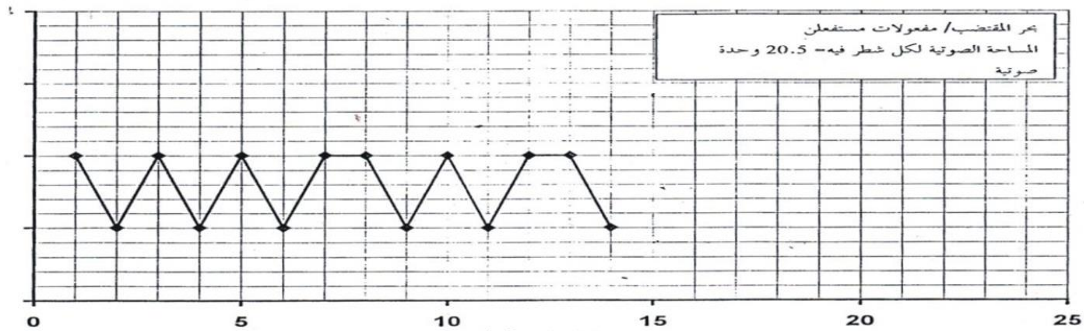
شكل رقم(٨)



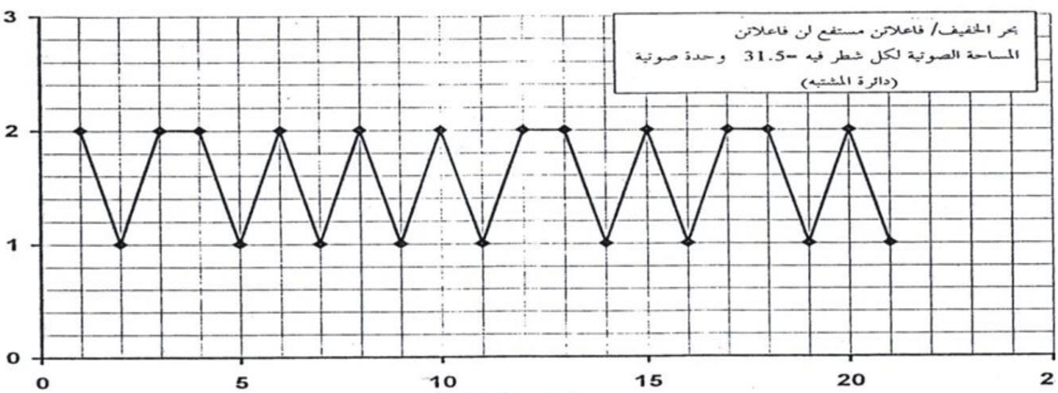
شكل رقم(٩)



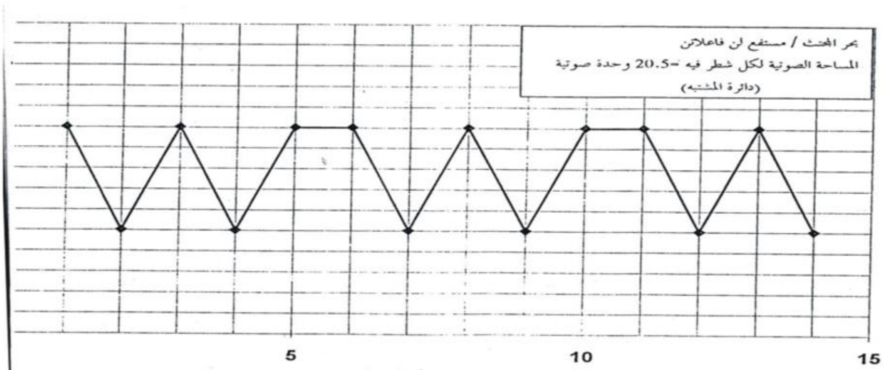
شكل رقم(١١)



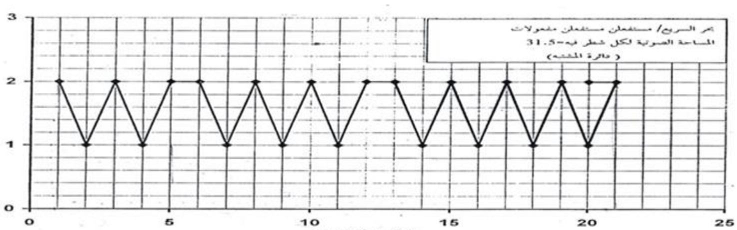
شكل رقم(١٢)



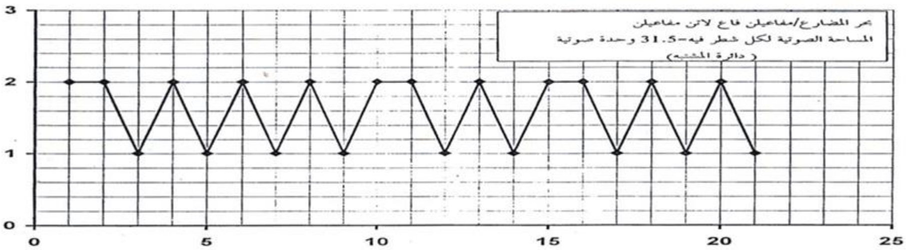
شكل رقم(١٣)



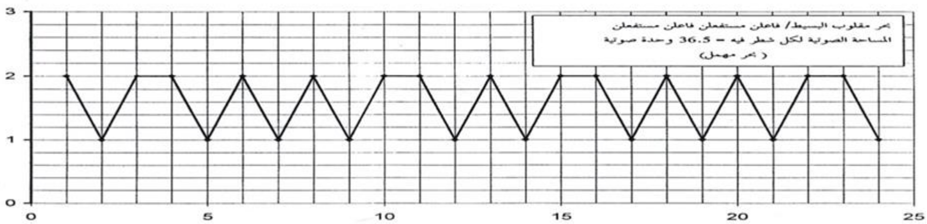
شكل رقم(١٤)



شكل رقم(١٥)



شكل رقم(١٦)



شكل رقم(١٧)

المصادر والمراجع

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن بن يوسف القفطي(ت٦٢٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، شركة شريف الأنصاري للطباعة والنشر، ط١(١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).
- الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة، د. مصطفى جمال الدين، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار، دار الكتاب الإسلامي - مطبعة ستار، ط١(١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).
- جوامع الشعر، أبو نصر الفارابي، ضمن تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر، تأليف أبي الوليد بن رشد، تحقيق وتعليق د. محمد سليم سالم، (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
- دراسات في الأدب العربي، غريناوم، بيروت.
- رسائل الجاحظ(رسالة القيان)، لأبي عثمان بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- طبقات الشعراء، ابن المعتز، دار المعارف بمصر.

- الفراهيدي عبقري من البصرة، الدكتور مهدي المخزومي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٩م.
- الفهرست، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم (ت٣٨٠هـ)، ضبطه وعلق عليه وقدم له د. يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
- كتاب الشعر (كتاب الشفاء)، ابن سينا، ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو طاليس، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- المزهر في علوم اللغة، وأنواعها، للعلامة السيوطي، شرح وتعليق محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).
- مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، د.أحمد جابر عصفور، المركز العربي للثقافة والعلوم، ١٩٨٢م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٧ م.
- موسيقى الشعر، د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ)، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، اعتنى بها مكتب التحقيق، أعدّ فهارسها رياض عبد الله عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١(١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

(٥)

الإبداع البلاغي في سينية ابن الأبار

د. آمال موسى محمد نور

- عميدة كلية اللغات والترجمة، جامعة الرباط الوطني- الخرطوم.

الإبداع البلاغي في سينية ابن الأبار

الملخّص

احتوى البحث على مقدمة عن العصر الأندلسي منذ تم الفتح على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير سنة (٩١هـ) مرورا بعصورها المختلفة في إيجاز حتى عصر بني الأحمر الذين أُخذت في عهدهم غرناطة، وما أصاب المدن الأندلسية من حصار ومحن حتى أخذت تتهاوى الواحدة تلو الأخرى، ثم تحدثنا عن بلنسية موطن الشاعر ابن الأبار، التي قال في حصارها قصيدته موضوع الدراسة، وقد عانت بلنسية الحصار وذاقت ويلاته، المرة تلو الأخرى، إلى أن حوصرت واحتلها الروم نهائيًّا سنة ست وثلاثين وستمائة هجرية. ثم تناول البحث حياة ابن الأبار التي أمضاها بين الأندلس وتونس، وهي حياة حافلة بين العمل والتأليف والمشاركة في الأحداث وانتهت بمقتله. ومن ثم عكفنا على دراسة القصيدة، التي عبرت عن عبقرية الشاعر في حمل هذه الرسالة إلى سلطان تونس أبي زكريا يحيى، وهي رسالة عظيمة وعبء ثقيل حمله الشاعر دفاعا عن موطنه، فوضع في كلمات القصيدة كل أحاسيسه، وقد حفلت القصيدة بالوجوه البلاغية التي سخرها الشاعر لخدمة هدفه، فجاءت القصيدة ترفل في خيوط من الذهب من وشي البلاغة، وتتيه عجبًا بين البيان والبديع، وترتدي المعاني وشاحًا، ينتظم

نظمها ويزينه، حتى غدت غادة حسناء اهتز لها السامع طربا، ويشمخ لها القارئ تيها، وتزيده جمالا كلما ازداد فيها نظرا.

وخلصنا من دراستها إلى أن مأساة الأندلس، أتحفت الأدب العربي بالدر المكنون، وظل الشعراء يتبارون في التعبير عنها فيجيدون ما شاء الله لهم أن يجيدوا، غير أن هذا الشعر ما تزال قصائده تحتاج إلى من يكشف النقاب عن جمالها، ويزيل الستار عن بهائها، فما زال بحرها زاخرا، ودرها في صدفاته، يحتاج إلى المهرة من الباحثين الذين يغوصون فيه، فيكشفون النقاب عن خبايا هذا الجمال الأدبي الرفيع. ويحتاج أبناؤنا أن يُلقنوا هذه النصوص فتزيد حصيلتهم العلمية واللغوية والثقافية، فيجدون فيها النبع الصافي الذي لا ينضب ماؤه، ولا يذهب بهاؤه، فهو التبر الأصيل، والكنز الذي لا يفنى، والجديد الذي لا يبلى.

Abstract

The research included an introduction on Andalous era since it has been conquered by Tareg ibn Zeyad and Mousa ibn Nassir in the year 90 A. H passing through its different eras including Beni Alahnar era in which Gornata has been overcome while the other Andalous cities were sieged and collapsed one following another. We focused on the city of Balansia the homeland of ibn Alabar who wrote the poem under question. Balansia has undergone siege from time to time till it was conquered by Al rom in the year 636 A. H. Furthermore ،the research dealt with the life of ibn Alabrar in Tunisia and Andalous ،a life full of work ، publication and participation in events which ended with his death. We also concentrated on investigating the poem which expressed the genius of the poet sending a message to Abi Zakaria Yahya the Sultan of Tunisia. The message is the best written one in which the poet used words to express his deep sense towards defending his homeland. to obtain the poet objective ، the poem included all types of rhetorical speech which make it more beautiful and more powerful. We concluded that Andalous tragedy provided the Arabic literature with special flavor of rhetorical speech that motivated poets to show their talents in poetry. The poems of such poetry still need researchers to reveal its beauty. Therefore ،our students need to learn such poems to increase their scientific ،linguisti and cultural vocabulary. These poems considered to be an everlasting essay bank of knowledge.

مقدمة

شهدت الأندلس-بعد انتظام عقدها وازدهاء حضارتها- ومنذ عصر ملوك الطوائف، عام ٤٢٢هـ، انقساما حادًّا وحروبا طاحنة عصفت بها، فتساقطت على إثرها المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى في أيدي النصارى، وبدأت تتآكل وتنسل من وسطها على خلاف المألوف كما قال شاعرها ابن العسال:

الثوبُ ينسلُ مِنْ أطرافِه وأرى   ثوبَ الجزيرةِ منسولًا من الوسط
ونحنُ بين عدوٍّ لا يفارقنا   كيف الحياة مع الحيّات في سفط

فكانت طليطلة أولى المدن الأندلسية الكبيرة ضياعًا من المسلمين عام (٤٧٨هـ) وتبعتها بعد ذلك كثير من المدن والأقاليم الأندلسية، حتى سقوط غرناطة سنة (٨٩٧هـ)، ثم انقرضت دولة الإسلام بالأندلس ومحيت رسومها.

وكانت مأساة سقوط هذه المدن ملهمة للشعراء، فنظموا فيها الكثير من القصائد، وكانت بلنسية واحدة من هذه الأقاليم التي تقلبت بين جحيم السقوط ونعيم الاسترداد، فقال في ذلك الشعراء، ونظموا عقودا من الدر المنضود، ومن تلك العقود المنظومة قصيدة شاعرها الفذ ابن الأبار، الذي نظم فيها سينيته البديعة نظمًا وموضوعًا، فهي فريدة في بابها في الشعر العربي، رسالة شعرية في الدعوة إلى استنهاض الهمم لإنقاذ بلنسية، أبقت هذه المدينة -رغم زوالها- خالدة على مر الأعوام

والدهور، خالدة ما بقي الإنسان، وإن محيت تلك المدينة العربية من خارطة الأرض، خلدها هذا الأدب الخالد الذي لم تقو أيدي الطغاة على طمسه أو العبث به، ذهبت بلنسية العربية، ولكنها بقيت خالدة في هذه القصيدة وأضرابها.

وقصيدة ابن الأبار السينية هذه روضة من رياض الأدب العربي الرصين، لا يذوي لها زهر، ولا تزال عنادل أفنانها مغردة أبد الدهر، تحمل عبق تلك المدينة، فهي أنشودة العودة الأبدية، صرخة لكل أبي، عظة لكل متفكر، لبست من فنون العربية أجمل حلة، وقطفت من فنون البلاغة من كل غصن زهرة، فاستوت روضة حافلة بخمائل المعاني، وهي كما قيل: فضحت من باراها، وكبا دونها من جاراها، وقد سعدت بدراستها، وتزداد سعادتي بتقديمها في هذا البحث، الذي وإن اجتهدت فيه لإبراز أوجه الجمال فيها، فإنه يعجز عن مجاراتها، ففيها من الفنون الدر المكنون.

الأندلس بين الفتح والسقوط:

كان فتح الأندلس على يد طارق بن زياد(١)، مولى موسى بن نصير(٢)، وآنذاك عليها من حكامها رجل يقال له (لذريق)، ومن أصحاب إقليم سَبْتة منها (يُليان) ويبدو أنه لم يكن على وفاق مع (لذريق)، فكتب إلى موسى بن نصير، عامل إفريقية، بالسمع والطاعة،

---

(١) اختلف في نسبه؛ فالأكثرون على أنه بربري من نفزة، وأنه مولى لموسى بن نصير، من سبي البربر. وقال آخرون إنه فارسي. وهو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهو بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، وكأنهم اتفقوا على أنَّ طارقًا كان عاملًا لموسى، قبل محاولة الأندلس، على المغرب الأقصى، وترك عنده برابر المغرب في سنة (٨٦) من الهجرة. وقيل أيضا إن طارقًا جاز إلى الأندلس برهائن البربر سنة (٩٢هـ). فالأكثرون يقولون: كان مستقره بطنجة، ومنهم من يقول سجلماسة، وإن سلا وما وراءها من فاس وطنجة وسبتة كانت للنصارى؛ وكانت طنجة ليليان منهم؛ فكان طارق إذًا نائبًا عن موسى بن نصير. واختلفوا أيضا هنا هل إنما سار إلى الأندلس عن أمر موسى، أو سار إليها لأمر دهمه، لا يمكنه إلا إنفاذه. والقول الأول هو المشهور المتفق عليه. (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري ص ٢٠٣، pdf).

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (٦٧٧-٧٣٣هـ) ج٢٤، الطبعة الثالثة، دار الكتب والوثائق القومية -القاهرة، (٤٢٨ ه-٢٠٠٧م) ص ٤٠ وما بعدها. كانت ولادة موسى بن نُصَير في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سنة تسع عشرة من الهجرة النبوية، على صاحبها (أفضل الصلاة وأجلُّ السلام). (نفح الطيب، ج ١ ص ٢٨٣). وهو لخمي يكنى أبا عبدالرحمن، يروي عن تميم الداري، وروى عنه يزيد بن مسروق اليحصبي. هلك في ولاية سليمان، بوادي القُرَى سنة سبع وتسعين. (نفح الطيب، ج١ ص ٢٧٢).

ووصف له الأندلس وأغراه بفتحها[1]، فكتب موسى إلى الوليد بذلك، واستأذنه في غزوها، فأذن له إذا لم يكن الوصول لها في بحر متسع. فأرسل موسى مولى من مواليه، يقال له طريف في أربعمائة رجل، ومعهم مائة فارس[2]، فساروا في أربع سفن، فنزلوا الأندلس وأصابوا

(١) إنَّ الوليد بن عبد الملك استعمل موسى بن نصير على إفريقية، واستعمل موسى بن نصير طارق بن زياد على طنجة، وكان يليان مجاورا له بالجزيرة الخضراء التي تلي طنجة؛ فداخله طارق حتى صار معه إلى الرضى، ووعده يليان بإدخاله الأندلس هو وجنوده، وكان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفًا من البربر؛ فأجمع طارق على غزو الأندلس، بعد أن أخذ إذن ابن نصير مولاه في ذلك؛ فكان يليان يحتمل أصحاب طارق في مراكب التجار التي تختلف إلى الأندلس، ولا يشعر أهل الأندلس بذلك، ويظنون أن المراكب تختلف بالتجار، فحمل الناس فوجا بعد فوج إلى الأندلس، فلما لم يبق إلَّا فوج واحد، ركب طارق ومن معه، حتى أجاز البحر إلى أصحابه وتخلف يليان بالجزيرة الخضراء، ليكون أطيب لنفسه ونفوس أصحابه، فنزل طارق جبلا من جبال الأندلس، يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٩٢، فسمي ذلك الجبل باسمه إلى اليوم. وقيل في سبب غزو طارق الأندلس: أن يليان قال لطارق: إن أبي مات ووثب على مملكتنا بطريق يقال له (لذريق) فأهانني وأذلني؛ وبلغني أمركم، فجئت إليكم أدعوكم إلى الأندلس، وأكون لكم دليلا! فأجابه طارق إلى ذلك. وقيل: بل كان ملك الأندلس من القوطيين يسمى لذريق، قد مدَّ يده إلى ابنة يليان، وكانت عنده في خدمته على عادتهم، فاغتصبها نفسها، فأرسلت إلى أبيها، ودست إليه. فلما بلغه ذلك، أحفظه، وكتمه، وارتصد به الأيام، ونصب له الغوائل، حتى كان من دخول العرب المغرب ما كان. وأرسل لذريق إلى يليان بزاة وطيورًا وغيرها، فأرسل إليه: «لأوردن عليكم طيرا لم تسمع قطُّ بمثلها» وهو ينوي الغدر به؛ فحينئذٍ دعا طارقا إلى جواز البحر. (البيان المغرب ص ٢٠٤).

(٢) قيل دخل طريف في ألف رجل (هامش ص ٤٥ من نهاية الأرب).

غنائم كثيرة، ورجع سالما في سنة إحدى وتسعين. ثم إن موسى دعا مولاه طارق بن زياد- وكان على مقدمات جيوشه- فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين، أكثرهم من البربر والموالي وأقلهم العرب. فحلَّ بالجبل الذي عرف باسمه فيما بعد في شهر رجب سنة اثنتين وتسعين. ولما بلغ (لذريق) خبره جمع جمعا يقال بلغ مائة ألف، فكتب طارق إلى موسى يستمده، فأمده بخمسة آلاف، فتكامل المسلمون اثني عشر ألفًا، ومعهم (يُليان) يدلهم عورة البلاد، ويتجسس لهم الأخبار. وأتاهم (لذريق) في جنده فالتقوا على نهر (لُكة)(١) لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين. واتصلت الحرب بينهم ثمانية أيام(٢). فانهزم (لذريق) ومن معه وغرق في النهر(٣). وسار طارق يفتح الأندلس، فسار هو ومعظم الجيش إلى طليطلة، وبعث جيشا إلى قرطبة، وجيشا إلى غرناطة، وجيشا إلى مالقة، وجيشا إلى تدمير. ثم دخل موسى بن نصير الأندلس في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وقد بلغه ما صنع طارق. فسار إلى مدن أخرى ففتحها منها مدن السليم، قَرْمُونة، وإشبيلية، وهي أعظم مدائن الأندلس بنيانا وأغربها آثارا، فحصرها أشهرًا وفتحها وهرب من بها،

(١) ويقال بكّة، وكان ذلك سنة (٧١١م).

(٢) واختلفوا أيضا في عدة أيام المزاحفة فقيل: يوم، وقيل: يومان، وقيل: ثلاثة، وقيل: ثمانية أيام. (هامش ص ٤٧ نهاية الأرب).

(٣) قيل: قتل واحتز رأسه، وقيل لم يعرف له موضع ولا وجدت جثته، وقيل إنه لم يمت. (نهاية الأرب، هامش ص ٤٧).

وحاصر ماردة بعد قتال شديد، ثم افتتحها آخر شهر رمضان سنة أربع وتسعين صلحا. وسار موسى يريد طُليطِلة، وفيها التقى القائدان، ففتح موسى سَرْقَسْطة ومدائنها، وأوغل في بلاد الفرنج، فوافاه رسول الوليد يأمره بالخروج من الأندلس والقفول إليه، وكانت موافاة الرسول له بمدينة (لُك) بجليقية. وخرج على الفج المعروف بفج موسى؛ ووافاه طارق من الثغر الأعلى فأقفله معه(١). واستخلف موسى على الأندلس ابنه عبد العزيز.

شهد هذا الإقليم حروبا وأحداثا طوالا، بين الفتح واستقرار الحكم في عهد عبد الرحمن الداخل (الذي أسس حكم الدولة الأموية في الأندلس) سنة ٧٥٥م، وتعاقب عقِبُه في إدارة شؤونها حتى بلغوا بها شأوا كبيرًا. ثم تكالبت عليها الفتن والأهوال، ولما انهار عرش الأمويين حل محلهم ملوك الطوائف وأشهرهم بنو عبّاد بإشبيلية، وآل جهور بقرطبة، وبنو عامر بشاطبة، وبنو حمُّود بمالقة. ثم قامت دولة المرابطين سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، وهم من برابرة أفريقية الشمالية، بقيادة يوسف بن تاشفين الذي ضمَّ أطراف المغرب وأنقذ الأندلس من يد ألفونس السادس الذي كاد يستولي عليها. ومرت الأندلس بعد عهد المرابطين بفترة طوائف ثانية، ثم حل الموحدون على يد محمد بن تومرت، من جبل السوس في المغرب، وقد بايعه الناس على أنه المهدي المنتظر.

---

(١) نهاية الأرب، النويري، ص ٥٢.

وامتد عهد الموحدين إلى سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، وقد ثار في وجههم محمد بن يوسف بن هود؛ أحد أمراء العرب، ثم ثار في وجه ابن هود أحد أمراء بني الأحمر، الذي أسس دولتهم في غرناطة، فامتد عهدها إلى سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)، ثم تقسمت إلى دويلات، وكانت الروم تتربص بهم الدوائر حتى استولت على البلاد؛ وكانت طُليطِلة أول ما أخذ العدو من أيدي المسلمين سنة (٤٧٨هـ)[١]، أخذها (الأذفونش)[٢] من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذي النون بعد أن حاصرها

(١) أخذت طليطلة يوم الأربعاء لعشر خلون من المحرم سنة (٤٧٨هـ)، وكانت بعدها وقعة الزلاقة. وقيل: أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر، بعد حصار شديد (راجع نفح الطيب ج٤ ص ٣٥٦).

(٢) وفي أصل أذفونش هذا قال صاحب النفح: «لقد استولى المسلمون بالأندلس على النصرانية وأجْلَوْهم، وافتتحوا بلادهم، حتى بلغوا أريولة من أرض الفرنجة، وافتتحوا بلبونة من جليقية، ولم يبق إلا الصخرة فإنه لاذ بها ملك يقال له بلاي، فدخلها في ثلاثمائة رجل، ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعا، وبقي في ثلاثين رجلا وعشر نسوة، ولا طعام لهم إلا العسل يشتارونه من خروق بالصخرة فيتقوتون به، حتى أعيا المسلمين أمرُهم، واحتقروا بهم، وقالوا: ثلاثون عِلجًا ما عسى أن يجيء منهم؟ فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة والكثرة ما لا خفاء به. وفي سنة (١٣٣) هلك بلاي وملك ابنه فافله (Fafila) بعده، وكان ملك بلاي تسع عشرة سنة، وابنه سنتين. فملك بعدهما أذفونش بن بيطر(Alphonso) ابن (Pedro)، وكان أذفونش هذا قد تزوج ابنة بلاي واسمها أرمنسندا (Ermensinda)، وأذفونش هذا هو جد بني أذفونش هؤلاء الذين اتصل ملكهم، فيما بعد، فأخذوا ما كان المسلمون أخذوه من بلادهم». (راجع نفح الطيب، ج٤ ص ٣٥٠).

سبع سنين، وفي ذلك يقول عبد الله بن فرج اليَحْصبي، المشهور بابن العسال:

يأهــلَ أنــدلسٍ حثــوا مَطِــيّكم　فمــا المقــام بهــا إلّا مــن الغلــط
الثــوبُ يُنســلُ مــن أطرافــه وأرى　ثوبَ الجَزيرةِ منسولا من الوسط
ونحــنُ بــين عَــدوٍ لا يفارقنــا　كيفَ الحياة مع الحيّاتِ في سفط(١)

ويصف ابن بسام مأساة طليطلة قائلا: «وأخذ ابن ذي النون أهل طليطلة لحين استقراره فيها بفك تلك المعاقل، وأداء ما كان ضَمِن لأذفونش من الأموال الجلائل، فضرب مُدبِرَهم بمُقبِلهم، وتولى آخرُهم كِبْرَ أوَّلهم، حتى طمع فقيرُهم في غنيهم، واجترأ ضعيفُهم على قويّهم، وأصبح الرجل منهم يرتاع من ظِله، ويلتفتُ وإنما هو بين أهله. وانكدر أذفُونش على طُلَيطلَةَ ينتَسِفُ مرافقها، ويقعد لجالية أهلِها ثناياها ومَضايقَها، يأسِرُ ويَقتُل، ويحرق ويُمثِّل. وسما السّعر، وتفاقم الأمر، وأنكِرت الموارِد والمصادر، وبلغتِ القلوبُ الحناجر»(٢). وأمر بتغيير المسجد الجامع كنيسة في ربيع الأول سنة ثمان وسبعين

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بن المقري التِّلمساني، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر – بيروت– (١٩٦٨) ج٤، ص ٣٥٢.
(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشَّنتريني (المتوفى سنة ٥٤٢هـ)، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ج٤ ص ١٠١.

وأربعمائة[1]. فاستصرخ الناس دولة المرابطين، فجاء يوسف بن تاشفين فاستنقذ البلاد، وملك من جزيرة الأندلس ما كان بقي بأيدي المسلمين منها وهي: قرطبة وإشبيلية، والمرية وبطليوس، فاستولى على إشبيلية في شهر رجب من سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وأسر المعتمد بن عباد ونقله إلى أغمات فحبسه بها حتى مات. ودامت ولاية ابن تاشفين على الأندلس ثماني وثلاثين سنة تقريبا حتى وفاته في سنة خمسمائة، ثم توالى عقبه حتى انقرضت دولتهم سنة إحدى وأربعين وخمسمائة. وتلت دولة الملثمين دولة الموحدين، ودام حكمهم مائة سنة وثلاثا وخمسين سنة تقريبا، وانقرضت دولتهم في سنة ست وستين وستمائة. وعدة من ملك منهم سبعة عشر ملكًا. أعقب ذلك قيام دولة بني مرين الذين منعوا أن تدون أخبارهم في ابتداء دولتهم، وقتلوا محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، وكان قد أرخ أخبارهم وأخبار غيرهم، وأعدموا ما وجدوه عنده وعند غيره من أوراق التاريخ المنسوبة لهم ولغيرهم[2].

واستولى الفرنج من المدن الأندلسية على مدينة قرطبة يوم السبت الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

(١) الذخيرة، ج٤، ص ١٠٤.

(٢) نهاية الأرب، النويري، ج٢٤ ص ٣٥٢.

ودالت دولة الأندلس بسبب كيد الأعداء إليها، وتضريبهم بين ملوكها ورؤسائها بالمكر والخديعة، واستعمال حيل الفكر، والتسلح بكل أنواع الأسلحة، إلى جانب ضعف حكامها وانقسامهم، وقلة حماتها وأنصارها، فتعددت أسباب انهيارها. ولعل من أهم أسباب ذلك، أن الفرنج بدأوا في جمع فلولهم منذ عصر مبكر، ويقال إن أول من جمع فلهم علج يقال له بلاي، من أهل أشتوريس من جليقية، هرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفي، الثاني من أمراء العرب بالأندلس، وذلك في السنة السادسة من افتتاحها، وهي سنة ثمان وتسعين من الهجرة، وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن، فطردوه وملكوا البلاد. وكان ملك بلاي تسع عشرة سنة، وابنه سنتين، فملك بعدهما أذفونش بن بيطر جد بني هؤلاء الذين ملكوا الأندلس فيما بعد[١]. ولعل غفلة العرب عن هذه الجمرة التي كانت تحت الرماد، ما جعلها تتقد فيما بعد وتخرج الأندلس عن أيديهم. وكان أيضا من سوء حظ الأندلس أن خاضت هذه الحروب الطوال التى أضعفتها، وأنهكت قواها، ومنها وقعة العقاب المشؤومة التي كانت سنة (٦٠٩هـ)، واستولى الإفرنج بعدها على أكثر الأندلس، وكانت هي

---

(١) نفح الطيب، المقري، ج٤ ص ٣٥٠.

الطامة على الأندلس بل والمغرب جميعا[1]. ثم اجتمع عليها الأعداء من خلفها ومن بين يديها حتى أخذت عن بكرة أبيها.

(١) نفح الطيب، ص ٣٨٣.

بلنسية:

كانت بلنسية موطن شاعرنا، وفي حصارها قال قصيدته المشهورة؛ ولهذا لا بد من الإشارة إلى تاريخها وأحداثها لا سيما في تاريخها المتزامن مع حياة ابن الأبار قبل ميلاده عام (٥٩٥هـ)، وحتى وفاته عام (٦٥٨هـ). وصفها صاحب الذخيرة قائلا: «كانت أدنى لمن يريدها، وأجنى على من يستفيدها، لوفور غلاتِها، وتمام أدواتِها، وإعجاز خواصها وذواتها، ولخلوها عندهم من ملك يفي بمقدارها، ويذبُّ عن عُقْرِ دارها»[١]. وكانت بلنسية كغيرها من أقاليم الأندلس وضعت رهنا من ابن هود- على عادة الخلفاء- آنذاك لدى الطاغية (أذفونش) الذي غزاها كما يقول صاحب الذخيرة: «في جيش تضاءلت ذُرى أطوادِها[٢] عن أعلامه، وتناكرت وجوهُ نجومها تحت قتامه، فلم يركز لواءه، ولا رفع بناءه، حتى خرج إليه ابن عبد العزيز[٣] منسلخا من عديده في ثياب جمعته وعيده، فكلمه بما أرقّ قلبه، وكفّ غربه[٤]، وكان مما قال: هي بلادك فقدِّم من شئت وأخر، ونحن طاعتُك وقوادُك فأقللْ منا أو أكثر،

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام، ج٣ ص ٢٥.

(٢) أطوادها: مفردها طود، الجبل العظيم.

(٣) أبو بكر بن عبد العزيز، كان وزيرا ببلنسية للمظفر عبد الملك بن المنصور عبد العزيز بن الناصر العامري، توفي سنة ست وخمسين وأربعمئة.

(٤) غربه: حدته.

في شبيه ذلك من لين القول الذي يسلُّ الأحقاد، ويتألف الأضداد، فانصرف عنه وقد ألحفه جناح حمايته، ووطأ له كنفا من عنايته»[1].

وصار أمر بلنسية إلى الفقيه القاضي أبي أحمد بن جحاف قاضيها، الذي قتل حرقا بالنار، أحرقه الطاغية (لذريق) بعد أن عاث في بلنسية، يقول ابن بسام: «وقوي طمع (لذريقَ) في ملك بلنسية فلزمها ملازمة الغريم، وتلذَّذ بها (تلذُّذ) العُشاق الرسوم، ينسف أقواتها ويقتل حُماتها، ويسبق إليها كلَّ أمنية، وطلع عليها من كل ثنية.... إلى أن يقول: وبلغ الجهد بأهلها والامتحان، أن أحلوا محرَّم الحيوان، وأبو أحمد المذكور في أنشوطةِ ما سهَّل وسنّى، شرقا بعقبى ما جرَّ على نفسه وجنى، يستصرخ أميرَ المسلمين على بُعد داره، وتراخي مَزَاره، فتارةً يُسمِعه ويحركه، وتارة ينقطع دونه ولا يُدركه، وقد كان من أمير المسلمين بموضع، ومن رأيه الجميل بمرأى ومسمع، ولكن أبطأ به عن نصره تنائي الدار، ونفوذُ المقدار، وإذا قدَّر الله أمرًا فتح أبوابه، ويسر أسبابه، فتمَّ للطاغية (لذريق) -قصمه الله- مراده الذميم من دخول بلنسية سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، على وجه من وجوه غدره، وبعد إذعانٍ من القاضي (ابن جحاف) ألجأه بسطوة كفره، ودخوله طائعا في أمره، على وسائل اتخذها، وعهودٍ ومواثيق- بزعمه- أخذها لم يمتد لها أمدٌ، ولا كثرَ لأيامِها عدد، وبقي معه مُديَدةً يضجَرُ من صحبته، ويلتمس السبيلَ

(١) الذخيرة، ابن بسام، ج٣ ص ٢٦.

إلى نكبته، حتى أمكنته- زعموا- بسبب ذخيرة نفيسة من ذخائر ابن ذي النون، كان لذريق لأولِ دخوله قد سأله عنها، واستحلفه بمحضر جماعة من أهل الملَّتين على البراءَة منها، فأقسم بالله جَهدَ أيمانه، غافلا عما في الغيب من بلائه وامتحانه، وجعل لذريق بينه وبين القاضي المذكور عهدًا أحضره الطائفتين، وأشهدَ عليه أعلامَ الملَّتين، إن هو انتهى (بعد) إليها، وعثر (عنده) عليها، لَيستحلنَّ إخفارَ ذِممه، وسَفْكَ دمه، فلم ينشبْ[1] لذريق أن أظهرَ على الذخيرة المذكورة لديه، لما كان قد قدَّرَ اللهُ من إجراء محنته على يديه، ولعلَّها كانت من حيلة أدارها، وداهيةً من دواهيه سدَّاها وأنارها، فأنحى على أمواله بالنهاب، وعليه وعلى أهله وولده بالعذاب، حتى بلغ جُهده، ويئس مما عنده، فأضرم له نارًا أتلفتْ ذَماءه، وحرقتْ أشلاءه.

وأضرم هذا المصابُ الجليلُ يومئذٍ أقطار الجزيرة نارا، وجلل سائر طبقاتها خزيا وعارا، وغلظ أمرُ ذلك الطاغية حتى فدحَ التهائم[2] والنجود، وأخاف القريب والبعيد، حدثني من سمعه يقول- وقد قوي طمعه، ولجَّ به جشعه: على لذريق فُتحت هذه الجزيرة، ولذريق يستنقذها. كلمة ملأت الصدور، وخَيَّلت وقوع المخوف المحذور. إلى أن أماته الله ببلنسية حتف أنفه. وفي بلنسية يومئذٍ يقول ابن خفاجة:

(١) لم يلبث.

(٢) التهائم: جمع تهامة: بلاد جنوبي الحجاز.

عاثــت بســاحَتك العــدا يــا دارُ ومحــا محاســنكِ البِلــى والنّــارُ

فــإذا تَــرَدَّد في جَنابــكِ نــاظرٌ طــالَ اعتبــارٌ فيــك واســتعبارُ

أرضٌ تقاذَفــتِ الخطــوبُ بأهلهــا وتمخضـــت بخرابهـــا الأقـــدارُ

كتبــتْ يــدُ الحــدثان في عَرَصــاتها لا أنــتِ أنــتِ ولا الــديارُ ديــارُ[١]

وتجرد أمير المسلمين-رحمه الله- لما بلغه هذا النبأ الفظيع، واتصل به هذا الرزءُ الشنيع، فكانت قذى[٢] أجفانه، وجماع شانه، وشُغلَ يده ولسانه، يُسَرِّب إليها الرجال والأموال، وينصب عليها الحبائلَ والحبال والحربُ هنالك سجال، والحال بين العدو وبين عساكر أمير المسلمين في ذلك إدبارٌ وإقبال، حتى رحض[٣]عارها، وغسل شنارها[٤]، وكان آخرَ أمراء أجناده، المجهزين إليها في جماهر أعداده، الأمير أبو محمد مَزْدلي، ظُبَةُ[٥] حسامه، وسِلْكُ نظامِه، ففتحها الله عليه، وأذِن في تخلصها على يديه، في شهر رمضان سنة خمس

(١) الذخيرة، ابن بسام، ج٣ ص ٦٢ ونفح الطيب، ج٤، ص ٤٥٥، وفيه الظُّبا بدلا عن العدا.

(٢) قذى الأجفان: إصابتها بالرمص والغمص.

(٣) رحض: رحضه كمنعه: غسله. (القاموس مادة رحض)

(٤) شنارها: الشَّنار (بالفتح) أقبح العيب، والعار والأمر المشهور بالشنعة (القاموس المحيط ص ٤٢٠)

(٥) ظُبَة: حد السيف أو السنان.

وتسعين، كتب الله منزِلَهُ في عليين، وجزاه عن جِده وجهادِهِ أفضل جزاءِ المحسنين»[1].

وظلت بلنسية -كغيرها من مدن الأندلس- تتقلب بين نار الفتح ونعيم الاسترداد، فتلبس الحداد حينا، ويعود عليها حليها ونظامها حينا آخر. «إلى أن ملكها الروم ثانية بعد أن حاصرها الطاغية (جاقم البرشلوني) من يوم الخميس الخامس من شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة إلى يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة ست وثلاثين، وفي هذا اليوم خرج أبو جميل زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد الجذامي، من المدينة وهو يومئذ أميرها، في أهل بيته ووجوه الطلبة والجند، وأقبل الطاغية وقد تزيا بأحسن زي في عظماء قومه، من حيث نزل بالرصافة أول هذه المنازلة، فتلاقيا بالولجة، واتفقا على أن يتسلم الطاغية البلد سلما لعشرين يومًا، ينتقل أهله أثناءها بأموالهم وأسبابهم. وحضرت ذلك كله، وتوليت العقد عن أبي جميل في ذلك، وابتُدئ بضعفة الناس وسُيروا في البحر إلى نواحي دانية، واتصل انتقال سائرهم برا وبحرا، وصبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر المذكور، كان خروج أبي جميل بأهله من القصر في طائفة يسيرة أقامت معه، وعند

(١) انتهى منقولا بنصه عن الذخيرة، ابن بسام، ج٣ ص ٥٧- ٦٢.

ذلك استولى عليها الروم أهانهم الله»[1]. وكان ذلك سنة ست وثلاثين وستمائة. وهي موطن شاعرنا وبيئته التي نشأ فيها، ومهد صباه، ومأواه. وقدر الله له أن يتولى عقد تسليمها للروم.

واستولى الفرنج على جيَّان وطرطوشة سنة (٦٤٣) وماردة سنة (٦٤٥) وإشبيلية في مستهل رمضان سنة (٦٤٦) ولم يبق للمسلمين إلا جزء يسير من الأندلس. وظل المسلمون يفقدون الأندلس مدينة مدينة حتى استولى النصارى على الحمراء سنة (٨٩٧) إلى أن أخرج جميع المسلمين منها عام (١٠١٧). والسلطان الذي أخذت على يده غرناطة هو أبو عبد الله محمد الذي انقرضت بدولته مملكة الإسلام في الأندلس ومحيت رسومها، ابن السلطان أبي الحسن بن السلطان سعد بن الأمير علي بن السلطان يوسف بن السلطان محمد الغني بالله[2].

حياة ابن الأبار:

هو الشيخ الفقيه المحدث المقرئ، النحوي الأديب المجيد، اللغوي الكاتب البارع التاريخي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي

---

(١) الحلة السيراء، ابن الأبار، (Pdf) ص ١٧١-١٧٢. إعتاب الكتاب، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي المعروف بابن الأبار المتوفى سنة (٦٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وقدمه الدكتور صالح الأشتر، طبعة أولى عورضت بثلاث نسخ مخطوطة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م (pdf) ص ٧-١٢. مقدمة المحقق.

(٢) نفح الطيب، المقري، ج٤ ص ٥٢٨.

بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي، الشهير بابن الأبار[١].

وهو من أهل بلنسية وأصله من جرادة، وهي وما والاها دار القضاعيين بالأندلس. وأضاف المقري: الأجلّ، الحافل، الراوية المحدِّث، الفاضل الناقد البارع، الحافظ الكامل، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي البلنسيّ، المعروف بابن الأبار[٢].

أما من أين اكتسب شاعرنا هذا اللقب، فهو أمر لم أقف فيه على بينة، والمعنى اللغوي للفظ يتراوح بين الأبَّار الذي يصنع الإبر، والأبَّار

---

(١) عنوان الدراية، فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تأليف أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله (٦٤٤هـ/ ٧١٤م) حققه وعلق عليه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة الثانية (أبريل ١٩٧٩م) ص ٣٠٩ (Pdf).

(٢) أزهار الرياض في أخبار عِياض، تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م ج٣ ص ٢٠٤– ٢٠٧. ((Pdf. ويبدو أن هناك أكثر من واحد عرفوا بابن الأبار، فقد ذكر منهم صاحب الذخيرة (ج٢/ ٨١) الأديب أبا جعفر أحمد بن محمد الخولاني الإشبيلي المعروف بابن الأبار المتوفى سنة ٤٣٩هـ، ومصدره وفيات الأعيان (١/ ١٤١). وقال عنه: «أحد شعراء المعتضد المحسنين المتقنين انتحل الشعر فافتنَّ وتصرف، وعُنِيَ بالعلم فجمعَ وصنَّف، وله في صناعة النظم فضلٌ لا يرد، وإحسانٌ لا يُعدّ». ثم أورد له طائفة من أشعاره تدل على تقدمه وبراعته. (راجع الذخيرة ج٢ ص ٨١ وما بعدها).

الذي يأبر النخل؛ أي يصلحه، والأَبَّار البرغوث[1]. واللهُ تعالى أعلم بأي من هذه المعاني لُقب.

ولد آخر شهر ربيع سنة (٥٩٥-٦٥٨هـ) خمس وتسعين وخمسمائة ببَلَنسية[2]، الموافق (١١٨٠- ١٢٦٠م). وحياة ابن الأبار تنقسم إلى مرحلتين متميزتين: أولاهما في الأندلس والثانية في تونس.

أما في الأندلس فقد درس على شيوخ كثيرين، يردد أسماءهم في مؤلفاته، وينقل عنهم، حتى أصبح علامة في الحديث ولسان العرب،

(١) جاء في لسان العرب: «أبَرَ النخل والزرع يأبُره ويأبِره أبْرًا وإبارًا وإبارة وأبّره: أصلحه. وائتبرتَ فلانا: سألته يصلحه لك. قال طرفة:

ولِيَ الأصلُ الذي في مثله ... يُصلِحُ الآبرُ زَرْعَ المؤتَبِرْ

والآبر: العامل. والمؤُتَبر: رب الزرع، والمأبور: الزرع والنخل المُصْلح. وفي حديث علي بن أبي طالب في دعائه على الخوارج: «أصابكم حاصبٌ ولا بقي منكم آبر». وزمن الإبار: زمن تلقيح النخل وإصلاحه. والإبرة: مِسَلة الحديد، والجمع إبرٌ وإبارٌ وصانعها أبّار. وأبَّرَ الأثر: عفّى عليه من التراب، والتأبير التعفية ومَحْو الأثر». (لسان العرب، تأليف العلامة الإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري المتوفى (٧١١هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٤ مادة (أبر)، ص٣. وأضاف صاحب القاموس: الأبار: البرغوث، وإشياف الأبّار: دواء للعين. (القاموس: تأليف الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي المتوفى (٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت- ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ج٢ مادة (أبر) ص (٣).

(٢) نفح الطيب، ج٤ ص ٣٢٠.

بليغا في الترسيل والشِّعر، وفي بلنسية اتخذه أميرها السيد أبو عبد الله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن بن علي كاتبا له، ثم كتب لابنه السيد أبي زيد من بعده، ثم دخل معه دار الحرب حين نزع إلى دين النَّصرانيّة، ورجع عنه قبل أن يأخُذ به، ثم كتب لأمير بلنسية الجديد ابن مَرْدَنيش سنة (٦٢٦هـ). وكانت بلنسية هدفًا لهجمات ملك أراغون الدون جاقم (Dome Jayme) الذي تمكن من الاستيلاء على كثير من القلاع والحصون حول بلنسية وشقر سنة (٦٣٣هـ) وبنى حصن أنيشة قرب بلنسية؛ ليعسكر فيه جنده استعدادا لحصار بلنسية. ولقد حاول ابن مردنيش أن يبذل آخر جهوده فاستنفر أهل شاطبة وشقر، فخرجوا وانضموا إلى جند بلنسية، وهاجموا حصن أنيشة في العشرين من ذي الحجة سنة (٦٣٤)، ولكنهم هُزموا، وقتل في المعركة عدد من كبار الفقهاء والعلماء، ومن بينهم الأديب المحدث العلامة أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي شيخ ابن الأبار.

كانت هزيمة المسلمين أمام حصن أنيشة دليلا على قرب سقوط بلنسية، فأخذ الناس في الانتقال عنها، وفي رمضان سنة (٦٣٥) هاجم ملك أراغون بلنسية وضرب حولها حصارا قويا، وأدرك المسلمون فيها أن لا طاقة لهم بصد المحاصرين، وعزموا على الاستغاثة بسلطان الدولة الحفصية في المغرب، وعند ذلك أرسل ابن مردنيش وفدا من أهل بلنسية إلى سلطان تونس أبي زكريا يحيى، وأوفد معه كاتبه ابن

الأبار في رجب سنة (٦٣٦هـ)، فحمل الوفد معه بيعة أهل بلنسية للسلطان الحفصي، وقد أدى ابن الأبار مهمته خير تأدية، وأنشد قصيدته على رويّ السين يستصرخه، فبادر السلطان بإغاثتهم، وشحنَ الأساطيل بالمَدد إليهم، من المال والأقوات والكُسَا، فوجدوهم في عُسرة الحصار، فاضطر الأسطول الحفصي إلى الرسو في ميناء دانية، ولم يجد سبيلا إلى مساعدة المدينة المحاصرة وإنقاذها... واشتدت وطأة الحصار على بلنسية، وعدمت الأقوات، وكثر الهلاك من الجوع، فلم ير المسلمون فيها بدا من المفاوضة لتسليم المدينة. ويصف لنا ابن الأبار نفسه سقوط بلده، ذلك أنه حضر بنفسه تسليمه إلى المحاصِرين يوم الثلاثاء في السابع عشر من صفر سنة (٦٣٦هـ)، كما ذكرنا. وبعد استلام المدينة، رجع ابن الأبار بأهله إلى تونس، لاجئا إلى حمى السلطان الحفصي، وتخير سكنى بجاية، ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر إلى حضرته، فدخل عليه وأعجبه منطقه ورواه، ورأى من نبله وفضله أضعاف ما قد أن يراه، وأول إنشاده لما مثل بين يديه:

بشـــراي باشــرت الهــدى والنــورا   في قصــديَ المستنصــر المنصــورا
وإذا أميــــر المــــؤمنين لقيتــــه   لــــم ألــق إلا نضــرة وســـرورا[١]

وأنشد بين يديه أيضا:

(١) عنوان الدراية، الغبريني، ص ٣١١.

أميــــر المـــؤمنين لنـــا غيـــاث فعنـد المحـل تستسـقى الغيـوث

فـــلا جـــوع ويمنـــاه الغـــوادي ولا خـــوف وقـــتلاه الليـــوث

فنـزل منـه بخيـر مكـان، ورشَّـحه لكَتْـب عَلامتـه في صـدور رسـائله ومكتوباته، فكتبها مدَّة.

مقتله(١):

كـان ابـن الأبـار يكتـب العلامـة السـلطانية بـالخط المغربـي، وكـان السـلطان يـؤثر أن تكتـب بـالخط المشـرقي؛ ولهـذا لـم يلبـث أن عهـد بكتابتها إلى أحمد بن إبراهيم الغساني، وطُلب مـن ابـن الأبـار أن يقتصـر علـى إنشـاء الرسـائل وكتابتهـا وأن يـدع مكـان العلامـة فيهـا للخطـاط الجديد؛ فسخط ابن الأبار، أنفَةً من إيثار غيره عليه، ولـم يُطـع مـا أمـرَ بـه فظل يخط العلامة بخطه المغربي، فعوتـب في ذلـك وروجـع، فاستشـاط غضبا، ورمى بالقلم، وأنشد متمثلا:

اطلُـــبِ العـــزّ في لَظـــى وذر الـــذ لَّ ولـــو كـــان في جِنـــان الخلـــودِ

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربـر ومـن عاصـرهم مـن ذوي السلطان الأكبر، تـاريخ ابـن خلـدون، الإمـام المـؤرخ عـالم الاجتمـاع، أبـو زيـد ولـي الـدين عبـد الـرحمن بـن محمـد الإشـبيلي التونسـي القـاهري المـالكي الشـهير بـابن خلـدون (٨٠٨-٧٣٢هــ)، أبـو صـهيب الكرمـي، ط. بيـت الأفكـار الدوليـة- عمـان الأردن (بدون تاريخ) ص ١٧١٦.

فَنُمِي ذلك إلى السلطان، فأمره بلزوم بيْتَه، ثم استعتب السلطانَ بتأليفٍ رفعه إليه، عَدَّ فيه من عُوتب من الكتاب وأُعتِب، وسَماه (إعتاب الكُتاب)، واستشفع فيه بابنه المستنصر بالله، فغفر السلطانُ له، وأقال عثرتَه، وأعاده إلى الكتابة. ولما هلك الأميرُ أبو زكرياء رفعه المستنصر إلى حضور مجلسه، مع الطبقة الذين كانوا يحضرونه من أهل الأندلس (وأهل تونس). وكان في ابن الأبار أنفة وبَأْوٌ[1]، وضيق خلق، وكان يُزري على المستنصر في مباحثه، ويسْتقصِرُ مداركه؛ فخشُن له صدره، مع ما كان يُسْخِطُ به السلطانَ، من تفضيل الأندلسَ وولاتها عليه.

وكانت لابن أبي الحسين فيه سعاية، لحقد قديم، سببه أن ابن الأبار لما قَدِم في الأسطول من بلنسية، نزل ببَنْزَرْت وخاطب ابن أبي الحسين بفرض رسالته، ووصف أباه في عُنوان مكتوبه بالمرحوم؛ ونُبِّه على ذلك فاستضحك، وقال: إن أبًا لا تُعرف حياتُه من موته لأبٌ خاملٌ؛ ونُمِيت إلى ابن أبي الحسين، فَأسرَّها في نفسه، ونَصَب له، إلى أن حمل السلطان على إشخاصه إلى بِجاية؛ ثم رضي عنه واستقدمه، ورجعه إلى مكانه من المجلس، وعاد هو إلى مَسَاءة السلطان بنزَعاته، إلى أن جرى في بعض الأيام ذكر مولد الواثق، وساءَل عنه السلطانُ بعض من حضره فاستبهم، فغدا عليه ابنُ الأبار بتاريخ الولادة وطالِعها، فاتُّهم بتوقُّع المكروه للدولة والتربص بها، كما كان أعداؤه يُشيعون عنه، بما كان

(١) البأو: الكبر.

ينظر في النجوم؛ فتَقَبَّض عليه، وبعث السلطانُ إلى داره، فرُفعت إليه كتبه أجمع، وأُلفي في أثنائها -فيما زعموا- رقعة بأبيات أولها:

طغـــا بتـــونِس خَلْـــفٌ   ســـمَّوْه ظُلمـــا خليفـــهْ

فاستشاط لها السلطان، وأمر بامتحانه ثم بقتله، فقُتل قَعْصا بالرماح وسْط محرم من سنة ثمان وخمسين وستمائة. ثم أُحْرِق شلوه، وسيقت مجلدات كتبه، وأوراق سماعه ودواوينه، فأحرقت معه[(١)]. وأضاف المقري في (نفح الطيب»: «توفي بتونس ضحوة يوم الثلاثاء الموفي عشرين لمحرم سنة (٦٥٨)»[(٢)].

منزلته:

قال الغبريني في (عنوان الدراية): «لو لم يكن له من الشعر إلا قصيدته السينية التي رفعها للأمير أبي زكريا (رحمه الله) يستنجده ويستصرخه لنصرة الأندلس لكان فيها كفاية، وإن كان نقدها ناقد، وطعن عليه فيها طاعن، ولكن كما قال أبو العلاء المعري:

تكلَّمَ بالقولِ المضللِ حاسدٌ   وكلُّ كلامِ الحاسدين هراءُ

ولو لم يكن له من التآليف إلا كتابه المسمى (معادن اللجين في مراثي الحسين) لكفاه في ارتفاع درجته، وعلو منصبه وسمو رتبته»[(٣)].

(١) أزهار الرياض ج٣ ص ٢٠٧.

(٢) نفح الطيب، المقري، ج٤ ص ٣٢٠.

(٣) عنوان الدراية، ص ٣١٢.

وأحصى له مخرج الديوان نحوا من أربعين مؤلفا، وذكر أن الإتلاف أصاب معظم المؤلفات، ولم يوجد منها حتى الآن سوى الثمانية الآتية:

مؤلفاته:

- إعتاب الكتاب.

- المقتضب من كتاب تحفة القادم.

- التكملة لكتاب الصلة: ألفه مفتتح سنة (٦٣١) إحدى وثلاثين وستمائة.

- الحلة السيراء في أشعار الأمراء.

- مظاهر المسعى الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة الملقى السبيل لأبي العلاء المعري.

- المعجم في أصحاب القاضي الصفدي.

- درر السمط في خبر السبط.

- ديوان شعره[١].

وذكر من أسماء مؤلفاته ولم يصل إلينا[٢]:

- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة.

---

(١) ديوان ابن الأبار، أبى عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي (٦٥٨-٥٩٥هـ)، تعليق الأستاذ عبد السلام الهراس، ١٤٢٠/ ١٩٩٩م، pdf، ص ٢٠.

(٢) إعتاب الكتاب، ص ١٩.

- قطع الرياض. وهو كتاب في متخير الأشعار.

- المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح.

- هداية المعترف في المؤتلف والمختلف. ويذكره المقري في نفح الطيب.

- الأربعين المتباينات.

- إفادة الوفادة. ذكره المقري في نفح الطيب، وموضوعه ذكر الوافدين على الأندلس من المشرق.

- كتاب التاريخ. وكان سبب مقتله وإحراق كتبه لما وجد فيه من أمور تسيء إلى المستنصر.

- كتاب إيماض البرق في أدباء الشرق: ذكره ابن شاكر في فوات الوفيات.

- معادن اللجين في مراثي الحسين: والغبريني كثير الإعجاب بهذا الكتاب. «ولو لم يكن له من التآليف إلا كتابه هذا لكفاه في ارتفاع درجته، وعلو منصبه، وسمو رتبته».

وحتى تكتمل الفائدة أورد فيما يلي النص الكامل لسينية ابن الأبار؛ ليستمتع بها القارئ كاملة متتالية، فهي درة في بابها؛ ومن ثَم نتلمس فيها مواطن الجمال.

النص

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللهِ أندلُسَا ... إنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنْجاتِها دَرَسَا[1]

وَهَبْ لهَا مِنْ عَزيزِ النَّصْرِ مَا الْتَمَسَتْ ... فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسا

وَحاش مِمَّا تُعانِيهِ حُشَاشَتُهَا ... فطالما ذَاقَتِ البَلْوَى صَبَاحَ مَسَا[2]

يَا للجَزيرَةِ أَضْحَى أَهلُها جَزَرًا ... لِلحَادِثَاتِ وأَمْسَى جَدُّهَا تَعَسا[3]

في كُلِّ شارِقَةٍ إِلْمَامُ بَائِقَةٍ ... يَعُود مَأتَمُها عِنْدَ العِدَى عُرُسا[4]

وكُلِّ غَارِبَةٍ إِجْحَافُ نائِبَةٍ ... تَثْنِي الأَمَانَ حِذارًا والسرُور أَسَى

تَقَاسَمَ الرومُ لا نَالَتْ مَقَاسِمُهُم ... إلا عَقَائِلَها المَحْجوبَةَ الأُنُسَا

وَفِي بَلَنْسِيةٍ مِنْها وَقُرْطُبَةٍ ... ما يَنْسِفُ النَّفسَ أَو ما يَنزِفُ النَّفَسا

مَدائِنٌ حَلَّها الإشْرَاكُ مُبْتَسِمًا ... جَذْلانَ وارتَحَلَ الإِيمانُ مُبْتَئِسا

وَصَيَّرَتْها العَوادِي العَائِثاتُ بِها ... يَسْتَوحِشُ الطَّرْفُ مِنْها ضِعْفَ ما أَنِسا[5]

فَمِنْ دَسَاكِرَ كانَتْ دُونَهَا حَرَسًا ... وَمِنْ كَنَائِسَ كَانَتْ قَبْلَها كُنُسا

يَا لِلْمَساجِدِ عَادَتْ للعِدَا بِيَعًا ... ولِلنِّداءِ غَدَا أَثْناءَها جَرَسا

لَهْفِي عَلَيها إِلَى استِرجَاعِ فائِتِها ... مَدارِسًا لِلْمَثانِي أصبَحَتْ دُرُسا

---

(١) ديوان ابن الأبار، (Pdf) ص ٤٠٨. القصيدة رقم ١٨٥. ونفح الطيب، المقري، ج٤ ص ٤٥٧. درسا: درس الرسم دروسا، عفا (لازم مُتعَدٍّ) محي، زال، تبدلت معالمه.

(٢) الحُشاش والحُشاشة: بضمهما: بقية الروح في المريض والجريح.

(٣) جزرا: ضحايا. جدها: حظها.

(٤) البائقة: الداهية. الجمع بوائق. (القاموس، الفيروزآبادي مادة بوق).

(٥) في بعض الروايات: العابثات بدلا عن العائثات.

وَأَرْبُعًا نمْنمَتْ أيدي الرَّبيعِ لَها ... ما شِئت مِنْ خِلَعٍ مَوْشِيَّةٍ وكُسا(١)
كانَتْ حدَائِقَ للأَحْدَاقِ مؤنِقَةً ... فَصَوَّحَ النَّضْرُ مِن أَدْواحِها وَعَسا(٢)
وَحَالَ ما حَوْلَهَا مِنْ منْظَرٍ عَجَبٍ ... يَسْتَجْلِسُ الرَّكْب أَوْ يَسْتَرْكِبُ الجُلَسا
سُرْعَانَ ما عاثَ جَيْشُ الكُفْرِ واحَرَبا ... عَيْثَ الدَّبَا في مَغَانِيهَا التِي كَبَسا(٣)
وَابْتَز بِزَّتَهَا مِمَّا تَحيَّفَها ... تحَيُّفَ الأَسَدِ الضَّارِي لِما افتَرَسا(٤)
فأَيْنَ عَيْشٌ جَنَيْنَاهُ بِها خَضِرًا ... وَأيْنَ عصرٌ جَلَيناهُ بِها سَلِسا(٥)
مَحَا مَحَاسِنَها طاغٍ أُتِيحَ لَها ... مَا نامَ عَن هَضْمِهَا حِينًا وَلا نَعَسا
وَرَجَّ أَرْجاءَهَا لمَّا أحاطَ بِها ... فغَادَر الشُّمَّ مِنْ أَعْلامِها خُنُسا
خلا لَهُ الجوُّ فَامْتَدَّتْ يَداهُ إلَى ... إدْراك ما لَمْ تَطَأْ رِجْلاهُ مُخْتَلِسا
وأكْثَرَ الزَّعْمَ بالتَّثْلِيثِ مُنْفَرِدًا ... وَلَوْ رَأَى رايَةَ التَّوحِيدِ مَا نَبَسا
صِلْ حَبْلَها أَيُّها المَوْلَى الرَّحيمُ فَما ... أَبقَى المِراسُ لَها حَبْلًا وَلا مَرَسا(٦)
وَأَحْيِ مَا طَمَستْ مِنْها العُداةُ كَمَا ... أَحيَيْتَ مِن دَعوَةِ المَهْدِيِّ ما طُمِسا

---

(١) يُمْنَى: بدلا عن أيدي. نمنمه: زخرفه، ونقشه.

(٢) التصوح: التشقق. والتصويح: التَّجفيف. (القاموس المحيط، مادة الصَّوْح). عسَّ يَعُسُّ: طلب. واعتس الشيء: طلبه ليلا أو قصده. (لسان العرب، مادة عسس).

(٣) الدَّبى: أصغر الجراد والنَّمل.

(٤) تحيفته: تنقصته من حيفه، أي نواحيه.

(٥) غُصنٌ جَنَيْناهُ بدلا عن عصر جليناه.

(٦) المَرَسة، محركة: الحبل. الجمع مَرَس، وجمع الجمع أمراس، ومَرِست البكرة، كفرح، فهي مروس: إذا كان ينشب حبلها بينها وبين القَعْو. ومرَس الحبل، كنصر: وقع في أحد جانبيها. وأمرس الحبل: أعاده إلى مجراه.

أَيَّـــامَ سِــرْتَ لِنَصْــرِ الحَــقِّ مُسْــتَبِقًا   وَبِــتَّ مِــن نُــورِ ذاكَ الهَــدْيِ مُقْتَبِســا
وَقُمْــــتَ فيهـــا بِـــأَمْرِ اللهِ مُنْتَصِـــرًا   كَالصَّـــارِمِ اهتَــزَّ أَو كالعـــارِضِ انبَجَســا
تَمحُــو الــذِي كَتَــبَ التَّجْسِيمُ مِـن ظُلَـمٍ   وَالصُّــــبْحُ مَاحِيـــةٌ أَنْـــوارُهُ الغَلَســـا
وَتَقْتَضِـــي المَلِـــكَ الجبَّـــارَ مُهجَتَـــهُ   يَــومَ الــوَغَى جَهْــرَةً لا تَرقُــبُ الخُلَسـا
هَـــذِي رَســـائِلُها تَـــدْعوكَ مِـــنْ كَثَـــبٍ   وَأَنْـــتَ أفْضَـــلُ مَرجُـــوٍّ لِمَـــنْ يَئِســا
وَافَتْـــكَ جارِيَـــةً بِـــالنُّجْحِ رَاجِيَـــة   مِنـكَ الأمِيـرَ الرِّضَـى والسَّـيِّد النَّدِسـا[١]
خَاضَـــتْ خُضَـــارَةَ يُعْلِيهَـــا ويُخْفِضُـــها   عُبَابُـــهُ فَتُعَـــانِي اللِّـــينَ والشَّرَســـا[٢]
ورُبَّمَـــا سَـــبَحتْ والـــرِّيحُ عَاتِيَـــةٌ   كَمَـــا طَلَبْـــتَ بِأَقْصَـــى شَـــدِّهِ الفَرَســـا
تَــؤُمّ يَحْيَــى بْــنَ عَبْــدِ الوَاحِــد بْــنِ أَبِـي   حَفْــصٍ مُقَبِّلَـــةً مِـــن تُربِـــهِ القُدُســـا
مَلِـــكٌ تَقَلَّـــدتِ الأَمْـــلاكُ طَاعَتَـــه   دِينًـــا ودُنْيـــا فَغَشَّـــاها الرِّضَـــى لِبَســـا
مِـــنْ كُـــلِّ غَـــادٍ عَلَـــى يُمنَـــاه مُستَلِمًا   وَكُـــلّ صَـــادٍ إِلَـــى نُعْمَـــاهُ مُلْتَمســـا
مُؤَيَّـــدٌ لَـــو رَمَـــى نَجمًـــا لأَثْبَتَـــهُ   وَلَـــوْ دَعَـــا أُفُقًـــا لَبَّـــى وَمـــا احتَبَســـا
تـــاللهِ إِنَّ الـــذِي تُرجَـــى الســـعودُ لَـــهُ   مَـــا جَـــالَ فِـــي خلَـــدٍ يَومًـــا وَلا هَجَســـا
إِمـــارَةٌ يَحْمِـــلُ المِقْـــدَارُ رايَتَهـــا   ودَوْلَـــةٌ عِزُّهـــا يَسْتَصْـــحِبُ القَعَســـا[٣]

---

(١) النَّدْس: النَّدُس: الرجل السريعُ الاستماع للصوت الخَفي، والفَهِم. (راجع القاموس المحيط مادة ندس).

(٢) خضارة: البحر.

(٣) القَعَس: ضد الحدب، والأقعس من الخيل: المطمئن الصهوة. ومن الرجال المنيع الثابت، العزيز. وعزة قعساء: ثابتة.

يُبْـدِي النَّهَـارُ بِهـا مِـنْ ضَـوْئِهِ شَـنَبًا   ويُطْلِـعُ الليـلُ مِـنْ ظَلْمَائِـهِ لَعَسـا(١)

ماضِـي العَزيمَـةِ والأَيَّـامُ قَـدْ نَكَلَـتْ   طَلْـقُ المُحَيَّـا ووَجْـهُ الـدَّهْرِ قَـدْ عَبَسـا

كَأَنَّـهُ البَـدْرُ والعَليَـاءُ هالَتُـهُ   تَحُـفُّ مِـن حَولِـهِ شُـهْبُ القَنَـا حَرَسـا

تَـدْبِيرُهُ وَسِـعَ الـدُّنيا وَمـا وَسِـعَتْ   وعُـرْفُ مَعْرُوفِـهِ وَاسَـى الـوَرَى وَأَسـا

قَامَـتْ عَلَـى العَـدلِ وَالإحسـانِ دولَتُـهُ   وأَنْشَـرَتْ مِـنْ وُجُـودِ الجُـودِ مـا رُمِسـا(٢)

مُبَـارَكٌ هَدْيُـهُ بـادٍ سَـكِينَتُهُ   مَـا قـامَ إِلا إِلَـى حُسْـنَى وَلا جَلَسـا

قَـد نَـوَّرَ اللهُ بِـالتَّقْوَى بَصِـيرَتَهُ   فَمَـا يُبـالي طُـروقَ الخَطْـبِ مُلتَبِسـا

بَـرَى العُصـاةَ وَرَاشَ الطـائِعِينَ فَقُـلْ   فِي اللَّيْـثِ مُفْتَرِسًـا والغَيْـثِ مُرْتَجِسـا(٣)

ولَـم يُغَـادِرْ علَـى سَـهْلٍ وَلا جَبَـلٍ   حَيَّـا لقاحًـا إِذا وَافَيْتَـهُ بَخَسـا(٤)

فَـرُبَّ أَصْـيَدَ لا تُلفِـي بِـهِ صَـيَدًا   وَرُبَّ أَشْـوَسَ لا تَلْقَـى لَـهُ شَوسـا(٥)

إِلَـى المَلائِـكِ يُنْمَـى والمُلـوكِ مَعًـا   فِـي نَبْعـةٍ أَثْمَـرَتْ لِلمَجْـدِ مـا غَرَسـا

مِـنْ سَـاطِعِ النُّـورِ صَـاغَ اللهُ جَـوهَرَهُ   وَصَـانَ صَـيقلهُ أَنْ يقْـرُبَ الدَّنَسـا(٦)

لَـهُ الثَّـرَى والثُّرَيَّـا خُطَّتـانِ فَـلا   أَعَـزّ مِـنْ خُطَّتَيْـهِ مـا سَـما وَرَسـا

(١) اللَّعَس: سواد مستحسن في الشَّفَة. والنعت ألعس ولعساء.

(٢) في بعض الروايات دَعْوَتُهُ، بدلا عن دولته.

(٣) رجست السماء: رعدت شديدا أو تمخضت.

(٤) الحي اللقاح: الذين لا يدينون للملوك.

(٥) أصيد: مائل العنق. شوس: اختلاف.

(٦) في رواية: وصان صِيغَتَهُ أن تقرب الدَّنسا.

حَسْبُ الـذِي بَـاعَ في الأَخْطَـارِ يَرْكَبُهـا إلَيْـهِ مَحْيَـاهُ أنَّ البَيْـعَ مَـا وُكِسـا[1]
إنَّ السَّـعيدَ امْـرُؤٌ أَلقَـى بِحَضـرَتِهِ عَصَـاهُ مُحْتَزِمًـا بالعَـدْلِ مُحْتَرِسـا
فَظَـلَّ يُـوطِنُ مِـنْ أَرْجَائِهـا حَرَمًـا وبَـاتَ يُوقِـدُ مِـنْ أضْـوائِهَا قَبَسـا
بُشْـرَى لِعَبـدٍ إلَـى البَـابِ الكَـريمِ حَـدَا آمالَـهُ ومِـنَ العَـذْبِ المَعـينِ حَسـا[2]
كأَنَّمَـا يَمْتَطِـي والـيُمْنُ يَصـحَبُه مِـنَ البِحـارِ طَرِيقًـا نَحْـوَهُ يَبَسـا
فاسْـتَقْبَل السـعدَ وضَّـاحا أسـرَّتُه مـن صَـفْحَةٍ فَـاضَ مِنهـا النـورُ وانعَكَسـا
وَقَبَّـل الجُـودَ طفَّاحًـا غَوارِبُـهُ مِـن رَاحَـةٍ غـاصَ فيهـا البَحـرُ وانغَمَسـا
يَـا أَيُّهـا المَلِـكُ المَنْصُـورُ أنْـتَ لَهَـا عَليَـاءُ تُوسِـعُ أَعْـداءَ الهُـدَى تَعَسـا
وقَـدْ تَـواتَرتِ الأَنْبَـاءُ أَنَّـكَ مَـنْ يُحْيِـي بِقَتْـلِ مُلـوك الصُّـفْرِ أَنْدَلُسـا
طَهِّـرْ بِـلادَك مِـنْهُم إِنَّهُـم نَجَـسٌ وَلا طَهَـارَةَ مـا لَـم نَغْسِـل النَّجَسـا[3]
وَأَوْطِـئِ الفَيْلَـقَ الجَـرَّارَ أرضَـهُمُ حتَّـى يُطَـأطِئَ رَأْسًـا كُـلُّ مَـنْ رَأَسـا
وانْصُـر عَبِيـدًا بأَقْصَـى شَـرْقِها شَـرِقَتْ عُيُـونُهم أدْمُعًـا تَهْمِـي زَكًـا وخَسَـا[4]

(١) الوكس: النقصان، والتنقيص.
(٢) في رواية: العد؛ والعد: البئر القديمة الغزيرة الماء.
(٣) قال المقري في الأزهار: (نغسل النجسا) هكذا ثبت بالنون كما رأيته في بعض النسخ العتيقة، وهو أصوب مما وقع بخط بعضهم بالتاء؛ لأن مثله لا يصلح للمخاطبات السلطانية، ولم يشتهر عند أكثر الناس إلا بالتاء، والصواب ما قدمته أنه بالنون، والله أعلم.
(٤) الزكا: الزوج. والخسا: الفرد.

هُمْ شِيعَةُ الأَمْرِ وَهْيَ الدَّارُ قَد نُهِكَتْ   دَاءً ومـا لَـمْ تُبَاشِـرْ حَسْـمَهُ انْتَكَسـا[1]

فَـامْلأ هَنِيئًـا لَـكَ التأييـدُ سَـاحَتَها   جُـرْدًا سَـلاهِبَ أوْ خَطِّيَّـةً دُعُسـا[2]

واضْـرِبْ لهَـا مَوْعِـدًا بِـالفَتْحِ تَرْقُبُـهُ   لَعَـلَّ يَـوْمَ الأَعَـادِي قَـدْ أَتَـى وعَسَـى

(١) نفح الطيب: متى لم تباشر.

(٢) سلاهب: جمع سلهب، وهو الطويل. ومن الخيل ما عظم وطال عظامه. الدعس: الطعن. وفي رواية: التَّمْكِينُ بدلا عن التأييد.

الإبداع البلاغي في القصيدة:

قامت عبقرية الشاعر على قوة الخيال، ودقة الوصف والتصوير، التي اشتهر بها شعراء الأندلس؛ كابن زيدون[(١)] وابن خفاجة[(٢)] وغيرهم ممن يضيق المجال عن ذكرهم، وكان للبيئة الأندلسية وما حظيت به من جمال الطبيعة الساحرة، والحياة الصاخبة في الفنون وتقلبات السياسة، أثر عميق في تنقية خيال الشاعر، ورهافة حسه؛ فجاءت القصيدة مرصعة بألوان زاهية من زهور حديقة البلاغة؛ التي جاءت مع بدء الشاعر قصيدته بفعل طلبي مباشر(إنشاء)[(٣)]، فيه طلب ورجاء وتفويض؛ يدل

(١) هو أحمد بن عبدالله بن غالب بن زيدون المخزومي، (٣٩٤-٤٦٣ هـ/ ١٠٠٣-١٠٧١م) ولد بالرّصافة من ضواحي قرطبة، من أب عالم وأديب ومتفقه، وقد توفي وابنه لمّا يتجاوز الحادية عشرة من عمره، فكفله جده لأمه. قضى ابن زيدون حياته بين قرطبة وإشبيلية، وانغمس في الحياة السياسية والاجتماعية، لابن زيدون رسائل عدة في النثر أشهرها الرسالة الهزلية أو التهكمية، والرسالة الجدية. وله ديوان شعر كبير، وأكثر شعره في المدح والغزل. (ديوان ابن زيدون، حققه وشرحه حنا الفاخوري، دار الجيل -بيروت- ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ص ١٥ وما بعدها).

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي (٤٥٠-٥٣٣هـ/ ١٠٥٨-١١٣٧م) ولد بجزيرة شُقر من أعمال بلنسية، وشُقر بُليدة بين شاطبة وبلنسية، وإنما قيل لها جزيرة؛ لأن الماء محيط بها، لم يتعرض ابن خفاجة لاستماحة ملوك الطوائف مع تهافتهم على أهل الأدب، وله ديوان شعر أحسن فيه كل الإحسان (ديوان ابن خفاجة، دار صادر -بيروت-١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص ٥).

(٣) يقسم البلاغيون الكلام إلى خبر وإنشاء، والإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، ويقسمونه إلى قسمين: الإنشاء الطلبي، والإنشاء غير الطلبي، والطلبي: خمسة أنواع هي: الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء. ويخرج الأمر =

عليه قوله: (إن الطريق إلى منجاتها درسا)، وهذا الضرب من الخبر طلبي[1]، يوضح غرضه من القصيدة، فأحسن الاستهلال[2]، ولعله

=

إلى أغراض بلاغية عديدة منها: الدعاء، التعجيز، التهديد، التخيير، الإباحة، التفويض... إلخ.

(١) ويعرف البلاغيون الخبر بكل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته. وللخبر غرضان أصليان: فائدة الخبر، ولازم الفائدة. وله أضرب ثلاثة: الخبر الابتدائي ويكون خاليا من المؤكدات. والطلبي ويؤكد بأداة واحدة. والإنكاري ويؤكد بأكثر من مؤكد.

(٢) حسن الابتداء: يقول الخطيب القزويني: ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون أعذب لفظا، وأحسنَ سبكا، وأصحَّ معنى؛ الابتداء، التخلص، الانتهاء.

فالأول: كقول المتنبي:

أتراها لِكثرة العُشاقِ   تَحسبُ الدمعَ خِلقَةً في المآقي

والثاني: كقول المتنبي:

خليليَّ، ما لِي لا أرى غيْرَ شاعر   فَكَمْ منهمُ الدَّعوى ومنِّي القصائدُ

فلا تعجبا إنَّ السُّيوفَ كثيرةٌ   ولكنَّ سيفَ الدولة اليومَ واحدُ

والثالث كقول أبي تمام:

إن كانَ بينَ صُرُوفِ الدَّهرِ من رَحِمٍ   مَوصُولةٍ، أو ذِمامٍ غيرِ مُنْقَضِبِ

فَبينَ أيَّامِكَ اللاتِي نُصِرتَ بها   وبَينَ أيَّامِ بدرٍ أقربُ النَّسبِ

أبقتْ بني الأصْفرِ المُصْفَرِّ كاسِمِهِمُ   صُفْرَ الوُجُوهِ، وجَلَّتْ أوجُهُ العرب

(كتاب البديع، أبو العباس عبد الله بن المعتز (ت. ٣٩٩هـ)، شرحه وحققه عرفان مطرجي، ط. مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت-لبنان- ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، هامش ص ١٠٣-١٠٤). ومن أجود الابتداءات الجاهلية قول امرئ القيس: قفا نَبْكِ من ذِكرى حبيب ومنزل. ومن أحسنها قول النابغة:

=

استمد هذا الفعل من حال الجزيرة ومآلها، فقد أصابها الدرك، والدرك في اللغة يعني الهلاك، جاعلا خيل أبي زكريا بن أبي حفص- صاحب إفريقية- خيلا لله سبحانه وتعالى، تجاهد في سبيله؛ وتأبى الإدبار والانهزام، فأجاد الابتداء بدخوله في غرض القصيدة مباشرة. حيث قال:

أدركْ بخيلك، خيلِ اللهِ، أندلسا   إن الطريقَ إلى منجاتِها درسَا[1]

وغني عن الذكر أنه ذكر الخيل، وأراد الفرسان. فالمجاز مرسل وعلاقته المحلية[2]. وزاد المطلع حسنًا أن زينه بالتجنيس المغاير[3]؛

=

كِليني لهمٍّ يا أميمةُ ناصبِ   وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكب

(راجع كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص ٤٠١).

(١) درس: درس الرسم دروسا، عفا (لازم مُتعَدٍّ) محي، زال، تبدلت معالمه.

(٢) ينقسم المجاز إلى قسمين: عقلي ومرسل. العقلي: يسمى بمجاز الإسناد وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي. وعلاقات المجاز العقلي منها: الزمانية، المكانية، السببية، المصدرية، الفاعلية، المفعولية. المرسل: هو ما كانت علاقته بين ما استعمل فيه، وما وضع له غير المشابهة، ومن هنا جاءت التسمية؛ لأنه مطلق من قيد المشابهة. وعلاقاته: السببية، المسببية، الجزئية، الكلية، اعتبار ما كان، وما سيكون، والحالية، والمحلية، والآلية.

(٣) وهو أن تكون الكلمتان اسما وفعلا مثل قوله تعالى: ﴿وأسلمتُ مع سليمان لله رب العالمين﴾ (سورة النمل الآية ٤٤). وقوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ (سورة الروم الآية ٤٣). (البديع في البديع، أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، تحقيق عبد مهنا، دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٦). وفي البيت
=

وكأنه بهذا يشير إلى تغير الحال؛ وعطف بالطلب مباشرة، ملتمسا النصر من الممدوح، مزينا استهلاله بهذا الورد المقتطف من حديقة البلاغة العربية، في استعارة درس للطريق[1]. مطبقا التطبيق؛ وكأنه يشير به إلى إطباق العدو عليها؛ حين يقول:

وهبْ لها من عزيز النصر ما التمست   فلم يزل منكَ عزُّ النصر مُلْتمسا
وحاش مما تعانيه حُشاشتُها   فطالما ذاقتِ البلوى صباحَ مسا

وثنى بجملة إنشائية بدأها بفعل الأمر (هب) ولكنه ليس أمرًا هنا، فقد خرج إلى معنى الالتماس. وكأني به يأخذ المعنى من اللفظ، (هب- هبة). وزان الالتماس بالاستعارة في قوله: (وهب لها عزيز النصر)، وكأنه شبه النصر العزيز بهدية غالية يهبها الممدوح الأندلس. وجاز بالمجاز العقلي في إسناد (التمست) للأندلس. وجانس بين (التمست وملتمسا) و(حاش حشاشتها)[2]، والاستعارة (ذاقت البلوى)[3]، إلى ما

=

الأول بين كلمتي (أندلسا- درسا)، والبيتين التاليين بين (التمست-ملتمسا، حاش- حشاشتها).

(١) الاستعارة: نقل اللفظ من معناه الأصلي الذي وضع أساسا له إلى معنى آخر لعلاقة بينهما مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. والاستعارة عدة أنواع: فباعتبار الطرفين: تصريحية ومكنية. وباعتبار اللفظ المستعار: أصلية وتبعية. وباعتبار ما يتصل بها من الملائمات: مجردة، ومرشحة، ومطلقة. (كتاب البديع، ابن المعتز، هامش ص ١١).

(٢) هو من التام المستوفى: وهو ما كان لفظاه من نوعين مختلفين كاسم وفعل.

(٣) وهذا يشبه قول مُهَلْهِل:

=

في لفظ ذاقت من ظلال تفيد المعنى الذي قصده الشاعر من مرارة الهزيمة والذل الذي تجرعته الأندلس بعد النعيم. والطباق (صباح مسا)، يظهر ما أطبق عليها من حزن طويل. ورد العجز على الصدر[1]. يظهر مدى حاجة الأندلس إلى هذا النصر الملتمس.

والتجنيس المماثل[2] في قوله:

يا للجزيرة أضحى أهلُها جَزَرا   للحادثات وأمسى جَدُّها تَعِسا

وتتجهم أسارير الاستعارة في قوله: (أضحى أهلها جزرا للحادثات)؛ فكأن الحادثات سباع تلتهم أهل بلنسية التهاما، فينقلب الحال مطبقا عليها، فيأبى الطباق إلا أن يطلَّ برأسه، (أمسى جدها تعسا). ونلمح الاستعارة في تعاسة هذا الجد.

=

تَلْقَى فَوارِسَ تَغْلِبَ ابنةِ وائلٍ   يسْتَطعِمُونَ الموتَ كُلَّ هُمَامِ

(١) وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل عليه إذا عرف الروي. ويسمى الإرصاد ويسميه بعضهم التسهيم. مثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ العنكبوت الآية (٤٠). ومن الشعر قول عمرو بن معديكرب:

إذا لم تستطع شيئا فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع

(التلخيص في علوم البلاغة، القزويني) ص ٨٨.

(٢) هو أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين، كما قال تعالى: ﴿فروحٌ وريحان وجنةُ نعيم﴾، (سورة الواقعة الآية ٨٩). وفي البيت بين اسمين هما (الجزيرة- جزرا). وجزرا: أي ضحايا.

ويجمع بين التجنيس[1]، والطباق، في قوله:

في كــلِّ شــارقةٍ إلمــامُ بائقــةٍ   يعــود مأتمهــا عنــد العِـدا عُرُسـا

ويستعير للبائقة كلمة الإلمام، وكأنها كائن حي يتحرك، فالاستعارة تبعية[2]، و(يعود مأتمها) استعارة تصريحية تبعية أيضا. وجناس بين (شارقة)، (بائقة)، وطباق بين (مأتم) و(عرس)، وكأنما تطبق عليها البوائق، فتحيل مأتم الأعداء عرسا.

وكــلِّ غاربــة إجحــافُ نائبــة   تثني الأمان حِذارًا والسُرورَ أسى

وكذلك الأمر مع (غاربة) و(نائبة) فمع مغيب كل شمس في بلنسية، تتناوشها النوائب، فيستعير لها الإجحاف، فتطل المقابلة لتشرح الحال؛ فيتشاركان شرح المعنى حين ينقلب الأمان خوفا، والسرور أسى.

---

(١) يسميه البلاغيون جناس التصريف، وهو أن تنفرد كلُّ كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف، مثل قوله تعالى: ﴿لَيَكونُنَّ أهدى من إحدى الأمم﴾، (سورة فاطر، الآية ٤٢). ويسميه آخرون المضارع إذا كان الحرفان المختلفان متقاربين في المخرج، واللاحق إذا كان الحرفان مختلفين في المخرج. وقد يقع الحرفان المختلفان في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، وفي البيت بين كلمتي (شارقة- بائقة). والتطبيق بين (مأتمها-عُرُسا).

(٢) يقسم البلاغيون الاستعارة باعتبار لفظها إلى أصلية وتبعية؛ فالاستعارة التبعية هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما مشتقا أو فعلا. والأصلية: هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه اسما جامدا غير مشتق.

ويتحفنا بتجنيس الترجيع[1]، وكأنه يرمز به إلى رجوع الروم ومنازعتهم العرب في قوله:

تقاسمَ الرومُ لا نالتْ مقاسمهم   إلا عقائلَها المحجوبةَ الأنُسا

وفي بَلَنْسيةَ منها وقُرْطبةٍ   ما ينسِفُ النفسَ أو ما ينزِفُ النفَسا

فنسج من (ينسف النفس)، و(ينزف النفسا) وشاحا من الحزن الذي خيم على المدينتين. وبعد أن أتقن التصوير بالجناس، قطف لنا زهرة أخرى من حدائق البلاغة اليانعة؛ هي الاستعارة، ولأنها أوكد في النفس من الحقيقة، أراد أن يؤكد بها ما أراد من المعاني السابقة، جامعا بينها وبين المقابلة في باقة يانعة، جعلت الصورة تكاد تنطق، وتصل بك إلى الغاية في تصوير بؤس الحال التي أصبحت عليها مدن الأندلس، معبرا عن الواقع، بالحال؛ التي أضفت على الاستعارة رونقا أكمل بهاءها فجاءت على غير تعنت أو انكماش، منسوجة بخيوط المقابلة الرفيعة حيث قال:

مدائنٌ حلها الإشراكُ مبتسمًا   جذلانَ، وارتحلَ الإيمانُ مُبتئسا

وصَيّرتها العَوادي العائثاتُ بها   يستوحشُ الطَّرفُ منها ضعفَ ما أنسا[2]

فمن دَساكر كانت دونها حرسًا   ومن كنائس كانت قبلها كُنُسا

---

(١) تجنيس الترجيع هو أن ترجع الكلمة بذاتها كما في قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلنا﴾، (سورة الحديد الآية ٢٥). (البديع في البديع ص٤٨).

(٢) الديوان، العابثات، والفعل عبث، يقال: عبثت بهم أيدي النوى (أساس البلاغة ص ٤٠٦). وعاث الذئب في الغنم إذا أفسد.

يا للمساجد عادت للعِدا بِيعًا ... وللنِّداء غدا أثناءها جرسا

يا لمدن الأندلس! ماذا دهاها؟ فهاهو الشرك حلَّ بها جذلان، يضحك بملء فيه، والإيمان يرحل كئيبا في غاية البؤس، استعارة تشخصية، ومقابلة بين (حلها الإشراك، وارتحل الإيمان)، وجناس بين (مبتسما، مبتئسا) والعوادي تعيث بها، (استعارة وجناس)، فأصبح ما كان مأنوسا مألوفا؛ موحشا حزينا، (مقابلة) وعادت المساجد بيعا للنصاري، لا تسمع فيها إلا صوت أجراس الكنائس تحل محل أصوات المؤذنين. (مقابلة)، وتجانس بين (كنائس وكنسا)، و(عادت للعدا)، و(النداء غدا). والمقابلة بين (المساجد والبيع).

ويتراءَى للشاعر المجد السابق لهذه المدن؛ فتذهب نفسه حسرات على ما أصابها، مستعيدا في خاطره مجدها التليد، مصورا كل ذلك بريشة الفنان الذي بُهر بفتنة الجمال فيقول:

لهفي عليها إلى استرجاع فائتها ... مدارسًا للمثاني أصبحت دُرُسا

وأربُعا نمنمت أيدي الرّبيع لها ... ما شئت من خِلع مَّوْشِية وكُسا[1]

كانت حدائقَ للأحداقِ مؤنقةً ... فصَوَّحَ النضرُ من أدواحها وعسا[2]

وحال ما حَوْلها من منظَرٍ عَجب ... يستجِلس الركب أو يستركب الجلسا

---

(١) الديوان، يمنى بدلا عن أيدي.

(٢) التَّصَوُّح: التشقق. والتَّصويح: التَّجفيف. عسَّ: طلب، واعتسَّ الشيء طلبه ليلا أو قصده. ويقال عسست القوم أعُسُّهم إذا أطعمتهم شيئا قليلا. (لسان العرب، ابن منظور، مادة عسس ص ١٦٧).

لقد عصفت بالشاعر الذكرى التي تداعت بخاطره، وهو يرى ما كان بالأمس القريب عامرًا، يصبح حطاما؛ والنفس تذهب حسرات على هذه المدارس التي درست، فيجد في التجنيس المماثل ما يمثلها؛ جاعلا منه، لحمتها، ومن الاستعارة سداها، ويطابق بين (استرجاع فائتها) وجاز بالمجاز جاعلا للربيع أيدي توشي هذه الأربع، مكملا المعنى بهذه الخِلع والكُسا الموشاة، التى كانت حدائق زانت الأحداق (جناس)، ثم أصابها الخراب فجفَّ النضر من أدواحها. وحال ما حَوْلها من منظر عجب، فانقلب حالها، وتحول مما كان عليه، فأطبق عليها بالمقابلة (يستجلس الركب أو يستركب الجلسا).

سُرْعَانَ ما عاثَ جَيْشُ الكُفْرِ واحَرَبا عَيْثَ الدَّبَا في مَغَانِيهَا التِي كَبَسا[1]
وَابْتَزَ بِزَّتَهَا مِمَّا تَحيَّفَهَا تحَيُّفَ الأَسَدِ الضَّارِى لِما افتَرَسا

ولما أطبق عليها جيش الكفر، وهاج بها الحرب، عاث في مغانيها عيث الدَّبا، (تشبيه مؤكد)، وعاث لفظ يدل على الإفساد، إفساد هذه المغاني التي باغتها بالخراب، فابتزَّ بزتها (جناس اشتقاق)، زادته الاستعارة بهاء، إلى ما في لفظ (ابتزَّ) من معاني النزع والأخذ بجفاء وقهر وسلب، وشبه ذلك بتحيف الأسد الضاري لفريسته، أي افتراسه لها من حِيَفِها؛ أي جميع نواحيها، تشبيه مؤكد (تحيفها تحيف الأسد الضاري).

(١) أحرب الحرب: هيجها. وأحرب النخل: أطلع. (القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة حرب).

فَـأَيْنَ عَـيْشٌ جَنَيْنَـاهُ بِهـا خَضِـرًا وَأَيْـنَ عصـرٌ جَلَينـاهُ بِهـا سَلِسـا[1]

مَحَـا مَحَاسِـنَها طـاغٍ أُتِـيحَ لَهـا مَـا نـامَ عَـن هَضْـمِهَا حِينًا وَلا نَعَسا

وَرَجَّ أَرْجَاءَهَـا لمَّـا أحـاطَ بِهـا فَغـادَرَ الشُّـمَّ مِـنْ أَعْلامِهـا خُنُسـا

بها من عيش هنيء، استفهام تضمن معنى التقرير المقرون بالحسرة، مشبها له بغصن أخضر ناضر، مستعيرا للعيش (جنيناه)، مراعيا النظير (جنيناه-خضرا)، (جليناه – سلسا)، ومجانسا بين (جنيناه) و(جليناه) فأين ما كان لنا من زمان سهل ليّن منقاد، جليناه بها. (محا) (محاسنها) جناس ناقص[2]، وأسند الفعل (محا) إلى (طاغ)، مجاز عقلي، علاقته السببية؛ لأن الطاغية لم يفعل ذلك بنفسه وإنما فعله جنوده، ولما كان هو من أمر بذلك أسند الفعل إليه. مع تنكير طاغ تحقيرا، (ما نام عن هضمها) استعارة، (رجَّ)، (أرجاءها) جناس، (الشمَّ) و(خنسا) طباق، فكأن العدو أطبق بها من جميع الجهات حتى خضعت له جبالها الشمُّ، ولعلها كناية عن أهلهاعلى سبيل المجاز.

خـلا لَـهُ الجـوُّ فَامْتَـدَّتْ يَـداهُ إِلَـى إِدْراك مـا لَـمْ تَطَـأْ رِجْـلاهُ مُخْتَلِسـا

(١) غُصنٌ جَنَيْناهُ بدلا عن عصر جليناه.

(٢) ويكون الجناس ناقصا لنقصان أحد اللفظين عن الآخر في عدد الحروف؛ ويأتي على ضربين: الأول ما كانت الزيادة في أحد لفظيه بحرف واحد سواء كان في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها. وربما يسمى الذي تكون الزيادة في آخره (مطرفا). والثاني ما كانت الزيادة في أحد لفظيه بأكثر من حرف واحد في آخره، وربما يسمى هذا النوع (مزيلا).

وأكْثَـرَ الـزَّعْمَ بالتَّثْلِيـثِ مُنْفَـرِدًا وَلَـوْ رَأَى رايَـةَ التَّوحِيـدِ مَـا نَبَسـا

هذا العدو الغادر (خلا له الجو) فامتدت يداه، (استعارة) إلى إدارك ما لم تطأ رجلاه، (مقابلة)، مختلسا، (تشبيه) له بمن يسرق ما ليس له، فيسرع في اختلاسه، وأكثر الزعم بالشرك، ولو رأى راية التوحيد ما نبسا (مقابلة) إلى ما بين (رأى- راية) من تجانس. وبعد أن تمكن من تصوير حالها، التفت مخاطبا صاحب إفريقية مباشرة ملتمسا منه النصر:

صِلْ حَبْلَها أَيُّها المَوْلَى الرَّحيمُ فَما أبقَـى المِـراسُ لَهـا حَـبْلًا وَلا مَرَسـا[1]

وَأَحْيِ مَا طَمَستْ مِنْها العُداةُ كَمَا أَحيَيْتَ مِن دَعوَةِ المَهْدِيِّ ما طُمِسا

أَيَّـامَ سِـرْتَ لِنَصْـرِ الحَـقِّ مُسْـتَبِقًا وَبـتَّ مِـن نُـورِ ذاكَ الهَـدْي مُقْتَبِسـا[2]

وَقُمْـتَ فيهـا بِـأَمْرِ اللهِ مُنْتَصِـرًا كَالصَّارِمِ اهتَزَّ أَو كالعـارِضِ انبَجَسا

تَمحُو الذِي كَتَبَ التَّجْسيمُ مِن ظُلَمٍ وَالصُّـبْحُ مَاحِيَـةٌ أَنْـوارُهُ الغَلَسـا

وَتَقْتَضِـي المَلِـكَ الجبَّـارَ مُهجَتَـهُ يَـومَ الـوَغَى جَهْـرَةً لا تَرقُـبُ الخُلَسـا

قابل بين شطري البيت (صل حبلها) و(ما أبقى المِراس لها حبلا)، واستعارة تصريحية في قوله: (صل حبلها)، وترشيح في (ما أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا)، والجناس الناقص الاشتقاقي بين (المـراس-

(١) المَرَسة: محركة الحبل، الجمع مَرَسٌ. المِراس: من معانيه الشِّدة. وأمرس الحبل: أعاده إلى مجراه، أو أنشبه بين البَكَرة والقَعْو. ومارسه: عالجه. والمعنى أنها عانت الشدائد، وكابدتها مكابدة، وعلى سبيل الاستعارة ما أبقت الشدائد لها راعيا ولا مرعيا، أو قائدا وهاديا.

(٢) نفح الطيب: صرت بدلا عن سرت.

مرسا). واستعارة تصريحية في (أحيِ ما طمست منها العُداة)، ومقابلة بين حالة الإحياء، هذه وإحياء ما طمس من دعوة المهدي. ورد العجز على الصدر. وجناس بين (سرت)، و(بت)، واستعارة تصريحية في (نور ذاك الهدي)، وجناس القلب[1] بين مُسْتَبِقًا ومُقْتَبِسا، ومجاز عقلي (قمت فيها بأمر الله)، وتشبيه كالصارم اهتزَّ أو كالعارض انبجسا. وطباق (تمحو، كتب). واستعار (الظُّلَم) للضلال الناجم عن النصرانية، أو لعلاقة المشابهة في عدم الاهتداء، والصبح للهدى والقرينة حالية تفهم من السياق، وتشبيه ضمني (والصبح ماحية أنواره الغلسا) مستعيرا (المحو) لإزالة الخليفة الكفر من ديار المسلمين، مشبها له بمحو أنوار الصبح ظلام الليل. واستعارة تصريحية في تقتضي الملك الجبار مهجته، وطباق بين (جهرة) و(الخُلسا).

هَـذِي رَسـائِلُها تَـدْعوكَ مِـنْ كَثَـبٍ ... وَأَنْـتَ أفْضَـلُ مَرجُـوٍّ لِمَـنْ يَئِسـا
وَافَتْـكَ جارِيَـةً بـالنُّجْحِ رَاجِيَـة ... مِنكَ الأمِيرَ الرِّضَى والسَّيِّدَ النَّدُسا[2]
خَاضَتْ خُضَارَةَ يُعْلِيهَا ويُخْفِضُها ... عُبَابُـهُ فَتُعـانِي اللِّـينَ والشَّرَسـا[3]
ورُبَّمـا سَـبَحتْ والـرِّيحُ عَاتِيَـةٌ ... كَمَـا طَلَبْـتَ بِأَقْصَـى شَـدِّهِ الفَرَسـا

(١) جناس القلب هو اختلاف اللفظتين في ترتيب الحروف مثل:

بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب

(٢) النَّدُس: الرجل السريعُ الاستماع للصوت الخَفي، والفَهِم. (راجع القاموس المحيط مادة ندس).

(٣) خضارة: البحر.

ويتجه بالخطاب مباشرة إلى الممدوح واضعا أمامه رسائل بلنسية، مستعيرا الرسائل لمطالب سكانها ورجائهم، جاعلا الاستعارة المكنية تتحدث (تدعوك رسائلُها)، والمقابلة توضح (أنت أفضل مرجوٍّ لمن يئسا). واستعارة مكنية في (وافتك جارية بالنُّجح)، وجناس القلب بين (جارية- راجية)، واستعارة تصريحية في (خاضت خضارة) وفيها أيضا جناس، وكأنَّ الاستعارة والجناس يتناغمان فيشيان بحالها، وتصرح التصريحية بحال بلنسية الذي يبينه الطباق (يُعليها ويُخفضها)، و(اللين والشَّرسا)، فتسرع سابحة، والريح عاتية، والعناء شديد، يعينها التشبيه (كما طلبتَ بأقصى شده الفرسا)، تقصد والي أفريقيا.

تَؤُمّ يَحْيَى بْنَ عَبْدِ الوَاحِد بْنِ أَبِي حَفْصٍ مُقَبِّلَةً مِن تُربِهِ القُدُسا
مَلْكٌ تَقَلَّدتِ الأَمْلاكُ طَاعَتَه دِينًا ودُنْيا فَغَشَّاها الرِّضَى لِبَسا
مِنْ كُلِّ غَادٍ عَلَى يُمنَاه مُستَلِمًا وَكُلِّ صَادٍ إِلَى نُعْمَاهُ مُلْتَمسا

لهفي على تلك الرسائل التي تسبح والريح عاتية، تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص تشخيص (مقبلة من تربه القُدسا)، استعارة (خضعت له الأملاك طائعة مختارة)، جناس قلب (دينا ودنيا)، استعارة (فلبست الرضى وشاحا)، فتجانست في رضاه الأجناس من بين غادٍ وصاد، جناس القلب (ومستلما مُلتَمِسا). واستعارة تصريحية (صادٍ إلى نعماه).

وقد ملَّح حين أفرط في الوصف(١)، فقال:

مُؤَيَّـدٌ لَـو رَمَـى نَجْمًـا لأَثْبَتَـهُ   وَلَـوْ دَعَـا أُفُقًـا لَبَّـى وَمـا احتبَسـا
تـاللهِ إنَّ الـذِي تُرجَـى السعودُ لَـهُ   مَا جَالَ فِي خلَدٍ يومًا وَلا هَجَسا(٢)
إِمــارَةٌ يَحْمِــلُ المِقْــدَارُ رايَتَهــا   ودَوْلَةٌ عِزُّها يَسْتَصْحِبُ القَعَسا(٣)
يُبْـدِي النَّهَـارُ بِهـا مِـنْ ضَـوْئِهِ شَـنَبًا   ويُطْلِـعُ الليـلُ مِـنْ ظَلْمَائِهِ لَعَسا(٤)

---

(١) ملَّح: أتى بالشيء المليح. الإفراط في الصفة: ويسميه البعض المبالغة ويقسمه إلى ثلاثة مستويات:

الأول: التبليغ: وهو ما كان غير ممتنع لا عقلا ولا عادة، كقول امرئ القيس:

فَعــادى عِــداءً بــين ثَــورٍ ونَعجــةٍ   دِراكــا فلــم ينضــح بمــاء فيُغسَــلِ

الثاني: الإغراق: وهو ما كان ممتنعا عادة وغير ممتنع عقلا، كقول عمرو بن الأيهم التغلبي:

ونُكـــرمُ جارنــــا مـــا دامَ فينـــا   ونُتبعـــه الكرامـــةَ حيـــث مـــالا

والثالث: الغلو: وهو الإفراط الشديد في المبالغة، كقول أبي نواس:

وأخفــتَ أهــلَ الشــرك حتــى إنــه   لَتخافـكَ النُّطـفُ التـي لـم تُخلَـقِ

والمقبول من الغلو ثلاثة: الأول: ما أدخل إليه ما يقربه من الصحة. والثاني: ما يتضمَّن نوعا حسنا من التَّخيل. والثالث: ما أخرج مخرج الهَزل والدُّعابة. (راجع كتاب البديع، شرح عرفان مطرجي، هامش صفحة ٨٥).

(٢) هجس: هجس في قلبي أمرٌ، ووقع له هاجس، وهذا بعض هواجسه. (أساس البلاغة، الزمخشري، ٦٩٥).

(٣) القَعَس: ضد الحدب، والأقعس من الخيل: المطمئن الصهوة. ومن الرجال المنيع الثابت، العزيز. وعزة قعساء: ثابتة.

(٤) اللَّعَس: سواد مستحسن في الشَّفَة. والنعت ألعس ولعساء. وفي أساس البلاغة: ثغر أشنب، وفيه شَنَبٌ وهو رقته وصفاؤه وبَرْده. (ص ٣٣٩) وفي شفتيها لُعْسَةٌ ولَعَسٌ.

وقد غالى في وصف الممدوح، مستخدما الاستعارة (لو رمى نجما لأثبته)، أو (دعا أفقا لبى، وما احتبسا)، وفي لفظة الأفق استعارة تصريحية، ومؤكدا ما ذهب إليه بالقسم (تالله)، وأداة التوكيد (إنَّ). فهذا الممدوح فوق ما يتخيل إنسان، راية إمارته يحملها المقدار، وعزٌّ دولته دائم، ومن المجاز (عزٌّ أقعس، وعزة قعساء)، و(ليل أقعس): كأنه لا يبرح طولا[1]. وهذه الإمارة نهارها صاف، وليلها داج، وقد استعار لها كل الحسن الموجود في غادة حسناء.

ماضِي العَزيمَةِ والأَيَّامُ قَدْ نَكَلَتْ   طَلْقُ المُحَيَّا ووَجْهُ الدَّهْرِ قَدْ عَبَسا

كَأَنَّـــهُ البَـــدْرُ والعَليَـــاءُ هالَتُـــهُ   تَحُفُّ مِن حَولِهِ شُهْبُ القَنَا حَرَسا

تَـدْبِيرُهُ وَسِـعَ الـدُّنيا وَمـا وَسِـعَتْ   وعُرْفُ مَعْرُوفِهِ وَاسَى الوَرَى وَأَسا

قَامَتْ عَلَى العَدلِ وَالإحسانِ دولَتُهُ   وأَنْشَرَتْ مِنْ وُجُودِ الجُودِ ما رُمِسا[2]

(ماضي العزيمة): استعارة فكأنه سيف قاطع في عزمه، إذا عزم على أمر أمضاه وأنفذه في الحال، و(الأيام قد نكلت) أيضا استعارة، ومقابلة بين الحالين، وكذلك قوله: (طلق المحيا)، و(وجه الدهر قد عبسا)، استعارة ومقابلة بين الحالين. ولما استوفى الاستعارة عاد إلى التشبيه، فقال: كأنه البدر تحيط به هالة العلياء، وتحف به القنا كأنها شهب تحيط

(١) أساس البلاغة، الزمخشري، ص ٥١٦.

(٢) الديوان: دَعْوَتُهُ، بدلا عن دولته. والرمس القبر، ويقال: غدا إلى الرمس كأن لم يغنَ بالأمس. ومن المجاز: الريح ترمس الآثار بما تثيره، وعفّتها الروامس والرامسات، ورمست عليّ الأمر: كتمته، ورُمس الخبر. (أساس البلاغة ص ٢٥٢).

بهذا البدر وتحرسه. ولما خلص من وصفه الحسي، لجأ إلى العقل، فهو صاحب تدبير يسع الدنيا وما وسعت، وصاحب معروف، (واسى الورى وأسا)(١). و(عرف معروفه) جناس عانق الجناس في قوله: (واسى الورى وأسا)، ولما تعانق الجناسان، التقيا الاستعارة في قيام دولته على العدل والإحسان، والمقابلة في (نشرها ما قبر من وجود الجود) المعطرة بالجناس (وجود الجود)، والتشخيص في وجود الجود، وأيضا ما دفن منه، وجاز لكل ذلك بالمجاز في (وأنشرت من وجود الجود ما رمسا).

مُبَارَكٌ هَدْيُهُ، بَادٍ سَكِينَتُهُ   مَا قَامَ إِلا إِلَى حُسْنَى وَلا جَلَسا

قَد نَوَّرَ اللهُ بِالتَّقوَى بَصِيرَتَهُ   فَمَا يُبالي طُروقَ الخَطْبِ مُلتَبِسا(٢)

بَرَى العُصاةَ وَرَاشَ الطائِعِينَ فَقُلْ   في اللَّيْثِ مُفْتَرِسًا والغَيثِ مُرْتَجِسا(٣)

---

(١) تقول: أسوت الجُرح أَسوًا وأسًى، ومن المجاز: أسوت بين القوم: أصلحت. وملك ثابت الأواسي وهي الأساطين. (أساس البلاغة، الزمخشري، ص ١٧).

(٢) لبس الحق بالباطل، ولبس عليه الأمر لبَّسه، ولابس عمل كذا، والتبس به وتلبَّس. ولابست فلانا حتى عرفت دِخْلته: خالطته. وفي أمره لُبس ولُبْسة، بالضم، إذا لم يكن واضحا. وفلان قد لبس الناس: عاش معهم. قال الشاعر:

لبست أناسا فأفنيتهم   وأفنيت بعدَ أناسٍ أناسا

ولبست فلانا على ما فيه: احتملته وقبلته.

(٣) برى: بريت الناقة بالسير، وبراها السفر. أهلكها. راش السهم يريشه وريَّشته، ومن المجاز: رشت فلانا: قويت جناحه بالإحسان إليه فارتاش وتريّش. قال الشاعر:

فرِشني بخيرٍ طالَ ما قد بريتني   فخيرُ الموالي من يَرِيش ولا يبري

وقال النابغة:

يريش قوما ويبرى آخرين بهم   لله من رائش عمرو ومن بارِ

=

ولَـم يُغَـادِرْ علَـى سَـهْلٍ وَلا جَبَـلٍ   حَيَّـا لقاحًـا إِذا وَافَيْتَـهُ بَخَسـا[1]

الغرض من الخبر في (مبارك هديه) وما بعدها فائدة الخبر، وجاء التقديم والتأخير؛ ليفيد إيجاز القصر- وهو التعبير عن معانٍ كثيرة بألفاظ قليلة مع الإبانة والإفصاح من غير حذف - فـ(مبارك هديه)، (باد سكينته)، عبرت عن المعنى الكثير باللفظ القليل، وهذا الضرب من الخبر ابتدائي، جاء خاليا من المؤكدات، زاده توكيدا أسلوب القصر المدعوم بالنفي (ما قام إلا إلى حسنى ولا جلسا) إلى ما في البيت من حسن تقسيم. وزادت المقابلة المعنى رواء فاستقر مؤيدا بالاستعارة (قد نور الله بالتقوى بصيرته)، مسنودا باستعارة أخرى، (فليس يبالي طروق الخطب[2] ملتبسا)، وعضدت الاستعارةَ المقابلةُ (برى العصاة)، (راش الطائعين)، ونفح ذلك بعطر اللف والنشر[3]، فالليث مفترسا يعود إلى بري العصاة، وفيه تشبيه، والغيث مرتجسا يعود إلى راش الطائعين. وفيه

=

(أساس البلاغة، ص ٢٦٣). رجست السماء: رعدت شديدا أو تمخضت.

(١) بخس الكيال مِكياله، ولا تبخس أخاك حقه، وباعه بثمن بخس، أي مبخوس. (أساس البلاغة ص ٣٠).

(٢) منه: هذا خطب يسير، وخطب جليل. وهو يقاسي خطوب الدهر. وما خطبك؟ ما شأنك الذي تخطبه. (أساس البلاغة، ص ١٦٨).

(٣) هو في الاصطلاح ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يناسبه، فالأول اللف، والثاني النشر. وإما أن يكون النشر على ترتيب اللف، أو لا يكون.

أيضا تشبيه. وطباق بين (سهل وجبل) و(حيا لقاحا) كناية عن هؤلاء الذين لا يخضعون لملك.

فَرُبَّ أَصْيَدَ لا تُلفِي بِهِ صَيَدًا ... وَرُبَّ أَشْوَسَ لا تَلْقَى لَهُ شَوسا[1]

إِلَى المَلائِكِ يُنْمَى والمُلوكِ مَعًا ... فِي نَبْعَةٍ أَثْمَرَتْ لِلمَجْدِ ما غَرَسا

مِنْ سَاطِعِ النُّورِ صَاغَ اللهُ جَوهَرَهُ ... وَصَانَ صيقلهُ أَنْ يقْرُبَ الدَّنَسا[2]

لَهُ الثَّرَى والثُّرَيَّا خُطَّتانِ فَلا ... أَعَزّ مِنْ خُطَّتَيْهِ ما سَما وَرَسا

حَسْبُ الذِي بَاعَ فِي الأَخْطَارِ يَرْكَبُها ... إِلَيْهِ مَحْيَاهُ أَنَّ البَيْعَ مَا وُكِسا[3]

هذا الملك خضع له الجميع ودانوا له بالطاعة، واستطاع أن يقلم أظفار من له ظفر، واستعار لهذا الخضوع (ربَّ أصيد، وربَّ أشوس) وهي استعارة توضح لنا قوة هذا الملك الذي دان له الأقوياء، وخضعوا مذعنين، مجردين من كل كبر أو بطر. مجانسا بالاشتقاق بين (أصيد، صيدا). و(أشوش شوسا)، مع رد العجز على الصدر. فهو من الملائك

(١) من المجاز: صدنا الكماة، وصدنا ماء المطر، وهو يصيد الناس بالمعروف. وملك أصيد: لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا، وملوك صِيدٌ، وصادٌ. قال منظور بن فروة: أُبرئ ذا الصاد وأكوي الأشوسا. (أساس البلاغة ص ٣٦٧ مادة صيد) والمعنى أخضع الجميع فالكل يدينون له بالطاعة وليس فيهم من يتجرأ عليه.

(٢) في رواية: وصان صِيغَتَهُ أن تقرب الدَّنسا. صقل السيف صقلا وصِقالا، وشيء صقيل. والدنس: اسم جامع لكثير من العيوب. من المجاز تدنس عرضه، ودنسه سوء خلُقه، وهو دنس المروءة، ودنس الثياب، ودنس الجيب والأردان. وهو يتصون من الأدناس والمدانس.

(٣) الوكس: النقصان، والتنقيص.

أصله والملوك معا، ومن نبعة كريمة أثمرت للمجد ما غرَسا، وقد استعار لأصله الكريم (نبعة)، وضاهت هذه الاستعارة، أخرى من (ساطع النور) وجعل الله -جلَّ جلاله- هو الذي صاغ جوهره، لئلا يستطيع طاعن أن يطعن في هذه الصياغة التي كانت بيد الله سبحانه وتعالى. وتبارى الجناس (صاغ- صان) والاستعارة (صيقله)، في إبراز عفة أصل هذا الخليفة، وكأنه مبرأ من كل عيب أو هجنة. وطبق بالطباق (الثرى – الثريا)، (سما، رسا)؛ ليبين ليس أعز من خطتيه، وفيهما ملاك الأمر كله؛ فحسبه ذلك وكفى. لا، بل وحسبُ (مبتاع الأخطار يركبها) ولما استعار البيع لمن يختار طريقه، جاء بـ(وكس) مراعيا ما يناسب البيع، فتلاقت الاستعارة مع ما يناسبها في ترشيح جميل.

إِنَّ السَّعيدَ امْرُؤٌ أَلقَى بِحَضرَتِهِ   عَصَاهُ مُحْتَزِمًا بالعَدْلِ مُحْتَرِسا
فَظَلَّ يُوطِنُ مِنْ أَرْجَائِها حَرَمًا   وبَاتَ يُوقِدُ مِنْ أَضْوائِهَا قَبَسا
بُشْرَى لِعَبدٍ إِلَى البَابِ الكَريمِ حَدَا   آمالَهُ ومِنَ العَذْبِ المَعينِ حَسا(١)
كأَنَّمَا يَمْتَطِي والـيُمْنُ يَصحَبُه   مِنَ البِحارِ طَرِيقًا نَحْوَهُ يَبَسا
فاسْتَقْبَل السعدَ وضَّاحا أسرَّتُه   من صَفْحَةٍ فَاضَ مِنها النورُ وانعَكَسا
وَقَبَّل الجُودَ طفَّاحًا غَوارِبُهُ   مِن رَاحَةٍ غاصَ فيها البَحرُ وانغَمَسا

(١) في رواية: العد؛ والعد: البئر القديمة الغزيرة الماء.

الجملة خبرية مؤكدة بأداة التوكيد (إن)، فالسعيد من ألقى عصاه بحضرته، كناية عن الاستقرار، والعرب كثيرا ما تكني بذلك. ويقولون أيضا: ألقى فلان عصا الترحال. (محتزما بالعدل)، استعارة، وتتوالى الاستعارات: (يوطن في أرجائها حرما)، (ويوقد من أضوائها قبسا)، ومقابلة بين (ظل وبات)، ومراعاة النظير لما يناسب النهار من التوطين، والليل من إيقاد القبس، ويسوق البشرى في تشبيه هذا بالعبد الذي يأوي إلى الباب الكريم، و(يستعير حدا) للآمال، مشبها لها بالإبل التي تشرب من العذب المعين وتحسو. وهذا العبد المبشر بالنعيم، كأنه يمتطي بالبحار طريقا، و(يتبعه اليمن)، في استعارة مشرقة. إلى ما بين (البحار واليبس) من طباق، وتكتمل الاستعارة كالبدر المنير حين يستقبل السعد، وأي سعد! إنه سعد تشرق أساريره وتستهل فرحا، لتجد صفحة فاض منها النور وانعكسا. (ليكتمل السعد بتقبيل الجود) في استعارة بديعة، بل هذا الجود طفاحا غواربه، وتوشي هذه الاستعارة مقابلة مستترة بين (طفاحا غواربه)، (وغاص فيها البحر وانغمسا)، وتتراقص الاستعارات طربا، تصف هذا الممدوح الذي (غاص في راحته البحر وانغمسا).

يَا أَيُّهـا المَلِـكُ المَنْصُـورُ أنْـتَ لَهَـا   عَليَـاءُ تُوسِـعُ أَعْـداءَ الهُـدَى تَعَسـا

وقَــدْ تَــواتَرتِ الأَنْبَــاءُ أَنَّــكَ مَــنْ   يُحْيِـي بِقَتْـلِ مُلـوك الصُّـفْرِ أَنْدَلُسـا

طَهِّــرْ بِــلادَكَ مِــنْهُم إِنَّهُــم نَجَــسٌ   وَلا طَهَـارَةَ مـا لَـم نَغْسِـلِ النَّجَسـا[1]
وَأَوْطِــئِ الفَيْلَــقَ الجَــرَّارَ أرضَــهُمُ   حتَّـى يُطَـأطِئَ رَأْسًـا كُـلُّ مَـنْ رَأْسـا
وانْصُر عَبِيدًا بأَقْصَى شَرْقِها شَرِقَتْ   عُيُـونُهم أدْمُعًـا تَهْمِي زَكًـا وخَسَـا[2]
هُمْ شِيعَةُ الأَمْرِ وَهْيَ الدَّارُ قَد نُهِكَتْ   دَاءً ومـا لَـمْ تُبَاشِـرْ حَسْـمَهُ انْتَكَسـا[3]
فَـامْلأْ هَنِيئًـا لَـكَ التأييـدُ سَـاحَتَها   جُـرْدًا سَـلاهِبَ أوْ خَطِّيَّـةً دُعُسـا[4]
واضْـرِبْ لهَـا مَوْعِـدًا بِـالفَتْحِ تَرْقُبُـهُ   لَعَـلَّ يـوْمَ الأَعـادِي قَـدْ أَتَـى وعَسَـى

ثم يلتفت مناديا هذا الملك المنصور، (أنه لها علياء)، تشبيه زادته الاستعارة بهاء، (توسع أعداء الهدى تَعسا)، وتطل الاستعارة (تواترت الأنباء) المدعومة بالطباق، (يحيي بقتل) وهذا الطباق مضمخ بالاستعارة في إحياء الأندلس بقتل ملوك الصفر، وقد كنى بملوك الصفر عن الروم. وتتلاقح الاستعارة مع النصح والإرشاد في (طهر بلادك) ويزيدها الترشيح بهاء (إنهم نجس) ويتكامل البهاء في إعادة العجز على

(١) قال المقري في الأزهار: (نغسل النجسا) هكذا ثبت بالنون كما رأيته في بعض النسخ العتيقة، وهو أصوب مما وقع بخط بعضهم بالتاء؛ لأن مثله لا يصلح للمخاطبات السلطانية، ولم يشتهر عند أكثر الناس إلا بالتاء، والصواب ما قدمته أنه بالنون، والله أعلم.
(٢) الزكا: الزوج. والخسا: الفرد.
(٣) نفح الطيب: متى لم تباشر.
(٤) سلاهب: جمع سلهب، وهو الطويل. ومن الخيل ما عظم وطال عظامه. الدعس: الطعن. وفي رواية: التَّمْكِينُ بدلا عن التأييد.

الصدر، (ولا طهارة ما لم نغسل النجسا)، ويالها من براعة في مراعاة النظير لكل هذا النسيج المحكم. ويتعانق النصح والإرشاد في التماس رائع (وأوطئ الفيلق الجرار أرضهم) ويتجانس مع الجناس المسنود بالمقابلة (يطأطئ رأسا)، (كل من رأسا)، وقد اختار حريره بلباقة فأحكم النسج، ملتمسا النصر (لمن أضحوا عبيدا بأقصى شرقها)، ويتعانق الالتماس مع الجناس التام فيتم المعنى (شرقها – شرقت)، ويلوح التشبيه عارضا هذه الدموع التي شرقوا بها وهي تنهمر كالمطر وتتابع حتى تطبق (زكا وخسا). ويأتي الالتماس بأن تملأ سوحها بالخيول الأصيلة التي تحقق لها النصر، ولم يذكر الخيل وكنى عنها بصفتها (جردا سلاهب)، ولا شك أن هذه الخيل يقودها فرسان شجعان مسلحون بالرماح، وأيضا ذكر من الرماح صفتها (خطية) نسبة إلى المكان الذي تصنع فيه هذه الرماح، والرماح المنسوبة إلى الخط من أجود الرماح. ومن تكون هذه عدته وعتاده فالنصر حليفه، لهذا أشرقت الاستعارة، (واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه)، وزاد من بهاء الاستعارة أن وضعت في أصيص من الرجاء، (لعل يوم الأعادي قد أتى) وكملت زينتها بالجناس بين (أتى وعسى)، وازدهت الأماني بـ(لعل) بدءا (وعسى) انتهاء، فأجاد البدء وأتقن الختام.

وقد ظل يراودني سؤال طيلة دراستي لهذه القصيدة، هل تأثر الشاعر بسينية البحتري(1)، وأظن ظنًّا أنه تأثر بها، فلا شك أن سينية البحتري بما فيها جمال وإبداع تترك أثرا عميقا فيمن يقرأها، فكيف بالشعراء؟! وفيها شبه بظروف سينية ابن الأبار، ففي سينية البحتري وصف لمعركة أنطاكية بين الروم والفرس، والروم هم المعتدون على بلنسية. أما موضوع سينية البحتري فوصف لإيوان كسرى كما هو معلوم، وفيها بكاء على هذه الآثار التي خلدت حينا ثم زالت، ورويها السين المكسورة، وسينية ابن الأبار رويها السين المفتوحة، وغرضها الاستنهاض والاستنجاد؛ ولهذا لا نستطيع القول بأنه عارضها أو أخذ منها، ولكن ربما يكون قد تأثر بها وكان هذا التأثر إيجابيا، فهو لم يخضع لها حتى تطغى عليه، بل استطاع أن يوظف كل لفظ وكل كلمة

(1) الوليد بن عبيد عربي النسب، أبوه طائي، وأمه شيبانية، لقبه البحتري نسبة إلى بُحْتُر أحد أجداده، كنيته أبو عبادة، ولد في منبج، بلدة بين حلب والفرات سنة ٢٠٦هـ، وتوفي سنة ٢٨٦م، له شعر كثير في أغراض شتى من مديح وعتاب واعتذار، ولكن أهم أغراضه الوصف، ومن أشهر قصائده في الوصف السينية التي نظمها في وصف إيوان كسرى، وقد جاراها شوقي بسينية مشهورة أيضا، حين نفي إلى إسبانيا منها البيتان المشهوران:

أحرام على بلابله الدو ... حُ حلالٌ للطير من كل جنس

وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني إليه في الخلد نفسي

(راجع الشوقيات ص ٢٣٧).

في قصيدته لخدمة هدفه، مستفيدا من كل الجمال في الشعر العربي السابق له، ولبيان ذلك نشير دون استطراد لما قد يكون شاهدا على عبقرية الشاعرين في استخدامهما لبعض الألفاظ، على سبيل المثال لا الحصر، وكلاهما تفرد بعبقريته وإتقان صنعته، ومن ذلك:

البحتري:

أتسلى عن الحظوظ وآسى   لمحلٍّ من آلِ ساسانَ دَرْسِ

ابن الأبار:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا   إنَّ السبيلَ إلى منجاتها درسا

البحتري:

فكأن الجِرمازَ من عدم الأنـ   ـسِ وإخلاقِه بَنِيَّة رمْسِ

ابن الأبار:

قامت على العدل والإحسان دولته   وأنشرت من وجود الجود ما رمسا

البحتري:

لو تراه علمتَ أن الليالي   جعلت فيه مأتما بعدَ عُرسِ

ابن الأبار:

في كلِّ شارقةٍ إلمامُ بائقةٍ   يعودُ مأتمها عند العدا عُرُسا

البحتري:

واشـــترائي العـــراقَ خُطَّـــة غَـــبْنٍ   بعـــدَ بيعـــي الشـــآمَ بَيْعَـــةَ وَكـــسِ

ابن الأبار:

حَسْـــبُ الـــذي بـــاع في الأخطـــار   إليـــه مَحيـــاه أنَّ البَيـــعَ مـــا وُكســـا

البحتري:

وكـــأنَّ الوفـــودَ ضـــاحينَ حســـرى   من وقوفٍ، خلف الزحام وخُنسِ

ابن الأبار:

ورجَّ أرجاءهـــا لمـــا أحـــاط بهـــا   فغـــادرَ الشُّـــمَّ مـــن أعلامهـــا خُنســـا

فكلا الشاعرين نظم الدر من ألفاظه، فأجاد النظم وأبدع في أداء المعنى، وصدق من قال: «الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح»[1].

(١) كتـاب الصـناعتين، أبـو هـلال العسـكري، المكتبـة العصـرية، الطبعـة الأولـى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ١٤٧. وذكر قائله العتابي.

الخاتمة:

خاضت الأندلس في أخريات أيامها حروبا طاحنة، بعد أن انتظمت قرونا في سلك مالكها، وأخذت المدن تتهاوى الواحدة تلو الأخرى، ولعل من أبرز أسباب هذا الانهيار: مهادنة العدو، بل والاتفاق معه على الأشقاء والأهل أحيانا، والبعد عن طاعة الله، بل وتنصر بعضهم حماية لأنفسهم، لدنيا ليست دائمة، وغفلتهم عن سد ثغورهم، والركون إلى الدعة، والإقبال على الملذات، حتى قيل في أهل بلنسية حين خرجوا في ثياب الزينة والترفه:

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستم   حُلَلَ الحرير عليكُمُ ألوانا

ما كان أقبحهم وأحسنكم بها   لو لم يكن ببطرنةٍ ما كانا[1]

وقد ألهمت مآسي المدن الأندلسية قرائح الشعراء، فأخذوا يستنهضون عزائم الملوك والعامة، لأخذ الثأر من العدو، نظما ونثرا، وفي رثاء طليطلة يقول بعضهم:

لثُكلك كيف تبتسم الثغورُ   سرورا بعدما سُبيتْ ثغورُ

إلى قوله:

طُليطلةٌ أباح الكُفرُ منها   حماها، إنَّ ذا نبأٌ كبيرُ

فليس مثالها إيوان كسرى   ولا منها الخَوَرْنَقُ والسَّديرُ

---

(١) نفح الطيب، المقري، ج٤ ص ٤٤٨، وكانت وقعة بطرنة عام ٤٥٦هـ.

محصَّنَةٌ محسَّنةٌ بعيدٌ تَناوُلها ومَطْلَبُها عَسيرُ
ألم تكُ معقلًا للدين صعبا فذلَّهُ كما شاء القديرُ

والقصيدة طويلة(١).

وقد حظيت بلنسية من بين المدن الأندلسية بقدر وافر من هذا الأدب، ولعل من جيد النظم فيها إلى جانب سينية ابن الأبار، هذه القصيدة الهمزية التي أوردها صاحب النفح، ومطلعها:

نادتك أندلسُ فلبِّ نداءها واجعل طواغيت الصليب فداءها

وهي أيضا وجهت إلى صاحب إفريقيا أبي زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص(٢). ويبدو أنه كان الموئل آنذاك والملاذ.

ومن المشهور في ذلك نونية الرّندي(٣)، وفيها يقول:

فاسأل بَلَنْسيةً ما شأنُ مُرْسِيةٍ وأينَ شاطبةٌ أمْ أينَ جَيَّانُ
وأين قُرْطبةٌ دارُ العلوم، فكم من عَالِمٍ قد سمَا فيها له شانُ
وأين حِمْصُ وما تحويه من نُزَهٍ ونهرُها العَذبُ فيَّاضٌ وملآنُ
قواعدٌ كنَّ أركانَ البلادِ فما عسى البقاءُ إذا لم تَبقَ أركانُ

---

(١) نفح الطيب، ج٤، ٤٨٣.

(٢) نفح الطيب، المقري، ج٤، ص ٤٧٩.

(٣) هو صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف النَّفْزي، من أهل رُنْدة. وتختلف كنيته بين أبي البقاء وأبي الطيب. ويعرف في الشرق بأبي البقاء. ولد نحو العام ٦٠١هـ، وكانت وفاته نحو العام ٦٨٤هـ.

وما زالت ذخائر النتاج الأندلسي الشعرية والنثرية، في رثاء المدن الأندلسية، وغيرها من الأغراض تحتاج إلى دراسات وافية لتخرج في حلل بهية، حتى يتلقفها الناشئة، ويرتبطون بتراثهم وأصلهم وجذورهم. كما توجد الكثير من الكتب النفيسة التي تحتاج إلى نشر؛ ليطلع عليها المثقفون قبل العامة، فالكثير منها ما زال حبيس المكتبات العتيقة، وكذلك الكثير من التراجم لأهم الشخصيات الأندلسية من شعراء وكتاب، تحتاج إلى بعث وإحياء ونشر، وحبذا لو وضعت ضمن خطط طموحة لتطبع في كتيبات صغيرة الحجم سهلة الحمل والتداول، حتى يطلع عليها الناشئة في كل مراحل حياتهم منذ التعليم قبل المدرسي وحتى الجامعي. وكذلك تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط، يحتاج إلى من يلخصه للناشئة، ويقدمه في قالب سهل الهضم، فكم فيها من عظة وعبرة، ومن فن وتشويق، ومن قصص فريد وعظيم، فهي حصاد عقول عبر القرون.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- أزهار الرياض في أخبار عِياض، تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م ج٣، (Pdf).

٢- أساس البلاغة، الإمام العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣- إعتاب الكتاب، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي المعروف بابن الأبار المتوفى سنة (٦٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وقدمه الدكتور صالح الأشتر، طبعة أولى عورضت بثلاث نسخ مخطوطة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، (pdf).

٤- البديع في البديع، أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، تحقيق عبدآ علي مهنا، دار الكتب العلمية-بيروت- ١٤٠٧/ ١٩٨٧م.

٥- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري، (Pdf).

٦- الحلة السيراء، لابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، (٥٩٥/ ٦٥٨هـ)ج١، ويضم تراجم المئات الأولى

والثانية والثالثة والرابعة، حققه وعلق على حواشيه الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٥، (Pdf).

٧- ديوان ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي (٥٩٥/٦٥٨هـ)، تعليق الأستاذ عبد السلام الهراس، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م،. (Pdf).

٨- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشَّنتريني (المتوفى سنة ٥٤٢هـ)، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٩- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تاريخ ابن خلدون، الإمام المؤرخ عالم الاجتماع، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي التونسي القاهري المالكي الشهير بابن خلدون (٨٠٨-٧٣٢هـ)، أبو صهيب الكرمي، ط. بيت الأفكار الدولية- عمان الأردن (بدون تاريخ).

١٠- العمدة في محاسن الشعر ونظمه، تأليف الإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (المتوفى ٤٥٦هـ) تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، ج (١/ ٢)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١١- عنوان الدراية، فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تأليف أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله (٦٤٤هـ/ ٧١٤م)، حققه وعلق عليه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة الثانية (أبريل ١٩٧٩م)، (Pdf). نشر لأول مرة في الجزائر ١٩١٠م.

١٢- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى ٢٧٦هـ) دار الكتاب العربي –بيروت- إعادة طبعة دار الكتب المصرية١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.

١٣- القاموس المحيط، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(المتوفى ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان- ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٤ - كتاب البديع، أبو العباس عبد الله بن المعتز (المتوفى٣٩٩هـ)، شرحه وحققه عرفان مطرجي، ط. مؤسسة الكتب الثقافية–بيروت- لبنان- ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٥- كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٦- لسان العرب، العلامة الإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري (المتوفى ٧١١هـ)

تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٧- معجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (المتوفى ٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٨- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري، (المتوفى ٥٧٧هـ) تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار-الأردن- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٩- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بن المقري التّلمسَاني، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار صادر- بيروت- ١٩٦٨.

٢٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (٦٧٧-٧٣٣هـ)، ط. الثالثة، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

القسم الثالث:

المقالات

دراسة اللهجات في الجامعات السعودية : نظرة عن قرب

أ.د. عباس علي السوسوة[1].

(١)

اللهجة شكل محلي من أشكال الكلام في دولة ما، أو في منطقة جغرافية تتجاوز الحدود السياسية في أكثر من دولة. واللهجات ظاهرة في كل لغات العالم التي نعرف مهما يكن حظها من التمدن أو التأخر، فلا تكاد توجد لغة إلا وفيها تنوع في الاستعمال، بحسب درجة الثقافة عند الأفراد، واختلاف المهن، واختلاف الموضوع الذي يدور حوله الكلام. وهذا التنوع قد يطلق عليه مترادفات للهجة كالعامية والدارجة والمحكية.

أما في تراثنا اللغوي فيطلق عليه «لغات» فيقال: لغة هذيل، لغة تميم، لغة الأزد، لغة حمير... إلخ. وظواهر (اللغات) العربية القديمة مبثوثة في كتب النحو واللغة المختلفة، لم

(١) أستاذ اللسانيات في جامعتي تعز باليمن، والملك خالد بأبها. عضو مجمع اللغة العربية في مكة المكرمة.

يخلص لواحدة منها مؤلف بعينه. المهم أن علماءنا القدماء درسوا ظواهر مختلفة منها، كان الجانب الصوتي-الصرفي أبرزها، ثم الجانب المعجمي المتعلق بألفاظ ذات دلالة خاصة في إحداها أو بعضها، وكان الجانب النحوي المتعلق ببناء الجملة وما تؤول إليه من خبر وشرط ونفي وتوكيد... إلخ في المؤخرة، ولم يتحرجوا من شيء في صنيعهم.

وفي مطلع القرن العشرين الميلادي عندما أنشئت الجامعات العربية ظلت دراسة اللهجات في شكل رسائل (ماجستير أو دكتوراه) مستبعدة، بحكم السمعة التي لحقت بها، وهي أنها محاربة للغة الفصحى، ودعوة لإحلال العامية/ العاميات محلها، حتى إن أول رسالة ماجستير في جامعة القاهرة عن لهجات الجزيرة (بصيغة الجمع) وآدابها في السودان لم تتم إلا في عام ١٩٥٨م[١].

بل إن المبعوثين الأوائل في الأربعينيات والخمسينيات وأول الستينات الذين أرسلتهم الجامعة المصرية إلى جامعة

(١) دكتوراه للباحث عبد الحميد السيد طلب، قسم اللغات الشرقية، كلية الآداب، ٤٠٠ص، إشراف خليل يحيى نامي. انظر دليل الرسائل الجامعية التي أجازتها كلية الآداب جامعة القاهرة منذ إنشائها حتى مايو ١٩٩٦، ج١ ص١٠٣-١٠٤. وانظر دليل الرسائل في كلية دار العلوم جامعة القاهرة، وكذلك دليل الرسائل في آداب الإسكندرية.

لندن (غالبًا) لدراسة علم اللغة الحديث (=اللسانيات) وأغلبهم جعل إحدى رسالتيه -أو كلتيهما- لدراسة لهجة حديثة، لم يشرف على طالب في الدراسة اللهجية أصلًا باستثناء حالتين. خذ عندك:

- إبراهيم أنيس، (ت١٩٧٧) كانت أطروحته للدكتوراه في لهجة القاهرة، ولم ينشرها لا بالإنجليزية ولا بالعربية، ولم نجد لها أثرا في مكتبته ضمن مكتبة كلية دار العلوم. وأشرف فقط على ماجستير عبد العزيز مطر عن لهجات البدو في الساحل الشمالي ١٩٦٠م.

- تمام حسان (ت٢٠١١م)، كانت إحداهما في لهجة الكرنك بمصر، والثانية في لهجة عدن ولم ينشرهما، ولم نجد لهما أثرا أيضًا.

- عبد الرحمن أيوب (ت٢٠١٧)، كانت إحداهما في اللهجة النوبية، والثانية في لهجة الجعفرية. وعليهما نفس الحكم السابق.

- كمال محمد بشر (ت٢٠١٥)، كانت إحدى رسالتيه في لهجة جبل لبنان. وعليها نفس الحكم السابق. أشرف على ماجستير محمود جاد الرب «دراسة صوتية في لهجات البدو في البحيرة».

- السعيد محمد بدوي (ت٢٠١٤)، إحدى رسالتيه عن لهجة قرية النخّاس (جوار مدينة الزقاريق). لم ينشرها، ولم يشرف على رسالة في اللهجات، لا في دار العلوم موطنه الأول ولا في الجامعة الأمريكية موطنه الثاني.

- فهمي أبو الفضل (ت ح١٩٧٧)، كانت أطروحته للدكتوراه عن لهجات الفلاحين في محافظة الشرقية بمصر، باللغة الألمانية بحكم دراسته هناك، ولم تنشر.

والعجيب أن المرحوم عبد الصبور شاهين الذي لم يبتعث إلى جامعة أوروبية هو المشرف على كل رسائل اللهجات في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة -باستثناء ثلاث حتى وفاته. ومثله خليل يحيى نامي أشرف على خمس من سبع في قسم اللغات الشرقية بآداب القاهرة حتى ١٩٦٩.

كانت رسالتي للماجستير «لهجة ذمار دراسة صوتية وصفية» ١٩٨٤، بإشراف حسين محمد نصار، الذي لم يبتعث خارج مصر للدراسة، أول رسالة لهجية في قسم اللغة العربية بآداب القاهرة، ثم تلتها «لهجة خُبان» في ٢٠٠٣، وأظنها الأخيرة في القسم نفسه.

أما دراسة بعض الظواهر في لهجات عربية حديثة في شكل أبحاث ومقالات، في مجلة من مجلات الجامعة فتأخر حتى النصف الثاني من الأربعينيات، عندما نشر خليل يحيى نامي (ت١٩٨٢): «مفردات من تعز وتربة ذبحان» ١٩٤٦ في مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (اسم جامعة القاهرة السابق). ولا يخفى أنها مفردات من لهجة يمنية حديثة، شافهَ فيها الباحث الناس في موطنها، لكنه اقتصر على إيراد نصوص ثم النظر في المفردات يحللها يبحث لها عن أصول سبئية أو عبرية أو

فصيحة من خلال العودة إلى قاموس الفيروزآبادي. وقد أبان فيها عن عقل ثاقب وعلم غزير[(١)].

(٢)

دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة علمية تعني دراسة الواقع اللغوي الحي، الذي لا يجوز تجاهله أو إغفاله سواء كانت هذه الدراسة اللهجية جغرافية تهتم ببقعة جغرافية معينة، أم اجتماعية تهتم بطائفة من طوائف المجتمع. والمكتبة العربية فقيرة أشد الفقر في هذا النوع من الدراسات مهما يكن منهجها ومهما يكن القطاع المدروس فيها: الصوت، الصرف، بناء الجملة، الدلالة، علاقتها بالدين، علاقتها بالمجتمع.. إلخ.

والدراسات التي تمت في أحضان بعض الجامعات العربية -على قلتها- بقيت حبيسة أرفف المكتبات والمخازن في الكليات والأقسام التي أجازتها، فزادت القلة قلة. وللعزوف عن دراستها سبب علمي لا يذكره الباحثون عادة، هو أن دراسة اللهجات الحديثة تتطلب صبرًا جميلًا في الملاحظة والاستقصاء ثم الاستنتاج بعد ضم الشبيه إلى الشبيه، وفوق ذلك تمييز المختلف في نطاق المتشابهين، علاوة على

(١) وصلت إلى أربعة حلقات تجاوز بها تعز إلى الحديدة، وبعض لهجات اليمن الأوسط. والرجل كان علامة في مجال نقوش المسند، ونشر منها قسمًا لا يستهان به، وبوفاته ماتت دراسة النقوش اليمنية في جامعة القاهرة نهائيًّا.

الدراسة النظرية التي لا بد منها سواء في مجال الدرس اللهجي أو في مجال قطاعات الدرس اللساني عامة، في حين أنه يسهل على الباحث في غير هذه الدراسات أن يمسك بالمراجع والمصادر -كلها مكتوبة- فيصل إلى مبتغاه من أقرب طريق.

ثم بعد ذلك هناك السمعة السيئة التي علقت بدراسة اللهجات الحديثة، من حيث إن الاستعمار وأذنابه من المستشرقين والعملاء المحليين إنما يدرسونها كي يحاربوا بها العربية الفصحى لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بأن يُحلوا هذه اللهجات محل اللغة الشريفة، مما سبب رهاب دراسة اللهجات؛ إذ يتقدم الباحث طيب النية لدرس لهجي ما على استحياء وفي ذهنه كل المحظورات سلفًا، فيحاول أن يدفع عن نفسه تهمة محاربة الفصحى.

فيذكر في مقدمة عمله (ما بين صفحتين إلى نصف صفحة) حسن نيته، وينفي هذه التهمة عنه.

بغض النظر عن أن دراسة اللهجات الحديثة في ذاتها مطلب علمي، فإن دراستها دراسة جادة لا تهاون فيها مفيدة في دراسة الفصحى؛ إذ قد تكشف عن جوانب لم يهتم علماؤنا القدماء الأجلاء بدرسها، وتكشف عن مصادر كثير من القراءات القرآنية التي لم تنسب إلى قوم أو قبيل، وتوضح -أو تكمل- جوانب في الدرس اللغوي القديم، كما تفيد في تعليم الفصحى على أسس سليمة؛ إذْ إن معرفة المدرس بعادات طلابه

اللغوية التي اكتسبوها تجعله قادرًا على تلمس مواطن الضعف والقوة التي تحتاج إلى عناية منه في التدريس. وكل ذلك لا يمكن أن يؤتي ثماره المرجوة قبل الوصف الدقيق. (انظر: «رهاب العربية الفصحى»، فصل من كتابنا: «فقه اللغة والثقافة العربية» متاح في موقع د. محمد سعيد الغامدي، وانظر: فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٩صـ٧٣-٧٤).

ولا يزال رهاب دراسة اللهجات العربية الحديثة مستوليًا على الجامعات السورية والعراقية والمغربية[١]؛ إذْ لم أجد في قوائم رسائلها رسالة واحدة، أما خارج الجامعة فموجود هناك في كتب ومقالات تبحث عن (فصاح العامية) في محكياتها، تحاول رد ما صحف أو حرف أو أبدل من ألفاظ مستعملة في لغة الحياة اليومية -دون لغة الكتابة- إلى أصولها في المعاجم القديمة. وأما في الجزائر فلم أظفر إلا بثلاث رسائل حسب علمي المتواضع.

تأخرت دراسة اللهجات في الجامعات السعودية -وربما كان السبب عائدًا إلى المخاوف المذكورة- أما محاولات رد المحكي من الألفاظ إلى الفصيح فسائغ ومنشور في كتب كثيرة ومقالات متناثرة في الصحف والمجلات، تحتاج إلى وقت وجهد كبيرين للإحاطة بها ودراستها.

---

(١) كذلك الحال عند اللسانيين السعوديين، وأشهرهم حمزة المزيني الذي لم ينشر (بالعربية) أطروحته عن إحدى اللهجات الحجازية الحديثة.

كان الأسلم الاتجاه إلى دراسة اللهجات القديمة التراثية، وهو اتجاه مسبوق في الجامعات المصرية بعمل أحمد علم الدين الجندي «اللهجات العربية في التراث» (أصلها أطروحة دكتوراه في قسم اللغات الشرقية بإشراف خليل نامي ١٩٦٤عنوانها الأصلي «اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة ») ولغة هذيل لعبد الجواد الطيب واللهجات في معاني القرآن الكريم لصبحي عبد الكريم وغيرها. وهذا لا يثير شغبًا ولا معارضة فكان «اللهجات العربية في كتاب سيبويه»، و«لهجة أزد السراة»، و«لغات طيئ»، و«ولهجة بني كلاب»، و«لغة قريش».

(٣)

كان عمل محمد بن باتل الحربي «اللغة المحكية في حوطة بني تميم» أول رسالة ماجستير تدرس لهجة سعودية حديثة صراحة عام ١٩٧٩، ولأن صاحبها ومشرفه مسكونان بكل الاعتراضات والمخاوف غير العلمية، قدم لها المشرف أحمد بن محمد الضبيب عند نشرها في كتاب.

وسنقصر عملنا على الرسائل المجازة في الجامعات السعودية مرتبة بحسب تواريخ الإجازة دون غيرها من الأوعية الأخرى كالكتب ومسارد الألفاظ والمقالات.

أ/ : «**اللغة المحكية في حوطة بني تميم**» للباحث محمد بن باتل الحربي، ماجستير في جامعة الملك سعود، ١٩٧٩م، نشرت بعد ٣٥عامًا تقريبًا في كتاب يحمل العنوان نفسه، صادر عن مركز حمد الجاسر، الرياض ٢٠٠٨م، في ٢٧٣ص. (**الذي جعل عدد صفحاتها كبيرا حجم الخط الذي نشرت به**).

قدّم له المشرف أحمد بن محمد الضبيب (وهو نفسه مترجم كتاب دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربية لجونستون). ذكر في التقديم أن دراسة اللهجات العربية تشخيص للواقع اللغوي، وأن قيمتها العلمية لا تقل عن دراسة العربية الفصحى سواء أكانت تلك اللهجات قديمة أم حديثة؛ إذْ تهدف إلى معرفة الظواهر المشتركة بين المستويين وتكشف هذه الدراسات أن لهجات الكلام في البلاد العربية تحتفظ بعناصر كانت شائعة قبل الإسلام.

الكتاب ستة فصول، ذكر الباحث في المقدمة أن هدفه من الدراسة التعرف على السمات اللغوية للهجة (حوطة بني تميم) وما يقابلها بالفصحى، وأنه سيتبع المنهج الوصفي في اللهجة المدروسة، ويتبع ذلك بالمقارنة التاريخية مع لهجة آبائهم ما أسعفته المصادر القديمة (سنذكر رقم الصفحة بداية كل مبحث عام أو جزئي).

الفصل الأول: المبحث الاجتماعي: تحدث فيه عن وادي الحوطة ١٧، السكان قديمًا١٩، السكان في العصور المتأخرة٢٢، بنو تميم

ووادي الحوطة٢٤، مدينة الحوطة وموقعها وصفاتها وسكانها٣٢.

الفصل الثاني: المبحث الصوتي:

بدأه بجدول مخارج الأصوات الساكنة وصفاتها٣٩، ثم رموز أصوات اللين٤٠، ثم صوت الهمزة (قلبها عينًا، قلبها واوًا، قلبها هاءً، قلبها صوت لين وما يشبهه)٤١، صوت ج٥٥، ذ٦٢، ض٦٤، ق٧٠، ك٧٦، النبر٨٦، المقطعية الصوتية في اللهجة٩٠، التفخيم والترقيق٩٤، أصوات اللين٩٩.

الفصل الثالث: المبحث الصوتي الصرفي:

الحذف (تقصير صوت اللين القصير- صوت اللين الطويل يتحول إلى قصير - حذف الأصوات الصامتة - المقطع المشدد - اللواحق - الإدغام)١٠٧.

الفعل الثلاثي المضعف الآخر مع الضمائر١٣٣، الفعل الثلاثي المعتل الآخر مع الضمائر١٣٥، الفعل المهموز الآخر ثلاثيًّا أو أكثر مع الضمائر١٣٥، الوصل والوقف (هاء التأنيث - التنوين - الوقف)١٣٨.

الفصل الرابع: المبحث الصرفي:

حروف المضارعة١٥٣، أوزان الفعل الصحيح: الثلاثي، فالرباعي وأكثر١٥٨، مفعول الأجوف الثلاثي١٦٩، أسماء الإشارة١٧٢، الضمائر الشخصية١٨٠، الاسم الموصول١٨٤، الأسماء (الستة)١٨٧، المثنى وما أُلحق به١٩٠، جمع السلامة المذكر وما أُلحق به١٩٣، الأفعال (الخمسة)١٩٥.

الفصل الخامس: المبحث النحوي:

الفاعل والجملة١٩٩، سوابق الفعل (آب، عاد، زاد، دل)٢٠٢.

الفصل السادس: في معجم اللهجة:

من الألفاظ المعجمية في اللهجة أورد فيه ١٦مثلًا لا غير ٢١١-٢١٣ ومحادثة واحدة!!! وأما الألفاظ فاثنا عشر فقط بالتمام ٢١٤-٢١٨. وأما الألفاظ الدخيلة في اللهجة ٢١٩-٢٢٤ فلا خير فيه البتة.

أهم نتائج البحث ٢٢٧، الخرائط ٢٣١، الفهارس٢٤١.

ولنا على الدراسة هذه الملاحظات:

١- أن الباحث متمكن من أدواته العلمية وإجراءاته، وهذا يثبت مقولة أن ليس شرطًا أن يكون الباحث من أبناء اللهجة المدروسة (وإن كان يستحسن)، فطالما لاحظنا أن بعض الدراسات الضعيفة علميًّا من عمل أبناء اللهجة، مثلما حدث مع «لهجة بني نفيع»، و«لهجة القصيم»، و«لهجة خُبان»، و«اللهجة السقطرية».

٢- استعمل الباحث رموز خليل عساكر في كتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة بحروف عربية، معدلةً، وحدث فيها خلط وخطأ عندما تحولت إلى كتاب يبدو أنه لم يراجعه بنفسه.

٣- كان الباحث حريصًا في دراسة كل ظاهرة على ذكر (ما يُسمع وما يروى)؛ لبيان الاختلاف بين الحاضر والمروي عن القدماء.

٤- كان الباحث متحررًا من الأحكام القطعية حول التاريخ فيذكر أنه «تصعب الإجابة القطعية عليه».

٥- عابه استعمال مصطلحات مركبة طويلة، ولم يكتف بذلك بل يأتي بمرادفها أيضًا مثل: صوت اللين القصير الكسرة، اللواحق النهائية الكواسع.

٦- الفصلان الخامس والسادس أضعف فصول الكتاب. وكان له مندوحة لو تركهما وأضاف جملة احترازية في عنوان العمل (دراسة صوتية صرفية)، هذا مع أنه درس بعض ظواهر النحو في الفصلين الثالث والرابع.

٧- ذكر أنه قام بأربع زيارات ميدانية لأطراف مدينة حوطة بني تميم (ص١٢) وأنه اعتمد على مخبرين اثنين (يقصد على راويين) اكتفى بذكر الحروف الأولى من الاسمين.

٨- ذكر (ص١٤) أنه للتوضيح سيقارن (يقصد يقابل) بلهجة نجدية أو عربية في بعض الظواهر كأسماء الإشارة، والأفعال الخمسة، والمثنى، والجمع، وأنه زاد أحيانًا بالمقارنات السامية. وفي الزعم الأخير نظر؛ إذ هي لمسات خفيفة منقولة عن لمسات خفيفة لا مقارنة حقيقية عند العرب المحدثين.

٩- ذكر (ص١٢٢-١٢٣) أن الفعل (أبِ) كثير الدوران في محكيتهم، وهو اختصار (أبغي) فحذفوا الغين لما تحتاجه من مجهود!!.

١٠-(ص١٣٤) أن الظاهرة العامة المحافظة على إدغام الفعل المضعف، بجلب الياء مثل (تظنّيت) فظاهرة وُجدت قديمًا، ومن

الملاحظ كثرتها في اللهجات الحديثة، وأشار إلى التوزيع الجغرافي اللغوي في العراق لإبراهيم السامرائي ١٧٧-١٧٨.

قلت: فيه نظر، أما إنها منتشرة الآن فنعم، وأما الزعم بكثرتها قديمًا فلا؛ إذْ ليس لديهم غير الأمثلة المروية عن عصر الاحتجاج. أما العربية المشتركة بعد ذلك فلا يكاد يوجد منها شيء فيها.

ومن الأمور اللافتة في هذه المحكية ما يأتي:

- ٥٥ج تنطق ياء مطلقًا، وينفردون بها دون غيرهم٥٧.

- ٦٤ض اختفى تمامًا.

- ٧٠ الأقل تحول القاف إلى الجيم مثل: عجيد، سُويج، دجيج، والأكثر تحولها إلى جيم سامية/g/ ص٧١.

- ٧٦ الكاف في كثير من الأحوال تصير صوتًا مركبًا: تش.

- ١٣٥ نون النسوة موجود: دَعا، دَعَن، دَعَو.

- ١٤٢-١٤٥ التنوين مكسور دائمًا في النكرات النهائية في الجملة الكلامية، لإشعار السامع بواسطته أن الكلام لم يكتمل بعد وأن المنون غير محدود.

- ١٥٣ حروف المضارعة ت ن يـ مكسورة دائمًا إلا في حالات، أما الهمزة فمفتوحة.

- ١٨٧-١٨٩ لا تستعمل إلا أبو وأخو (مقابلة بالستة في كتب النحاة) هكذا في كل الأحوال.

- ١٩٣ المثنى يلزم ياء المد المائلة دائمًا بعدها نـون، في حين يقابلـه في الجمع ياء مد صريحة بعدها نون.

- ١٩٥ الأفعـال الخمسـة -عنـد النحـاة- ثلاثـة فقـط في المحكيـة الحوطية، وتلزم (ـون) دائمًـا، إذا لـم تتصـل بالضـمائر، فإن اتصلت بها حذفت النون: لا تخربوه، لا تخربيها.

- ١٩٩-٢٠٠ قد يتقدم الفعل على الفاعـل وقـد يتـأخر، لكـن يلتـزم ترتيب: فعل فاعل مفعول إذا كان متعديًا.

ب/ «**لهجة القصيم وصلتها بالفصحى**» للباحثة بدرية بنـت سـليمان العاروك، دكتوراه، من جامعة الأميرة نورة، ١٤٣١هـ نشر نـادي القصـيم الأدبي ١٤٣٥هـ، (٣٧٦ص).

كـان أفـق التوقـع عـن هـذا العمـل كبيـرًا، فالباحثـة مـن أبنـاء لهجـة القصيم، والعمل دكتوراه يفترض أن تتجاوز الماجستير التي يتوقـع أن معدّها لم يستكمل أدواته البحثية. خاب التوقع فالعمل متواضـع علميًّـا، مملـوء بـالثرثرة غيـر المفيـدة والإطالـة المفرطـة، وتـرك الفـرض وهـو الظـواهر اللغويـة في لهجـة القصـيم، في صـفحة (ج) قالـت إن مصـادرها: روايات مسجلة، وروايات مسموعة دونتهـا الباحثـة بمسـاعدة الأقـارب، ثم المطبوع(!!) من الشعر النبطي والحكايـات والأمثـال! وزعمـت أنهـا ستتبع المنهج الوصفي ثم المقارن.

والحق أنها اتبعت الوصفي بتطبيق غير صارم ثم التقابلي مع المستوى الفصيح. وأخذت في النقل ثم النقل ثم النقل عن الكتب المطبوعة، في أمور كثيرة لا تتعلق بالشيء المطلوب درسه إلّا بأوهى الأسباب، بل بغير أسباب. خذ عندك في الباب الأول (الدراسة الصوتية بين لهجة القصيم والفصحى المبدوء في ص٣٥ (تقصد الأصوات بين المستويين الفصيح ولهجة القصيم)؛ إذْ تأتي بتعاريف للغة واللهجة عند متعددين (ابن جني وسابير ومارتينيه وتشومسكي)، ثم تعريف الصوت، ثم جهاز النطق والأعضاء المكونة له، فتعريف اللهجة لغة في ٣صفحات واصطلاحًا في ٣صفحات وعوامل نشأة اللهجات في ثلاث ولم تبدأ بذكر الأصوات في لهجة القصيم إلا في صفحة٧٨!!! وهي مساحة كافية لدراسة صوتية مركزة عند غيرها، وهكذا في كل مفردة من مفردات الرسالة/ الكتاب. ولا نطيل بذكر التفاصيل.

وكان الباب الثاني (الدراسة النحوية والدلالية) بدأ في ص١٧٧ ولم نعلم الحكمة من جمع النحو مع الدلالة المعجمية، وليس المخصص للدراسة النحوية والصرفية غير الفصل الأول، اكتفت فيه بالنظر في الإعراب، والأفعال الخمسة، والتثنية، والجموع، والعدد تمييزه، والأسماء الستة! ثم كان الثاني نقلًا من الكتب عن التطور الدلالي بالتوسيع، وبالتضييق، وبالنقل، وأسباب تغير المعنى.

ومحضت الفصل الثالث لدراسة المشترك والأضداد والمقترض! ولم تجد كلامًا تقوله في هذين الفصلين غير النقل.

أما الفصل الرابع «دراسة معجمية لدلالة الألفاظ في لهجة القصيم» (٢٥٤-٣١٣) فلم تفعل أكثر من أعمال الهواة من ذكر ما هو في المعجم وما هو في اللهجة!! وبعد هذه الملاحظة العامة على العمل، نأتي إلى ملاحظات أخرى أبرزها:

١- جعلت ضمن مدونتها الشعر النبطي المطبوع، وهذا لا يجوز في دراسة صوتية ولا صرفية.

٢- لم تكن الباحثة دقيقة في الوصف الفونيمي/ الصواتي؛ إذْ حشرت معه ما ليس مؤثرًا في المعنى، ولم تذكر الصفة السالبة، مثلًا تقول مع كل وصف (مرقق) (مفخم) دون حاجة فالباء ص٧٨ «صوت صامت شفوي انفجاري مجهور مرقق». فصوت حشو في الوصف، كذلك هل توجد باء مفخمة تغير المعنى إذا حلت في كلمة مكان المرققة؟ زد على ذلك وصفها بعض الصوامت ظ: مطبق مفخم... إلخ. وكانت واحدة من الصفتين تكفي ما دام مدلولهما واحدًا.

أضف إلى ذلك أن التحليل إلى وحدات صوتية يقتضي التمثيل بكلمات ذات وزن واحد ومكونات صوتية واحدة باستثناء عنصر واحد، بحيث يسوغ القول إن هذه باء وهذه فاء... إلخ. لكن الباحثة كانت تمثل بجمل كاملة تضيع فيها هذه الملامح التمييزية.

٣- يكفي أن يكون الرواة الذين تؤخذ عنهم اللهجة -أي لهجة- خمسة بل أقل، ما دامت تنطبق عليهم شروط العينة الممثلة. لكن عددهم وصل في البحث إلى اثنين وخمسين!! وأين؟ تذكرهم في

الهامش حتى لو نقلت كلمة!! والعجيب خلو العمل من نصوص موسعة تشتمل على حكايات وأخبار تظهر فيها أكثر من خصيصة.

٤- كتابتها للمقاطع غير صحيحة.

٥- في حدود أربع صفحات ١١٢-١١٥ أخذت تقابل (بجد) بين النبر في الفصحى وفي القصيم!!!مع أن النبر في الفصحى مختلف في أهميته وفي انتظامه، وما ذكره الباحثون عنه قبلها لم يتفق عليه! إضافة إلى أنها لم تعمد إلى اختباره معمليًّا -وهو ما يجب- بحيث يخرج عن دائرة الانطباع الفردي إلى الواقع المسموع المرئي الذي لا خلاف حوله.

٦- لم يستبن لنا الفرق بين ما سمته القاف الجيمية (قاف بثلاث نقط فوقية) والقاف الكافية (فاء تحتها نقطتان وفوقها نقطة) هل هما صورتان لوحدة صوتية واحدة؟ أم وحدتان صوتيتان؟ وكذلك الحال مع الجيم اليائية والجيم الرسية والجيم التي بين القاف والكاف؟ ولذلك نجدها تقول (ص١٢٣): «ينطق أهل القصيم الصوت الكاف(؟) فونيمين!! أحدهما الكاف الفصحى والآخر صوت لهجي وهو ما يسمع من صوت مزدوج مركب يمكن أن يسمى الكاف الصفيرية» (س تحتها نقطتان) أهـ.

والصواب أن يختبر الصوتان بوضعهما في تقابلات ثنائية في بداية الكلمة ووسطها وختامها، فإن تغير المعنى بينهما فهما وحدتان صوتيتان (فونيمان) وإلّا كانا صورتين صوتيتين للكاف.

٧- أكثرت من اختراع الجداول دون داع؛ لأنها لا توضح شيئًا من المكتوب، بل إنها هنا مستحيلة. ففي ص١٣٦ جدول بنسبة شيوع الإبدال في محافظات القصيم التسع! وفي ص١٦١ جدول بنسبة شيوع الإشباع. وفي١٦٨ جدول بنسبة اختزال الحركة، بل إن في ص٢٣٦ جدولًا بنسبة شيوع الاقتراض!!.

كيف حققته؟ كيف توصلت إليه؟ ما إجراءاتها في ذلك؟ هل اعتمدت على العينة العمدية، أم العشوائية، أم غير ذلك؟ الله أعلم. وهذا أمر قد يسوغ في الدراسات الأسلوبية الإحصائية لنص مطبوع لشاعر أو كاتب، أما في محافظات تسع لهجتها واحدة فهي معجزة.

قرأت العمل مرتين ولم أستطع الخروج بتصور واضح للهجة القصيم في الظواهر التي درستها الباحثة.

ج/ «**خصائص الأبنية والتراكيب في لهجة فيفا**» للباحثة/ سوسن يحيى محمد الفيفي، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم اللغة العربية بكلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد - أبها، أجيزت في أبريل ٢٠١٤م، (٩٦صفحة).

حق العنوان أن يكون «لهجة فيفا: دراسة في ظواهر صرفية ونحوية»، وهو المأخذ الحقيقي الوحيد للمناقش الخارجي. الرسالة أول عمل جامعي يتناول هذه اللهجة في بعض الجوانب الصرفية والنحوية؛ لذلك

كان الأفضل استعمال المنهج الوصفي الذي أثبت نجاعته في دراسات مماثلة، في دول أخرى.

اختارت الباحثة الرواة: عشرًا من النساء وستة رجال من الأسرة ينطبق على الجميع مفهوم (العيّنة الممثلة). فتحدثت (ص٢) عن منطقة الدراسة بإيجاز غير مخل. وذكرت خطوات المنهج المطبق إضافة إلى المقابلة مع ما استقر من أحكام عند علماء العربية.

ولمّا لم تكن الدراسة مخصصة للنظام الصوتي للهجة، بل كانت لظواهر صرفية ونحوية آثرت الباحثة ذكر بعض الظواهر الصوتية العامة للهجة فيفا (ص١١-١٣) وهي:

١- أم للتعريف إلّا في كلمات قلائل من بينها الأسماء الحسنى، وفي النداء، وفي صفة الضمائر.

٢- فيها ثلاث شينات: الفصيحة، والمنقلبة صوتًا مركبًا عن الكاف (تش)، وشينًا تنطق بمقدمة اللسان مستعرضًا مع الأسنان السفلى. ولم توضح إن كانت الأخيرة وحدة صوتية تغير معنى المفردة أو صورة صوتية لا تغير المعنى.

٣- إمالة الألف النهائية إلى الياء كما في موسى وعيسى.

٤- الصاد تحولت صوتًا مركبًا (ست) فيقال في نحو: صلاة، صيام، صبر، وصميل=ستلاة، ستيام، ستبر، ستميل، إلّا ما كان مكتسبًا من خارج اللهجة فيبقى صادًا مثل صابون.

٥- لا وجود للظاء ولا الضاد بل تحل محلهما الثاء المفخمة: ثفدعة، ثُلمة، ثلام، وثهر في ضفدعة وظلمة وظلام وظهر، إلّا ما ندر.

٦- الأسماء يلحقها التنوين المكسور؛ لذلك كتبته نونًا صريحة.

٧- القاف هي الجيم السامية /g/ .

ثم كان الفصل الأول (من الخصائص الصرفية ١٤-٣٥)، وفيه:

١- الإعلال والإبدال وتسهيل الهمز والقلب.

٢- الاختزال. وظواهره كثيرة:

أ- الترخيم في النداء بجميع أشكاله.

ب- الترخيم في الأسماء حتى في الإضافة.

ج- الترخيم في الجُمَل: ماذَوانو، أصلها ما هذا أوانه.

٣- الاشتقاق والمشتقات: اسم الفاعل، صيغ المبالغة، اسم المفعول (وفيه يصحح المعتل الوسط مثل مبيوع)، الصفة المشبهة، التفضيل، أسماء الآلة ستة أوزان منها: مِحناب، مِفرس، مِطحنة... إلخ.

٤- المثنى والجمع.

فأما المثنى فلا يوجد في الضمائر بأنواعها بل اندمج بالجمع، أما إذا أريد النص عليه فتسبق الكلمة باثنين وثنتين، وتلزم الياء دائمًا.

وأما الجمع السالم فبالياء فقط، وأما جمع التكسير ففيه ١٥ بناء من بينها «فِعلة»، مثل: ثيرة جمع ثور وحِمرة جمع حمار... إلخ.

٥- النسبة.

الفصل الثاني (من خصائص التراكيب ٣٦-٥٧) وفيه:

أولًا: الضمائر:

١- الضمائر الشخصية: أها=هُوَ، أهي=هِيَ، أهم للجمع بنوعيه، أنحن، أنتَم، أنتَن، (شَ=ك) لِشَ ولش. الواو في الغائب المتصل مثل: قَوَّمو، ولكن يوجد يقرّيهو، يعميهو، عليهو. والنون للغائبة الفاعل: قامَن وقوّمن.

٢- الضمائر الإشارية:

للمذكر المفرد: ذي للقريب، وذيّا لشديد القرب، وذيلي للبعيد، وذاك للحكاية.

للمؤنث: تي للقريبة، وتيّا لزيادة القرب، وتلي للبعيدة، وتاك للحكاية.

وللجمع بنوعيه: أوذي للقريب، أوذَيّا للأشد قربًا، أوذَلي للبعيد، أو ذاك للحكاية.

والإشارة للأماكن: هِني للقريب وثَم للبعيد.

٣- الضمائر الموصولة: ذا/ ذي للمذكر المفرد، تا/ تي للمؤنثة، أوذا/ أوذي للجمع.

وهناك ذوات وذواي بمعنى صاحبات وأصحاب.

ثانيًا: الاستفهام. أدواته:

آ: آهشت تسوق؟ هل ذهبت تتسوق؟ الجواب إما: إي أو لا أو بلى.

مَنذا: مَنذا لقيت؟= من الذي لقيت؟

منها ومنهي= من هو؟ من هي؟

وهنـاك متـى، ويَنَ=أيـن، شـيف=كيف، شـم=كم، أي مضـافة إلـى ضمير، أيَّوي=أي اتجاه وأيّويل= أي اتجاه.

ثالثًا: النداء:

لا تستعمل (يا) إلّا في الشعر.

أَ: لنداء القريب مسافة وحكمًا، مثل: أفاط! (= أفاطمة، يا فاطمة).

آ: لنداء البعيد وقد يطال المد بالواو مثل: آووفاط، وقد تحذف مثل: وووفاط.

وا: لنداء البعيد والقريب.

رابعا: التوكيد:

فأما المعنوي فيكون بـ «شـل» مـع الضـمائر: شَـلَّهِم، شَـلَّهِن... إلـخ. وأما اللفظي فبتكرار اللفظ، أو بتوكيده بضمير منفصل: أقوم أنا، قام أهـا – قامن أهي.

خامسًا: التنوين:

سوغت الباحثة دراسته هنـا (ص٥٤) بأنـه يلـزم آخـر العلـم جـزءًا لا يتجزأ منه، ولا يحذف حتى في الوقف، ويلزم مـا كـان علـى وزن الفعـل، وما على صيغة منتهـى الجمـوع ومـا ختم بـألف ونـون. مثـل: دراهمـن، دنانيرن، عطشانن، استبعن (=اذهـب)، ولا ينـون المؤنـث المنتهـي بهـاء التأنيث.

سادسًا: إضافة سا والباء للكلام:

لزيادة المعنى في الجملة. فأما (سا) فتفيد الإضراب عما قبله مثل: ما طلعت سا أوطيت (=ما صعدت بل نزلت)، مها محمد سا علي (=ليس محمد بل علي). فإذا صارت (بسا) فإنها تؤكد الفعل وتحققه مثل: بسا محمد هيش=قد ذهب محمد.

وأما إضافة (با) للاسم أو الضمير فتضيف معنى التوكيد لما بعده من فعل! مثل: با محمد هيش=قد ذهب محمد، ولها وظائف أخرى.

سابعًا: ما يأتي بعد قِد:

يفيد التحقيق مع الفعل الماضي إذا وليه دون فاصل. أما إذا وليه المضارع أو اسم الفاعل فيدل على التحقيق أو التقريب مثل: قِد محمد مسافرن، قِدشَ تذاكر، قِدني راقدن. ويأتي بعد (قِد) شبه جملة، أو إشارة، أو موصول كما في المحكية اليمنية. وهذه المواقع ليست له في الفصحى.

أدركت الباحثة أهمية النصوص المطوّلة في تدعيم التصور العلمي للهجة، وفي إتاحة نوافذ جديدة للقارئ والباحث المختص لعله يرى ما لم يره الباحث، لا سيما والباحثة لم تدّعِ أنها ستحيط بكل شيء علمًا، بل نصت على ما ستدرسه. لذلك أضافت ملحقين: الأول معجمي ببعض الألفاظ والتراكيب الشائعة في فيفا بلغت مئةً وأربعة ألفاظ (١٠٤) مفسرةً، هذا غير ما مرّ في أثناء البحث.

بنظرة خبير أستطيع القول إن بعضها يشبه ما في المحكيات اليمنية لفظًا ومعنى، أو معنى مع تغيير في اللفظ، بل بعضه موجود في المعجم السبئي. وقسم يشبه ما في المعاجم وكتب اللغة الفصحى، مثل: كتاب الوحوش للأصمعي، والنوادر لأبي زيد، والأضداد لقطرب، وجمهرة اللغة لابن دريد وغيرها، وندر أن وجد ما هو مقصور على فيفا.

وأما الملحق الثاني (النصوص) (٧٧-٦٥) فكان خمس حكايات كتبت بالحروف العربية مضبوطة بالشكل كما سمعت من الرواة (أغلبهن نساء). وما دام الفرق يكمن في نطق القاف، فلا ضير. لكنها بالغت في استعمال علامة السكون، وفي إضافة حركة قصيرة قبل الحركات الطوال.

ولو قد أتيح للباحثة وقت، وكانت صبورًا، لاستكملت جوانب أخرى من هذه اللهجة.

د/ «**لهجة ظهران الجنوب وصلتها بالفصحى، دراسة في البنية والتركيب**»، للباحثة/ تهاني جبران مهدي الوادعي - ماجستير، **(غير منشورة)** جامعة الملك خالد - أبها، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م (ص٢٧٨).

الرسالة مؤلفة من مقدمة وتمهيد وبابين يقعان في اثني عشر فصلًا، قابلت فيها بين هذه اللهجة وما ذكره علماء العربية في الصرف والنحو، لبيان أوجه الاتفاق والاختلاف، ولعلها -كادت- لم تترك بابا في العلمين إلّا ذكرته، لكنه ليس النقل للنقل، بل في التعريفات والحدود والضوابط، دون التعمق فيما لا يفيد.

في المقدمة (٩-١) تحدثت عن أهمية دراسة اللهجات الحديثة وسبل خدمتها للفصحى وإكمالها جوانب من الدرس القديم، وأن دافعها للبحث أن هذه اللهجة لم تدرس، وأن فيها ظواهر في مستوياتها المختلفة تستحق الدرس، وأن بعض هذه الظواهر بدأ يندثر بسبب موت كبار السن من أهلها وطغيان وسائل الإعلام الحديثة. ثم تحدثت عن شروط الرواة (نقلًا عن: لهجة ذمار للمشرف ص٦) وأهمها أن يكون الراوي من أبناء اللهجة، وأن يخلو من العيوب النطقية، وأن لا يكون من أصحاب الثقافة اللغوية.

وذكرت أنها جمعت مادتها بالمشافهة المباشرة من مختلف المناطق مسجلة بأجهزة التسجيل، بمعونة زوجها وأخيها - ناهيك عن أنها من أهالي المنطقة ثم حولت المنطوق إلى مكتوب، مع الاستعانة بالمصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع.

ثم نبهت تنبيهًا عامًّا هو أن ض، وظ نطقهما واحد=ظ، وأن القاف هو /g/ صامت مجهور طبقي انفجاري، يقابل الكاف المهموس، وأن الهمزة تحذف من نهاية الكلمات وتسهل في الوسط، كما نبهت أن الجيم في قرية الطلحات ياء، فعندهم دياي وزواي ويمر=دجاج وزواج وجمر.

ذكرت ١٤ راويًا بأعمارهم ومهنهم ومستوى تعليمهم، منهم خمس نساء من الأسرة.

وفي ص٨-٩ ذكرت أنها استفادت من عملين هما: «لهجة البيضاء» لعبد ربه طاهر الحميقاني، دكتوراه، (غير منشورة) كلية الآداب جامعة

تعز ٢٠١١، و«اللهجة اليافعية دراسة تقابلية مع الفصحى في ظواهر صرفية ونحوية»، دكتوراه (نشرت في كتاب) للباحث سند محمد عبد القوي سالم، كلية التربية، جامعة عدن٢٠١٣م.

في التمهيد١١-٢٤ تحدثت عن الموقع الجغرافي للهجة وأهميته وعن الحياة الاجتماعية... الخ

(الباب الأول دراسة البنية) في ستة فصول٢٥-١٠٩

أبنية الأسماء ٢٦، أبنية المصادر٤٦، المشتقات٦٠، أبنية الأفعال٧٨، التصغير٩٩

النسب١٠٥.

(الباب الثاني دراسة التركيب) في ستة فصول١١٠-٢١٧

الإسناد١١١، الضمائر وإسنادها١٣٠، الزمن النحوي١٥٢، الأساليب الإنشائية: استفهام وشرط ونداء١٦٥، الأساليب الخبرية: نفي وتوكيد١٩٢، الأدوات٢٠٤.

ثم كانت نتائج البحث٢١٨-٢٢٦خمسين في الباب الأول وتسعا وثلاثين في الباب الثاني. بعدها أوردت نصوصا مطولة من اللهجة ٢٢٧-٢٣٢مكتوبة بالحروف العربية مضبوطة بالشكل، ثم نقلت أمثالا وحكما وكنايات بلغت مئة وواحدا وأربعين(ص٢٣٣-٢٣٧)، ثم أوردت شيلة الأم وقصيدة رثاء وقصيدة أخرى (٢٤٤-٢٣٨). وفي الصفحات ٢٤٥-٢٦٥ مسرد مرتب ألفبائيا ببعض الألفاظ الشائعة سواء كانت محلية أو قاموسية أو مقترضة. وهنا نلاحظ أن الملحقات

هنا ذات صلة وثقى بالعمل وليست طلاء خارجيا، أو مثل الزنمة المتدلية من رقبة التيس.

أما قائمة المراجع المكتوبة ٢٦٦-٢٧٨ فبلغت ١٣٧ مرتبة ألفبائيا بحسب أسماء الشهرة.

وسنذكر بعض مظاهر هذه اللهجة مشفوعة بالصفحة كما يأتي:

-٢٨ آل كتام وآل السحامي أداة التعريف عندهم ام: امباب، امسوق، امدريشة= النافذة، احرُث امجِربه، انعَق لَمغَنَم.

-٣٢-٣٥ استعملت اللهجة ٣ من ٦ من أبنية الرباعي المجرد، و٨ من الرباعي المزيد، بها اختلافات عن الفصحى، واستعملت بقلة ٣ من ٥ في الخماسي المجرد، ولوحظ أن الرباعي والخماسي غالبا ما يكونان في أسماء النبات.

-٣٦ لم تستعمل صيغة المثنى في الضمائر والإشاريات والموصول، واستعملت بدلها الجمع، والمثنى يلزم الياء دائما، أما أعضاء الجسم المزدوجة كالعينين فتستعمل بصيغة الجمع: عيونه كبار، يدينه بيظ.

-٣٧ جمع المذكر السالم يلزم الياء، والملحق به لم يستعمل منه إلا ألفاظ العقود، مثل: عشرين وسبعين، أما أسماء الأعلام الإناث فلم تجمعها جمعا سالما.

-٣٩-٤٤ وصلت أبنية جموع التكسير إلى ٢٩ بناء.

-٤٥ استعملت ١٨ من ٣٠ من مصادر الفعل الثلاثي المجرد.

-٥٥-٥٦ من مصادر الفعل الثلاثي المزيد: فِعّال -وهو كثير في اللهجة قليل في الفصحى-، ومنه: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ [النبأ:٢٨]، ومنه: حمال ونتاف ودوار ونفاخ وكثار.

-٥٧-٥٨ تِفِعّال نادر في الفصحى كثير في اللهجة ومنه: تنِمّار وتلِفّات وتلِطّام.

-٦٦-٦٧اللهجة تتمم المفعول من الأجوف: مكيول ومبيوع ومديون ومخيوط.

-٧٠استعملت اللهجة تسعة أوزان ينطبق عليها تعريف القدماء والمجمع اللغوي لأسماء الآلة.

-٨٧ افعَلّ غير مستعمل في الألوان، واستعمل مكانه فعَّل: بيّظ الله وجهك، سوَّد وحمَّر وزرَّق وخظَّر وصفَّر الزرع.

-٩٠ افعالّ وافعوعل وافعوّل وافعَنلل غير مستعملة.

-٩١-٩٣حروف المضارعة كلها مفتوحة، والمبدوء بهمزة يسبقه الباء مع تسهيل الهمزة للدلالة على الاستقبال مثل: بَسير وبَكتُب وبَفعل.

-٩٥ لا يحذف واو الفعل المثال في المضارع مثل: يَوعِد ويَوصِف، وفي الأمر لا يحذف بل يسبق بهمزة مثل: اوصف واوصل.

-٩٩ استعمال التصغير قليل في اللهجة وهي تفتح أول المصغر بدل الضم.

-١٠٦ ياء النسب لا تشدَّد، وهم ينسبون إلى المفرد والجمع أيضا.

- ١٣٨ ليس في اللهجة نون النسوة بل صيغة الذكور: يلعبون!

- ١٦٧ أدوات الاستفهام فيها: اين وفين ووين ومنين ومنوين للسؤال عن المكان، متى وأيحين للزمان، كيف للحال، من للشخص، وللسبب ايش وليش وعليش ووش ولَيه.

-١٧٧-١٨٥ أدوات الشرط: إن ومن وما ومهما ومتى وأي ولو ولولا وإذا. وتنفرد عن الفصحى- مثل لهجات سعودية ويمنية ومغربية-ب لا شرطية مثل: لا جيت سرت أنا ويَّاك. والرتبة حرة بين فعل الشرط وجوابه، أما الأداة فمتقدمة وجوبا.

-١٩٢ ليس في اللهجة للنفي غير الأداتين ما ولا.

-٢٠٢ قد للتوكيد تصاحب الأفعال والضمائر والأسماء.

-٢٠٦ في اللهجة ولَا عاطفة بمعنى أو، وإما للتخيير والإباحة، ويا للتخيير.

-٢١٥ أدوات الاستثناء محصورة في إلا وما بلا وما غير.

(٤)

بالنظر في كشاف الرسائل التي نوقشت في جامعة أم القرى وجدت عناوين عن ألفاظ زراعة النخيل وتربية الإبل قديما وحديثا، وهي غير منشورة، فاستنتجت - وقد أكون مخطئا-أن لا بد من انطلاقها من منطقة جغرافية محددة حسبما يقتضي منطق العلم، ثم يكون النظر في

التراث العربي الخاص بهذا النشاط البشري أو ذاك؛ للخروج بنتائج تعزز فرضيات البحث أو تعدل منها.

ولأنه لا يجوز الحكم على غائب سأتحدث عن رسالتي ماجستير أنجزتا في جامعة الملك خالد بإشرافي:

الرسالة الأولى:

«الألفاظ اليمانية في جمهرة اللغة لابن دريد(ت٣٢١هـ)، وامتدادها في الاستعمالات المعاصرة» للباحث حمد إبراهيم حسن الويني (١٦٩ص). أجيزت في ٢٤ربيع الثاني ١٤٣٨.

يدرس الباحث الألفاظ التي وصفها ابن دريد باليمانية، ويروم التحقق من أنها ليست من اختراعه كما زعم منافسوه، وهل لها وجود في عصرنا هذا في لهجات الجزيرة العربية؟ وإلى أي مدى حافظت على معانيها وبنيتها.

كان من الصعوبات عدم وجود دراسات مشابهة (ألفاظ مخصوصة ذات معان مخصوصة). فلجأ إلى عينة عمدية بلغت ٣٦فردا أغلبهم من المهتمين في السعودية وعمان واليمن والأردن، للتحقق من امتدادها. وعمد إلى استعمال (جوجل فورم) بثلاث استبانات؛ ليصل إلى أكبر قدر من القراء. وهي أول مرة يفعلها باحث لغوي عربي.

أهم نتائج الدراسة:

١. أحصت٢٥٤ لفظة يمانية في جمهرة ابن دريد، وليست٢٢٠ كما قال باحثون سابقون.

٢. تحققت من ٩٦وردت عند السابقين كالخليل والأصمعي وابن السكيت والشيباني وغيرهم، مما ينفي اختلاق ابن دريد لها.

٣. تحققت من امتداد١٤٠في المحكيات المعاصرة في مقابل١١٤لم يتحقق منها.

٤. تحققت من امتداد٦٢ لفظا في محكية عمان وحدها، في مقابل٧٨اشتركت فيها مع غيرها من المحكيات العربية.

٥. في محكية عمان مما لم يرد عند سابقي ابن دريد ٥٤لفظا.

٦. في العمانية المعاصرة وحدها وعند السابقين أيضا ٩كلمات.

٧. لم يكن ابن دريد يختلق الألفاظ ومعانيها بدليل وجود كثير منها عند السابقين له، وبقاء قسم كبير منها بمعانيها في المحكيات المعاصرة الممتدة من الجزيرة العربية حتى المغرب الأقصى.

من هذه الألفاظ: الربح بمعنى القرد، والعطب بمعنى القطن، والزعت بمعنى الخنق، والخصين بمعنى الفأس الصغير، والوجيل والماجل حفرة يستنقع فيها الماء، والشفدغة بمعنى الضفدعة، والطحر والطحار بمعنى النفس العالي من تعب، والفقحة راحة اليد، والحقم

الحمام أو نوع منه، والمشخلة المصفاة، والدفر الدفع، وموروود بمعنى المحموم... إلخ.

الرسالة الثانية:

«ألفاظ الزراعة والري في محافظة فيفاء في ضوء نظرية الحقول الدلالية» للباحث عيسى محمد سليمان الفيفي (١١٧ص). أجيزت أول شعبان١٤٣٨.

أول دراسة لألفاظ الزراعة والري في محافظة فيفاء في ضوء نظرية الحقول الدلالية، تقسم الألفاظ إلى حقول دلالية فرعية وتبين العلاقات بينها: اشتمال، تنافر، تقابل، علاقة جزء بكل، ترادف. اتبعت الرسالة المنهج الوصفي القائم على الدراسة الميدانية، بجمع الألفاظ من المزارعين أنفسهم (١٦من بينهم امرأة)، وكان للمنهج التاريخي الذي يقابل اللفظ بمثيله في معاجم الفصحى حضوره، ومن حين لآخر استعمل المنهج التقابلي بذكر ما يقابل الفيفية بمثيلاتها في اللهجات الأخرى.

استفاد الطالب من رسالة الباحث منير عبده علي أحمد «الألفاظ الزراعية في مناطق من محافظة تعز» دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب جامعة تعز٢٠١٤م، وأقر له بفضيلة السبق. (١٠١٣لفظا).

العمل -بعد المقدمة والتمهيد -في فصلين: الأول (ألفاظ الزراعة في محافظة فيفاء)٢٠-٧٨فيه أربعة مباحث: الحقل الدلالي لألفاظ المواسم الزراعية والأزمنة وأسماء المزارع، الحقل الدلالي لألفاظ الحرث والزراعة وأنواعها، الحقل الدلالي لألفاظ الزرع والنباتات (حبوب-غير الحبوب-نباتات موسمية- معمرة-عطرية)، حقل نمو الزرع وحصاده.

الفصل الثاني (ألفاظ الري في محافظة فيفاء)٩٠-٧٩ فيه ثلاثة مباحث: أدوات الري وأنواعها، ألفاظ المطر والمبشرات به، أسماء التربة وأنواعها مع المطر.

استعان الباحث بسبع وثلاثين صورة ملونة أغنت عن كثير من الكلام المكتوب، وأورد مسردا ألفبائيا بالألفاظ المدروسة (٣٣٥).

أهم النتائج التي خلص إليها:

١. الحقلان الرئيسان اثنان زراعة وري يتفرع منهما٢٢، ستة عشر في الزراعة وستة في الري.

٢. أبرز العلاقات الدلالية داخل كل حقل فرعي الاشتمال فالتنافر فالتقابل فالترادف فعلاقة الجزء بالكل، ولا وجود لعلاقة الاشتراك اللفظي.

٣. قسم من الألفاظ الفيفية موجود في المعاجم القديمة كالعين واللسان إما بلفظه أو بمعناه.

٤ . قسم من الألفاظ يطابق ألفاظ الزراعة في اليمن أكثر مما في صبيا المشتركة مع فيفاء في إمارة جيزان.

٥ . بعض الألفاظ موجود في المعجم السبئي، أي يعود إلى عام٦٠٠قبل الميلاد.

حول الضوابط المنهجية لتحديد معاني المفردات

قراءة في معاجم غريب الحديث

أ. عبدالقادر دلماجي[1].

الملخص

من القضايا التي احتفل بها المعجميون المحدثون، والتي يمكن أن نفيد منها في دراسة معاجم غريب الحديث ما يتصل بالضوابط المنهجية لتحديد معاني المفردات. وتكمن أهمية هذه الضوابط فيما تحققه من تسهيل للتعامل مع المعاني المعجمية، ومن تأثير مباشر في تحصيلها. والمعنى هو أهم مطلب لمستعمل المعجم. ومن هنا دعت الدراسات الحديثة إلى إعادة قراءة التراث المعجمي بهدف ترقيته وتطويره؛ ولعلّ من أبرز ما يمكن ترقيته وتطويره في قراءة معاجم غريب الحديث استثمار تلك الضوابط المنهجية التي وضعها المحدثون لتحديد معاني المفردات بما يسهم في تقديمها خالية من اللبس والغموض وقريبة إلى التناول والتحصيل، وبما يمكّن من إدراك مقاصد الخطاب الديني

(١) مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر العاصمة – الجزائر.

المتمثل في نصوص الحديث النبوي الشريف، وتنمية مهارات الاستعمال اللغوي – لدى متلقيها –على الوجوه الفصيحة والصحيحة. وفي هذه الورقة البحثية التي نود تقديمها نحاول أن نقدّم قراءة في معاجم غريب الحديث النبوي للبحث فيما يمكن أن تتضمنه من ضوابط منهجية لتحديد معاني المفردات في ظل مقاربتها مع ما جاء به المعجميون المحدثون.

Abstract

Among the issues that have been celebrated by lexical narrators, which can help us in the study of strange Hadiths dictionaries are those related to controls methodologies to determine the meanings of words. The importance of these methodologies resides in the fact that they facilitate the dealing with lexical meanings, and have a direct impact on their acquisition. The meaning is the most important requirement for the dictionary users. Hence, modern studies have called for the rereading of the lexicon heritage with a view to its promotion and development. Perhaps one of the most important things that can be promoted and developed in the reading of the strange vocabulary of modernity is the investment of these methodologies developed by modernists to define the meanings of the vocabulary, thus contributing to its presentation free of ambiguity and close to handling and collection. This will help to achieve the purposes of the religious discourse of the texts of the Prophet's Hadith, and the development of language skills to use – by the recipient – in a true and accurate manner. In this research paper, that we would like to submit, we try to present a vision regarding the dictionaries of strange Hadith to search what it may contain of methodologies of controls to determine the meanings of words in light of its approach with what lexical narrators say.

تمهيد:

ينطلق المعجميون في إعادة قراءتهم للمنجزات المعجمية القديمة من شعورهم «بوجود هوة عميقة تفصل بين النظريات اللغوية التي تتصل بدراسة المعنى، وظهرت حديثا، والتطبيقات المعجمية التي ما زالت حتى الآن تعتمد تقاليد قديمة العهد»(١)، وينضاف إلى ذلك إهمال الدراسات اللسانية الحديثة لدراسة المعجم لا سيما تلك التي آثرت إغفال المعنى مثل المدرسة البلومفيلدية، وكانت تنظر إلى المعجم على أنه ملحق للنحو والصوتيات، فاستهانت بقضايا المعجم؛ لأنها استثنت دراسة المعنى، واعتبرته من خصائص علم النفس والسلوك أو العلوم الوضعية(٢). ولكن مع ذلك ظهرت بعض الدراسات منذ الخمسينيات متأثرة بأعمال اللساني البريطاني فيرث، وأعطت الدلالة حيزا صغيرا، مثل محاولات هيل Hill، وغلسون Gleason، وهول Hall(٣)، ثم توالت بعد ذلك الدراسات المهتمة بقضايا الدلالة والمعجم، واستطاع كثير منها أن يسهم في إعانة المعجمي على هضم النظريات اللغوية

---

(١) صافية زفنكي، التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، ٢٠٠٧، ص٣٣.

(٢) ينظر: نفسه، ص٣٣-٣٤.

(٣) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص٢٥-٢٧.

لإنتاج معجمات أفضل[1]؛ وكان من ضمن إسهامات هؤلاء الدارسين وضع الضوابط المنهجية لتحديد معاني المفردات المعجمية وتقديم المزيد من التنظيم والبنية لمداخلها، وفيما يلي عرض تحليلي لبعض هذه الضوابط، مع التركيز على محاولة استثمارها في إعادة قراءة معاجم غريب الحديث:

١ - ترتيب المواد المعجمية:

يُعدُّ ترتيب المفردات من أهم الضوابط التي توسم بها الدراسات المعجمية قديما وحديثا والواقع أنه «لا تُعرَفُ أمة من الأمم في تاريخها القديم أو الحديث قد افتنّت في أشكال معاجمها، وفي طرق تبويبها وترتيبها كما فعل العرب. وقد تعدّدت طرق وضع المعجم العربي حتى كادت تستنفد كل الاحتمالات الممكنة»[2]، وقد عرفت معاجم غريب الحديث أشكالا مختلفة لترتيب مداخلها، فمنها:

١-١- المؤلفة على المسانيد، أي التي تعتمد على راوي الحديث بوصفه أساسا للترتيب في المعجم، وهي على نوعين:

---

(١) علي القاسمي، علم اللغة وصناع المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٢٩.

(٢) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨، ص١٧٥.

النوع الأول: المعاجم التي تُرتِّبُ الأحاديث داخل المعجم حسب الراوي، دون أن تراعي ترتيب الألفاظ، وأشهر المؤلفات على هذه الطريقة غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤ هـ).

النوع الثاني: المعاجم التي تُرتِّبُ الأحاديث داخل المعجم حسب الراوي، ولكن تراعي ترتيب الألفاظ الغريبة، وأشهر المؤلفات على هذه الطريقة، غريب الحديث لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي(ت ٢٨٥ هـ).

١-٢- والمؤلفة على حروف المعجم: وهي التي لا تعتمد الأسانيد أساسا في الترتيب، وإنما ترتِّب الألفاظ الغريبة في الحديث وفق حروف المعجم، أشهرها كتاب الغريبين: لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١ هـ)، الذي يُعتبر الإمام في التأليف على هذه الطريقة؛ حيث يجعل لكل حرف بابا، وكل باب يفتحه بالحرف الذي يكون أوله همزة، ثم الباء، ثم التاء وهكذا.

ومما يلاحظ في معاجم غريب الحديث التي ترتب الألفاظ وفق حروف المعجم سهولة الوصول إلى الألفاظ، غير أنّ مادة الغريب في الحديث الواحد متعددة، فالمراجِع قد يجهلها فيضطر للبحث عن معانيها في مواضعها، مما يصعب عليه إدراك المعنى الإجمالي للحديث النبوي الشريف، كما توجد ألفاظ كثيرة في بعض مواد المعجم، بينما

تقل في مواد أخرى، وفي هذا ضياع للتنسيق والتجانس الذي يتطلبه المنهج المعرفي.

١-٣- ومنها المرتبة على حسب أبواب الفقه وهو ترتيب يوافق ما يُعرف عند المحدثين بالحقول الدلالية، والحقل هو التنظيم الذي يمكن أن تدرج فيه كلمات اللغة؛ ليمكن فهمها على نحو دقيق؛ إذ إننا لا نستطيع أن نفهم معنى تعبير مفرد بمعزل عما يقابله من المعاني المترادفة معه أو المتجانسة أو المتضادة..[١]. وأشهر المعاجم المعتمدة لهذا الترتيب معجم جُمل الغرائب، لنجم الدين أبي القاسم محمد بن الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي المعروف بـ (بيان الحق)، «وهذا الكتاب مخطوط، وهو مرتب على أبواب الفقه»[٢].

وبلوغ هذا النوع من الترتيب يدلّ على المستوى الفكري الذي بلغه العقل العربي، ومدى إدراكه لمفهوم الحقول الدلالية في المحافظة على المعاني التي تكتسبها كل مفردة من خلال علاقاتها بالمفردات الأخرى؛ لأن الوصول إلى المعنى الحقيقي لأي وحدة من وحدات اللغة لا يحصل إلا بجعل المفردة داخل مجالها الدلالي الذي تنتمي إليه،

(١) ينظر: عبد العزيز عبد الدايم، جهات النظرية المعجمية في التراث العربي، في مجلة الدراسات المعجمية، الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، العدد ٦، ذو الحجة- محرم ١٤٢٨/ يناير ٢٠٠٧، ص٢٦٥.

(٢) علي بن عمر بن محمد السّحيباني، التأويل في غريب الحديث من خلال النهاية لابن الأثير، مكتبة الرشد- ناشرون- الرياض، ط١، ٢٠٠٩م، ص١١٣.

وتؤكد نظرية الحقول الدلالية أن هناك ارتباطا بين دلالة الكلمة ومجموع دلالات الكلمات المتصلة بها؛ لذا ينبغي - لفهم دلالة الكلمة - دراسة العلاقات الدلالية بين المفردات داخل الحقل الدلالي، أو كما قال Lyons : «يجب دراسة العلاقات بين المفردات داخل الحقل أو الموضوع الفرعي؛ ولهذا يعرّف Lyons معنى الكلمة بأنه محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي، وتهدف هذه النظرية إلى جمع كل الكلمات التي تخصّ حقلا معينا، والكشف عن صلاتها الواحدة منها بالأخرى وصلاتها بالمصطلح العام»(١).

ولقد وُفِّق النيسابوري في اختياره هذا النوع من الترتيب؛ لأن الترتيب اللفظي على حروف المعجم أو الترتيب المعجمي لا يناسب غريب الحديث في ضبط معانيه التي تكون دوما هي الإشكال بسبب خفاء المراد من الحديث، ولأن الإشكال لا يكون في اللفظة الواحدة خارج مجالها بل في معاني الكلام والجمل لمتن الحديث؛ لذلك كان الترتيب وفق أبواب الفقه أو ما يعرف بالترتيب الموضوعي هو الترتيب الأسلم لجمع غريب الحديث، كما يعدُّ أفضل من الترتيب حسب المسانيد؛ لأن الترتيب حسب المسانيد فيه عسر وصعوبة للوصول إلى غريب الحديث؛ إذْ يتطلب من الباحث معرفةً بسند الحديث الذي لا علاقة له

---

(١) رجب عبد الجواد إبراهيم، ألفاظ الحضارة في القرن ٤هـ، دراسة في ضوء مروج الذهب للمسعودي، دار الآفاق العربية ط١ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م ص٢٦ وما بعدها.

بمحل الحديث ومتنه، ثم إن الغرابة والإشكال يتعلقان بمتن الحديث، وهو مادّة الترتيب الموضوعي الذي ينظر إلى موضوع نص الحديث نفسه.

٢- التحقيب:

«ويكون التحقيب بتحديد الدلالة المعجمية للمفردة من خلال استعمالاتها في كلام العرب وقتئذٍ، وما طرأ على المفردة المَعنية وقتَ النبوة»[١]. ومن هنا فإن تناول ضابط التحقيب في دراسة معاجم غريب الحديث يعني دراسة معاني ألفاظها الغريبة في ظل تأثيرات الواقع الحضاري والديني الجديد الذي أنتجها بما يخالف معهود العرب في تلك الحقبة. واللافت للنظر أن معاجم غريب الحديث النبوي قد راعت هذا الضابط أيما مراعاة، لا سيما وأن غرابة ألفاظه تأتي من كون دلالاتها مخالفة لما عرفته العرب في تلك الحقبة. ولأنّ الإسلام جاء بمنظومة فكرية وثقافية جديدة، تختلف تماما عما كان العرب عليه في جاهليتهم، وضع أهل العلم شروطا لشرح غريب الحديث، فمنها لزوم الاطلاع على أكثر استعمالات ألفاظ الشارع حقيقة ومجازا، قال السخاوي : «لا يجوز حمل الألفاظ الغريبة من الشارع على ما وُجد في أصل كلام العرب، فلا بد من تتبع كلام الشارع، والمعرفة بأنه ليس مُراد الشارع من

(١) انظر محمد الأوراغي، لسان حضارة القرآن، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط١ ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م ص٢١٤ وما بعدها.

هذه الألفاظ، إلا ما في لغة العرب، وأما إذا وُجد في كلام الشارع قرائن بأن مُراده من هذه الألفاظ معان اخترعها، فهو يُحمل عليها، ولا يُحمل على الموضوعات اللغوية، وهذا هو الذي يسمى عند الأصوليين بالحقيقة الشرعية»(١)، ويشير ابن تيمية إلى أن عادة المتكلم، وكذا عادة المستمع لهما تأثير على معنى اللفظ، وذلك في قوله بأن كل لفظ هو: «مقيد مقرون بغيره، ومتكلمٍ قد عرفت عادته، ومستمعٍ قد عرف عادة المتكلم بذلك اللفظ، فهذه القيود لا بد منها في كل كلام يُفهم معناه، فلا يكون اللفظ مطلقا»(٢).

والألفاظ اللغوية التي حُمّلت معاني جديدة في الحقبة الإسلامية الجديدة كثيرة، حتى إنها سُمّيت هذه الألفاظ بالألفاظ الإسلامية؛ «وهي تلك الكلمات التي استحدثها القرآن الكريم، أو جاءت في الحديث النبوي الشريف، وتلك الكلمات التي عرفت العرب أصولها وموادها إلا أن الإسلام قد خلع عليها دلالات جديدة ذاعت وانتشرت وتُنوسيت معها دلالاتها الجاهلية»(٣).

---

(١) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، فتح المغيث، (تح عبد الكريم الخضير ومحمد آل فهيد)، دار المناهج، جدة، ١٤٢٦هـ، ج٣ ص٥٣.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ، ج٢٠، ص٤١٥.

(٣) ينظر: محمد رياض العشيري، التصور اللغوي عند الإسماعلية. دراسة في كتاب الزينة، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٨٣م ص٣٠٠.

من بين هذه الألفاظ الإسلامية نذكر لفظة «الوضوء» التي وردت في بعض الأحاديث النبوية الشريفة؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»، وكان من معانيها اللغوية: الحسن والنظافة، ولكن السياقات النبوية خصّصت دلالتها على نوع من الطهارة، وبهذا يتبين أن الألفاظ الإسلامية ما هي إلا ألفاظ عربية قديمة حمّلها الشارع معاني جديدة؛ لأن من طبيعة اللغة أنها تتأثر وتتفاعل مع جميع مناحي الحياة: الاجتماعي منها، والثقافي، والاقتصادي، والفني، والسياسي، ولأن «الواقع الحضاري محمولٌ بمتغيِّره المتجدّدِ وبثابته المتأبِّدِ في مفردات اللغة»[1].

والرسول عليه الصلاة والسلام وهو يرسم ملامح المجتمع الإسلامي الجديد، كان ينقل من معجم العربية ألفاظا كانت لها دلالات تواضع عليها القوم في حقبة سابقة فيضع لها معاني جديدة متولدة من المنهج الفكري الجديد، والأمثلة في معاجم غريب الحديث كثيرة، نذكر منها: لفظ «المفلس» الذي كان في الجاهلية يُستعمل للدلالة على

(١) محمد الأوراغي، لسان حضارة القرآن، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ص٢١٤.

شخص معدم لا متاع له ولا مال، بدليل قول الشاعر الجاهلي أبي قُلابة الهذلي(١):

يا حِبُّ، ما حُبُّ القَبول وحبُّها   فَلَسٌ فلا يُنْصِبْكَ حُبٌّ مُفْلِسٌ

وكذلك رد الصحابة حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم: أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

ولكن في التصور الإسلامي الجديد أي في حقبة أول ظهور للإسلام استمد لفظ «المفلس» معناه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «المُفْلِسُ مِنْ أُمّتِي يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَة بِصَلَاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ ويأتي قدْ شَتَمَ هَذَا وقَذَفَ هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقْضَى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النّار»(٢).

فعدم ربط مفردة (المفلس) بحقله الفكري في زمنه المحدد يجعل منه لفظا ملتبسَ الدلالة، والالتباس الدلالي يحول دون الفهم السليم للعبارة.

ومن الألفاظ التي استمدت دلالتها من الوضع الفكري الجديد من خلال التوجيه المعنوي الذي أثبته لها، بدقة، الرسول صلى الله عليه

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، مادة فلس.

(٢) رواه مسلم.

وسلم: لفظ «الهرْج» ولفظ «الوهن»، وهذا من خلال هذين الحديثين التاليين:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشحُّ، وتظهر الفتن، ويكثر **الهَرْجُ** قالوا: يا رسول الله أيّمَ هو؟ **قال القتل**». رواه الأربعة[1].

- وعن ثوبان رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلّة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوّكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله في قلوبكم **الوهْن**، فقال قائل: يا رسول الله **وما الوهنُ**؟ قال **حب الدنيا وكراهية الموت**». رواه أبو داود[2].

فهذا الشرح المعجمي الذي قدّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذين اللفظين «**الهَرْج**»، و«**الوهن**» لا نجده مدرجا في كثير من المعاجم اللغوية، ففي أساس البلاغة للزمخشري مثلا يشرح «**و هـ ن**» كالآتي: «– فيه وهْنٌ ووَهَنٌ، وقد وَهَنَ يَهِنُ ووَهِنَ يَوْهَنُ. قال أبو زيد سمعت من

(١) منصور علي ناصف، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، دار الجيل، بيروت، (د ت)، ج٥ ص٤٢.

(٢) نفسه، ص٢٩٤.

الأعراب من يقرأ: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وتوهّنَ، وأوهنتُه ووهّنتُه. قال الجعديّ:

تَـــوَهَّنَ فيـــه المضـــرحيَّةُ بعْـــدما   رَوِينَ نجيعًا من دم الجوفِ أحمرا

أي تضعُف عن النهوض لامتلاء أجوافها. وإنه لشديد الواهنتيْن وهما قُصَيْرَيَاه. وأتيته وَهْنًا ومَوهِنا: بعد ساعة من الليل. وأَوهَنَ القومُ سروا فيه»[1].

ومن ثم نقول إن تحديد الدلالة المعجمية للمفردة في معاجم غريب الحديث يجب أن يتم من خلال النظر في دلالة المفردة في استعمالاتها في كلام العرب وقتئذٍ، ثم ما طرأ على هذه المفردة من تغير في المعنى بحسب ما رافقها من توجيه نبوي، ولا يكون هذا إلا بالوقوف على الشواهد الشعرية والنثرية والأحاديث النبوية التي قيلت في نفس الحقبة، وإذا تبين بعد النظر في الشواهد اطّراد الدلالة لنفس الوحدة المعجمية مع القرائن السياقية نفسها على المعنى نفسه «وجب حفظ ذلك وتحفيظه؛ بحيث لا يقرن بمفردة في معجم الحديث إلّا المعنى الذي قام الدليل على وروده وعلى نبوّ غيره»[2].

---

(١) الزمخشري، أساس البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط١ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٨٤٠.

(٢) محمد الأوراغي، لسان حضارة القرآن، المرجع السابق، ص٢١٨.

٣- التسييق:

المراد من هذا الضابط توجيه معاني المفردات بردّها إلى سياقاتها الاجتماعية؛ لأن المعنى المعجمي ليس مقصورا عن المعنى اللغوي، وليس هو كل شيء في إدراك المراد من دلالات الألفاظ النبوية، فالألفاظ تتغير دلالاتها من عصر إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى؛ لأن هناك علاقة وطيدة بين اللغة والمجتمع، فقد عدّ فيرث الإنسان إنما «يخاطب غيره ضمن مواقف اجتماعية معينة، تحدد الأسلوب الذي عليه أن يعتمده ونوعية الكلمات التي عليه اختيارها. وبالتحديد فثمة إطار اجتماعي تستعمل اللغة ضمنه، فتتأثر بمعطياته وتتكيف مع عناصره»[(١)].

بذل علماء الحديث جهودا عظيمة لوضع قواعد وشروط تضبط التعامل مع النص النبوي الشريف؛ لأن النص النبوي ليس كلاما عاديا، إنما هو «كلام مشحون بمعان خاصة مقدسة»[(٢)]، بحيث يستدعي الوقوف على المعاني التي قصدها الرسول عليه الصلاة والسلام، ومن بين هذه الضوابط التي يجب مراعاتها لتحديد المعاني النظر في مدلولات

---

(١) ليلى شريفي، دور السياق في تحديد الدلالات في تفسير الرازي سورتا البقرة ويوسف نموذجا، رسالة ماجستير، ٢٠٠٣،٢٠٠٢، ص٥٦.

(٢) السريري مولود منهج الأصوليين في بحث الدلالة اللفظية الوضعية، طبع طوب بريس الرباط ٢٠٠٠م ط١ ص٤٠

ألفاظ الحديث ضمن سياقها الاجتماعي؛ لأن مدلولات الألفاظ النبوية في كثير من الأحيان تكون متعلقة بالوضع الاجتماعي لتلك الفترة، ولأن الألفاظ دلالاتها قد تتغير من عصر لآخر ومن بيئة إلى أخرى، فقد يصطلح الناس على ألفاظ للدلالة على معان معينة، هي خاصة بعصر معين، فتُحمل هذه المصطلحات الجديدة على «ما جاء في السنة من ألفاظ... وهنا يحدث الخلل»[(١)]، ويحصل الفهم الخاطئ لمدلول الألفاظ النبوية. فألفاظ كثيرة تم التواضع على مدلولاتها في حقبة معينة قد تكون خاصة بمجالات محددة، ثم تغيرت بفعل التغير الحاصل في الزمان أو في المكان أو في النسق الاجتماعي للإنسان حتى يُحدث هذا التغير هوة كبيرة بين «المدلول الشرعي الأصلي للفظ، والمدلول العرفي أو الاصطلاحي الحادث المتأخر، وهنا ينشأ الغلط وسوء الفهم غير المقصود، كما ينشأ الانحراف والتحريف المتعمد»[(٢)]؛ ولهذا حذر علماء الأمة من أن نُسقط الألفاظ الشرعية على المصطلحات المستحدثة على مر الزمان. ومن الأمثلة التي نسوقها لتوضيح ذلك، ورود بعض النصوص النبوية على عُرف قد تغير مثل:

(١) يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، دار الوفاء المنصورة، ط٦ ١٩٩٣م ١٤١٤هـ، ص ١٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٨٠.

حديث «الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة»[1].

يتضمن هذا الحديث لغة حضارية عالية؛ حيث يلفت نظر الناس آنذاك إلى المعايير والمقاييس التي يجب عليهم اعتمادها في بيعهم وشرائهم وسائر معاملاتهم ومبادلاتهم؛ لأنها أدق وحدات القياس التي كانت متداولة بين الناس في ذلك العصر، هذا ما يجب أن يستخلص من الحديث إذا نحن قرأناه ضمن سياقه الاجتماعي الذي قيل فيه، بأن: «تعيين الحديث الشريف ميزان أهل مكة، ومكيال أهل المدينة، هو من باب الوسائل القابلة للتغيير بتغير الزمان والمكان والحال، وهو ليس أمرا تعبديا يوقف عنده ولا يتجاوز»[2]؛ ومن ثمّ ليس على المسلم الآن من حرج في استخدام المقاييس العشرية من الكيلو غرام وأجزائه ومضاعفاته في معاملاته التجارية لما فيها من دقة وسرعة وسهولة في الحساب، وهذا هو القصد من الخطاب النبوي الشريف، ومفاده الأخذ بأدق ما يتوصل إليه البشر من الوسائل في عصرهم، وليس الوقوف عند ظاهر نص الحديث دون مراعاة الزمان والمكان والحال الاجتماعي الذي قيل فيه الحديث.

---

(١) رواه أبو داود في البيوع (٣٣٤٠).

(٢) يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص١٤٤.

من هنا نقول إن التأويل الحرفي للحديث النبوي، والوقوف عند المعاني السطحية لألفاظه دون مراعاة المفاهيم الاجتماعية الجديدة التي أرادها النبي صلى الله عليه وسلم، كان دائما مضرا، كما قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «إن ما عانت منه الأمة الإسلامية على مرّ التاريخ من الفهم الخاطئ والتأويل الفاسد للحديث والسنة، لم تعانه من آلاف الأحاديث الموضوعة المختلفة»(١).

٤- مراعاة ما يناسب المفردة من طرق الشرح والتعريف:

اعتمد المحدثون طرقا عديدة ومتنوعة في شرح المفردات المعجمية وتعريفها؛ كالشرح الوظيفي، والشرح الشكلي، والشرح التشبيهي، والشرح الاشتمالي. وقد لاحظنا في كثير من معاجم غريب الحديث تناولا لشرح المفردات وفق هذه الآليات مع بعض الاختلاف والتباين في زوايا النظر ومنهجيات التناول فيما بينها وبين معاجم المحدثين.

٤-١- التعريف الوظيفي:

«التعريف الوظيفي يعرّف الشيء باستخدامه، أو بوظيفته التي يؤديها؛ وعلى هذا فالكتاب: ما نقرأه، والصندوق: ما نضع فيه

(١) محمد الغزالي، فقه السيرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩، المقدمة.

الأشياء»[1]، وهذا النوع من التعريف يعطينا فكرة عن الأشياء التي كانت تستعمل آنذاك، كما ترسم لنا صورة عن العادات، والتقاليد والمستوى الحضاري للجيل النبوي، «فاللغة هي أقوى الأدلة عند استقصاء الملامح الخاصة لمجتمع من المجتمعات، ويكفينا أن نقرأ قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾[2]، حتى ندرك مدى ارتباط معاني الكلمات العربية بالعادات العربية السائدة في زمانها.

فاللغة إذن من العوامل التي تتميز بها المجتمعات»[3]، فكل ما ذُكر من أشياء أو أحداث في معاجم غريب الحديث يعتبر أساسا لكل أنواع النشاطات الثقافية والحضارية للمجتمع النبوي، وجميل أن نجد هذا النوع من التعريف في شروح معاجم غريب الحديث، مثل شرح ما ذكر في هذا الحديث: «لا خزام ولا زمام في الإسلام»، يقول ابن الأثير في شرحه: «الخزام جمع خزامة، وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي مَنْخَري البعير، كانت بنو إسرائيل تخرم أنوفها وتخرق تراقيها ونحو ذلك من أنواع التعذيب، فوضعه الله عن هذه الأمة»[4]. وفي هذا ما يعطينا

---

(١) صافية زفنكي، التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، ص٢٧١.

(٢) سورة المائدة رقم الآية ١٠٣.

(٣) رجب عبد الجواد، ألفاظ الحضارة في ق ٤هـ، ص٣٧.

(٤) ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر تح طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية بيروت ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م، ص٢٩.

نظرة عن عقائد هذه الأمة واتجاهاتها الفكرية ومستوى ثقافتها، «ونظرتها إلى الحياة وشؤونها الاجتماعية العامة، فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في أداة التعبير؛ ولذلك تعدُّ اللغة أصدق سجل لتاريخ الشعوب»[1].

٤-٢- التعريف الشكلي:

ويسمى كذلك الشرح الحسي أو التعريف الحسي؛ لأنه يشير في تعريفه إلى خصائص الأشياء المدركة حسيا مثل الأشكال والأحجام والألوان[2].

وهذا النوع من التعريف نجده كثيرا في شرح مفردات معاجم غريب الحديث، ويعدّ هذا مما يدلّ على التميز في الهوية العلمية عند علمائنا القدامى، وعلى العناية والاهتمام بقضية الصناعة المعجمية قبل غيرهم من الأمم، والمثال الذي سنذكره ورد فيه الشرح الشكلي مع الشرح الوظيفي متداخلين؛ يقول ابن الأثير في شرح هذا الحديث: «كان في يده مِدْرًى يحك به رأسه»[3] المِدْرى والمِدْرَاة: شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطوَل منه يُسرّح به الشعر المتلبد، ويستعمله من لا مشط له.

(١) رجب عبد الجواد، ألفاظ الحضارة في ق ٤هـ، ص٣٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص٤٥.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص١١٥.

٤-٣- التعريف التشبيهي:

ويكون التعريف فيه باستخدام القياس أو التنظير كأن يشبه شيئا بشيء مثل تعريف اللون الأحمر بقولنا ما كان لونه كالدم أو بقولنا: الملعقة تشبه السكينة والشوكة، هكذا..[١].

وقد وقفنا على هذا النوع من التعريف في معاجم غريب الحديث، وفي الشاهد التالي المأخوذ من معجم «النهاية في غريب الحديث» توضيحٌ لذلك:

«من تَحَلّى ذَهَبًا أو حلّى ولده مثل خَرْبَصِيصَة»، يقول ابن الأثير في شرحه: «هي الهَنَة التي تُتَراءَى في الرمل لها بَصِيصٌ كأنها عين الجرادة»[٢].

٤-٤- التعريف الاشتمالي:

يستند هذا النوع من التعريف إلى مفهوم الاشتمال «الذي يعدُّ من أهم العلاقات داخل الحقل المعجمي، ويضم علاقة الاشتمال أو التضمين، وعلاقة الكل بالجزء، وهذا يقتضي إيجاد الكلمة الغطاء أو اللفظ الأعم»[٣]. وهذا التعريف يتطلب ذكر قائمة من التصورات التي

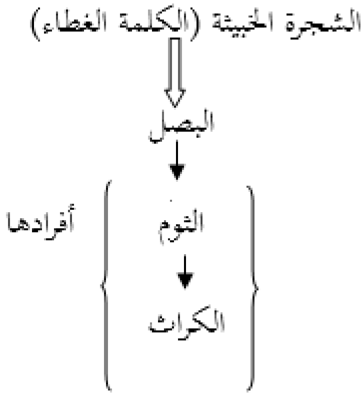
(١) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص٤٥.

(٢) نفسه، ج٢ ص١٩

(٣) أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، مصر، ١٩٩٨م، ص١٢٧.

يقع تحتها اللفظ المشروح، مثل تعريف المركبة الآلية بذكر أفرادها (سيارة، حافلة، شاحنة، وغيرها)، وقد وجدنا هذا النوع من التعريف في معاجم غريب الحديث، وإليكم المثال الآتي:

الحديث: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربنّ مسجدنا»، يقول ابن الأثير في شرح الشجرة الخبيثة: «يريد البصل والثوم والكراث، خبثها من جهة كراهة طعمها وريحها»[1].



ويستعمل هذا التعريف كثيرا في معجمات المصطلحات وكذلك في المعجمات الفنية.

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٥.

الخاتمة:

وبعد عرضنا لمجموعة من الضوابط المنهجية لتحديد معاني المفردات، ومقاربتها لما قدمه أصحاب معاجم غريب الحديث في شرح المفردات وترتيبها يمكننا القول إن علم غريب الحديث لا يرجع إلى كونه معجما يتوقف على مجرد الشرح والترتيب للألفاظ الغريبة فحسب، وإنما هو، إلى جانب ذلك، علم قائم على أسس منهجية دقيقة في ترتيب ألفاظ الحديث، وتحديد دلالاتها وترتيبها. وتكمن أهمية هذه الأسس في أنها كفيلة بأن تجعل من علم غريب الحديث مصدرا ثريا للمعرفة الإنسانية والاجتماعية بكل أنواعها، وليس للمعرفة الفقهيّة وحدها. وبيان وجاهة هذه الأسس، والكشف عن قيمة هذا الثراء المعرفي لا يتأتى إلا بالاستفادة من المناهج العلمية التي تمارسها المعجمية الحديثة في صناعة المعاجم.

ومما ينبغي التنويه به وتوجيه الهمم إليه الحرصُ على النظر إلى المعجم النبوي ضمن سياقاته المختلفة؛ لأنه يختلف تماما عن المعجم اللغوي، وإن كان كلاهما يستمد مادّته من اللغة، فإن المعجم النبوي يتجاوز المعنى المعجمي للكلمة؛ حيث يُخرجها عن دلالتها الأصلية السائدة إلى دلالات أخرى قد تكون مستمدة من جذرها اللغوي أو بعيدة عنه قليلا، فالألفاظ في السياق النبوي لها معان خاصة، قد تستمد دلالتها أحيانا من سياقات الزمان والمكان والوضع الاجتماعي؛ لذا

يستوجب علينا إعادة قراءة معاجم غريب الحديث بالمعطيات العلمية الحديثة لنقف على الطاقة الإيحائية النبوية وقدراتها الإعجازية في توظيف اللغة والتأثير فيها، فالاهتمام بالمعجم وما يتصل بترقية صناعته وتطويره يعدّ موضوعا مُهما في كل اللغات الحية، لكونه مفتاح العلوم، ومن دونه يتعذر الوصول إلى الدلالات اللغوية، والدلالات المصطلحية، ومن دونه أيضا تكون اللغة غير قادرة على أداء وظائفها.

ومن هنا تبرز أهمية الدراسات المعجمية الحديثة في التعامل مع هذا الرصيد اللغوي النبوي وفي كيفية معالجة مفاهيمه وتصوراته بشكل يخدم عقل المسلم الحاضر ثقافيا وحضاريا، ويستطيع من خلاله، أن يبعث الأمة من جديد. ثم إن الرصيد الفكري النبوي الكامن ضمن خطابه اللغوي في حاجة إلى قراءة جديدة، تجلّي الحقائق، وتزيل الغموض، وتصحِّح المفاهيم، وتردّ على الشبهات والأباطيل.

لقد حاولنا، في هذه الورقة البحثية، توجيه النظر نحو نوع خاص من المعاجم، هي معاجم غريب الحديث، بغية معرفة مدى قدرتها في إغناء الرصيد اللغوي، سواء بإضافة مفردات جديدة، أو بإضافة معان جديدة لم تعرفها العرب من قبل، مما يستدعي التعامل بشيء من الخصوصية مع هذا النوع من المعاجم؛ لأنها معاجم متخصصة، تُعالج توجيها معرفيا خاصا في النشاط النبوي، وهو ما يتمثل في ضبط دلالات غريب كلامه عليه الصلاة والسلام وتحديدها؛ لذلك يجب مراعاة هذه

الخصوصية، في نصوصه وسياقاته، وكذلك في ألفاظه، ومعانيه، فهو خطاب معجز. هذا من جهة ومن جهة أخرى تبدو مستويات الاستعمال للمعجم النبوي مختلفة، كما أن قدرات الناس وأفهامهم مختلفة، فلكل مستوى رصيده اللغوي والمعجمي الذي يتباين كثيرا أو قليلا عن غيره من المستويات. فقد ذهب بعضهم إلى ضرورة أن يحدد المعجمي مستوى اللفظ ودرجته في الاستعمال، ضمن إطار معين، يصف التنوع اللغوي، ويحدد مستواه.

وفي الأخير نستطيع القول إن معاجم غريب الحديث، هي معاجم معانٍ؛ لأنها تهتم بموضوع واحد وهو غريب ألفاظ الحديث، هذا عموما إذا أردنا أن نصنفها، ولكن إذا نظرنا إلى تبويب مادتها من الداخل فإننا نجدها لا تختلف كثيرا عن المعاجم اللغوية الأخرى من حيث المناهج المتبعة في الترتيب والتبويب، ولم تنهج منهج الموضوعات في الترتيب على الرغم من أنه هو السابق في الظهور، ماعدا كتاب نجم الدين أبي القاسم محمد بن الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي المعروف بـ(بيان الحق). وخلاصة القول أن مؤلفي غريب الحديث أهملوا هذا النوع من الترتيب، أي الترتيب حسب المعاني الذي نحسبه الأسهل في تناول مادته لطالب العلم.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**، برواية ورش.

- **إبراهيم، رجب عبد الجواد**، ألفاظ الحضارة في القرن٤هـ. دراسة في ضوء مروج الذهب للمسعودي، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤٦٣هـ ٢٠٠٣م.

- **ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات**، النهاية في غريب الحديث، (تح طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي)، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.

- **الأوراغي، محمد**، لسان حضارة القرآن، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط١، ١٤٣١هـ/ ـ ٢٠١٠م.

- **البخاري، أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم**، صحيح البخاري، ألفا للنشر والتوزيع الجيزة، مصر، ط٢ ٢٠١١م.

- **ابن تيمية**، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ.

- **زفنكي، صافية**، التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق – سوريا، ٢٠٠٧.

- **الزمخشري،** أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، أساس البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط١ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

- **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن،** فتح المغيث، تح عبد الكريم الخضير ومحمد آل فهيد، دار المناهج جدة، ١٤٢٦هـ.

- **السّحيباني، علي بن عمر،** التأويل في غريب الحديث من خلال النهاية لابن الأثير، مكتبة الرشد-ناشرون-الرياض، ط١، ٢٠٠٩م.

- **السريري، مولود،** منهج الأصوليين في بحث الدلالة اللفظية الوضعية، طبع طوب بريس، الرباط، ط١، ٢٠٠٠ م.

- **شريفي، ليلى،** دور السياق في تحديد الدلالات في تفسير الرازي، سورتا البقرة ويوسف نموذجا، رسالة ماجستير، (مخطوط) جامعة الجزائر، ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣م.

- عبد الدايم محمد عبد العزيز، جهات النظرية المعجمية في التراث العربي، في مجلة الدراسات المعجمية، الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، العدد٦، ذو الحجة- محرم ١٤٢٨/ يناير٢٠٠٧.

- **العشيري، محمد رياض،** التصور اللغوي عند الإسماعلية دراسة في كتاب الزينة، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٨٣م.

- **عمر، أحمد مختار،** صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، مصر، ١٩٩٨م.

- **عمر، أحمد مختار**، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٩٢.

- **عمر، أحمد مختار**، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨.

- **الغزالي، محمد**، فقه السيرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩.

- **القاسمي، علي**، علم اللغة وصناعة المعجم الحديث، جامعة الرياض، ١٩٧٥.

- **القرضاوي، يوسف**، كيف نتعامل مع السنة النبوية، دار الوفاء المنصورة، ط٦، ١٩٩٣م/ ١٤١٤هـ.

- **مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري**، صحيح مسلم، (ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي)، شركة مكتبة ألفا، الجيزة مصر، ط١ ٢٠٠٨م.

- **ابن منظور**، لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، (د.ت).

- **ناصف، منصور علي**، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

التحكيم العلمي: المشكلات والحلول

أ. د. إبراهيم الشمسان[١].

للتحكيم العلمي أربعة أركان: الأول (المحكِّم) أي الجهة الطالبة الحكم كالمجلة المحكِّمة التي تنشر البحوث العلميّة، والمجالس العلمية التي تنظر في بحوث الترقية أو في الكتب التي يراد نشرها، والأقسام العلمية التي تناقش فيها الرسائل العلمية، والثاني (الموضوع) أي البحث أو الكتاب الذي يراد نشره، والأبحاث المقدمة للترقية والرسائل المقدمة للأقسام العلمية استكمالًا لدرجتي الماجستير والدكتوراه. والثالث (المحكَّم) وهو من كلّف الحكم على بحث أو كتاب يراد نشره أو الحكم على كفاية البحوث المقدمة للترقية أو سلامة الرسالة العلمية وأصالتها وتحقيقها أهدافها. والرابع (الحكْم) الذي يصدره المحكَّم.

أولًا) مشكلات المحكِّم (طالب الحكم):

١ -عدم اختيار المحكَّم الملائم للموضوع.

(١) أستاذ غير متفرغ في جامعة الملك سعود، عضو مجمع اللغة العربية في مكة المكرمة.

موضوعات البحوث المقدمة للنشر أو للترقية وكذلك موضوعات الرسائل العلمية هي موضوعات جزئية ليست عامة في الغالب؛ ولذا يحسن أن يوكل أمرها إلى من له علاقة بموضوعها أو قريب من موضوعها ويهتدى لمعرفة ذلك بمراجعة السيرة الذاتية للمحكَّم؛ ولكن الاستعجال أو الغفلة أو قلة التوفيق ربما أدت إلى تكليف من هو بعيد بعض البعد عن الموضوع بل ربما العلم الذي ينتمي إليه الموضوع نفسه، كأن يكلف من لا علم له بالمخطوطات وما عرف عنه أنّه حقّق مخطوطًا، وأنا كلفت مناقشة رسالتين في التحقيق ولا أظن من كلفني يعلم أنّي ما حققت عملًا واحدًا، وربما يكون العذر أن الرسالة (دراسة وتحقيق)، وأما قبولي المناقشة فلأني درست شيئًا من أصول التحقيق عند حسين نصار في جامعة القاهرة، وكذلك رفض مجمع الملك فهد لطباعة المصحف نشر كتابي (الفعل في القرآن الكريم) لأنه عرض على مفسرين.

وترد إليّ أحيانًا تكاليف للحكم على أعمال أدبية أو لسانية حديثة، وهذا يدل على أن من أرسلها لا يعرف تخصصي الدقيق.

ولعل أمر الدقة في الاختيار هو ما يجعل بعض المشرفين على الرسائل يقترح أسماء محددة؛ لأنه ربما عرف أن موضوع الرسالة له علاقة بأعمالهم، وهذا ما كان زميلُنا أ.د. فالح بن شبيب العجمي يحرص عليه، فهو يبين علة اختيار الشخص لمناقشة رسالة من

الرسائل. ولكن المشكلة أنّ بعض المشرفين يقترح أسماء من يتوسم فيهم الرفق بطالبه ومجاملته في الوصول إلى نتيجة مرضية؛ ولذلك ربما اشترطت بعض الأقسام العلمية أن يتجنب الأستاذ تعيين أعضاء لجنة المناقشة، وأرى أن في الوسطية خيرًا، وذلك بأن يمكن المشرف من تسمية أعضاء اللجنة على أن يبين ما أمكن علة اختياره وصلة الأسماء المقترحة بموضوع الرسالة، ولمجلس القسم قبول الأسماء أو تغييرها.

٢-عدم التنبه لاختلاف المدة المحددة للحكم وفاق كل بحث:

ليس ما يعرض على المحكَّمين سواء في كمّه أو كيفه، فثمة فرق بين بحث في خمسين صفحة وكتاب في ٥٠٠ صفحة، ومع ذلك ربما حددت جهة التكليف مدة شهر من تاريخ التكليف. وهذا مثال وهو جزء من خطاب الدارة التي ما زالت تبعث أعمالها بالبريد العادي فيقتطع زمن الإرسال جزءًا من الشهر المحدد فتجد المتابعة الهاتفية بعد شهر من تاريخ الخطاب لا من تاريخ وصول العمل إليك:

آمل موافقتكم على فحص الرسالة ودراستها، وإبداء الرأي في مناسبة نشرها ضمن إصدارات الدارة، وتزويدنا بالمطلوب مع أصل خطابنا هذا خلال شهر من تاريخه، وتعبئة الاستمارة المرفقة وإعادتها مع مرفقات الخطاب.

وأذكر أن المجلة اتصلت بي تستعجلني قبل مضي شهر من وصول العمل، وفي هذا من الإحراج والإزعاج ما الله به عليم، مع أنّي لست متفرغًا كل التفرغ لقراءة العمل الطويل والوقوف على دقائقه.

وربما تساوت الأعمال في كمّياتها؛ ولكنها تختلف في كيفياتها، فمن الأعمال ما يحتاج إلى فضل وقت للتقصي والمراجعة، فمن الأعمال التي عرضت علي للترقية تحقيق كتاب تبين لي أنه حقّق في بلاد عربية، وليس هذا الكتاب بين يدي ولا في مكتبة الملك سلمان أو غيرها من المكتبات في الرياض؛ لأنه قد نشر في دورية جامعة إقليمية، واضطررت لمراسلة أحد في تلك الجامعة لتصوير العمل وبعثه بالبريد الشبكي.

ولعل الحلّ مراعاة الوقت المناسب لكميات الأعمال وكيفياتها إن أمكن أو أن يسأل المحكَّم عن الوقت المتوقع للإنجاز حتى لا يراجع قبل هذا الوقت.

٣-عدم استئذان المحكم قبل إرسال الأعمال إليه.

في الغالب أن جهات التحكيم تتصل بالمحكم أو ترسل له رسالة شبكية تستأذنه في أمر الحكم على العمل؛ ولكن من الجهات من تعمد إلى إرسال العمل من غير استئذان، وقد يكون في ذلك بعض الإحراج، وربما قبل المحكَّم الأمر على مضض، ويبقى استئذان المحكَّم أولى، على أن يتولى ذلك سكرتير المجلة أو القسم أو المجلس العلمي وليس أحد زملاء المحكَّم؛ وذلك دفعًا للحرج وتجنبًا لقبول العمل مجاملة للزميل.

٤-اختلاف استمارات الحكم.

تختلف جهات التحكيم في موقفها من استمارة ضابطة لمفردات التقرير أو موجهة لمحتواه بما يحقق الغرض من الحكم، فثمة جهات بلا استمارة، فهي تترك التقرير مطلقًا للمحكَّم وكذا الحكم وهذا ربما يكون له حسناته في حرية المحكم وعدم تقييده بشيء؛ ولكنه مع ذلك ربما جعل المحكَّم يركز على أمور ويترك أمورًا، وقد يكون في هذا جور على العمل وصاحبه إن كان المحكم يقتصر على إظهار عيوب العمل دون حسناته، ومن أمثلته مجلة الدراسات اللغوية الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وكرسي عبدالعزيز المانع للغة العربية في جامعة الملك سعود، وقد تكتفي المجلة باستمارة خفيفة مثل مجلة العرب الصادرة عن مركز حمد الجاسر، فهي مجملة في مدخلين: «ملحوظات عامة/ ملحوظات تفصيلية»، ومثلها جامعة عُمان، وهناك جهات ذات استمارة مفصلة مثل: مجلة العلوم الإنسانية في جامعة البحرين، تبدأ بمعلومات عن المحكم، ثم التقويم العام للبحث ثم التعليق التفصيلي وفيه:

التعليق التفصيلي

أولًا: عنوان البحث (علاقة العنوان بالموضوع):

ثانيًا: الجهاز المرجعي للبحث (دقته، شموليته، حداثته، أصالته)

ثالثًا: هدف البحث:

١. أهميته وجدارته بالدراسة:

٢. قيمته العلمية:

٣. ملاءمة النتائج النهائية مع هدف البحث وفرضياته:

رابعًا: منهج البحث (وضوحه، ودقته، ووسائله)

خامسًا: مضمون البحث:

١. تكامله علميًّا في ضوء منهج البحث:

٢. أصالة الأفكار، وجوانب الابتكار فيه (إن وجدت):

سادسًا: الجوانب الإجرائية في البحث:

١. مادة البحث وأسلوب عرضها:

دقة احتكام البحث إلى المعايير العلمية:

٢. دقة الأرقام والإحصاءات، والجداول:

سابعًا: صياغة الأفكار، والسلامة اللغوية:

وعلى ضوء الملاحظات المثبتة حول العناصر السابقة، الرجاء التفضل بمنح البحث تقديرا واحدا من التقديرات التالية(نصا)، مع بيان مسوغات ذلك الحكم:

وكذلك المجلة العربية للعلوم الإنسانية/ الكويت؛ إذْ تتكون من ثلاث استمارات، الأولى استمارة المحكم، والثانية استمارة تقويم البحث، والثالثة أسماء بعض الأساتذة المشاركين بالتخصص نفسه. وتشتمل استمارة المحكم على المداخل الآتية: اسم المحكم، الدرجة

العلمية: (أستاذ – أستاذ مساعد)، الوظيفة الحالية، التخصص العام، التخصص الدقيق، الاهتمامات البحثية، عنوان العمل الحالي (أثناء العام الجامعي)، رقم هاتف العمل، رقم الجوال، العنوان الإلكتروني، عنوان السكن الكامل (أثناء العطلة الصيفية)، رقم هاتف المنزل، رقم الفاكس، مستوى إتقان اللغات الإنجليزية (ممتاز/ جيد جدًّا/ جيد)، لغات أخرى (حدد...........)، وأما استمارة التقويم فتشتمل على الآتي:

عنوان البحث:

توضع إشارة وخط تحت التقدير العام الذي تعتقدون أن البحث يستحقه على النحو التالي:

١- (...) البحث صالح للنشر دون أية تعديلات (ممتاز).

٢- (...) البحث صالح للنشر، ولكنه بحاجة إلى التعديلات الطفيفة (جيد).

٣- (...) البحث غير صالح للنشر، إلا بعد إجراء التعديلات الجذرية (مقبول).

٤- (...) البحث غير صالح للنشر (ضعيف).

* يمكنكم الاستفاضة على صفحات إضافية إذا اقتضى تقريركم ذلك.

هدف البحث: أهميته، وقيمته العلمية، وجدارته بالدراسة:

مضمون البحث: تكامله علميًّا، وأصالته، وجوانب الابتكار فيه:

أسلوب البحث:

أ ـ المنهج الذي اتبع فيه:

ب - رعايته للإخراج العلمي:

جـ - الصياغة اللغوية والنحوية:

(يرجى الإشارة إلى الأخطاء النحوية والأسلوبية والطباعية التي قد تجدونها، وذلك في مكانها في صفحات البحث)

وفي ضوء ملاحظاتكم حول العناصر السابقة، نرجو أن يندرج حكمكم على البحث تحت واحد من التقديرات التالية (نصًّا)، مع مسوغات ذلك الحكم:

١- (...) البحث صالح للنشر دون أية تعديلات (ممتاز).

٢- (...) البحث صالح للنشر، ولكنه بحاجة إلى التعديلات الطفيفة (جيد).

٣- (...) البحث غير صالح للنشر، إلا بعد إجراء التعديلات الجذرية (مقبول).

٤- (...) البحث غير صالح للنشر (ضعيف).

وذلك للأسباب التالية:

وثمة استمارة كالاستبانة مثل مجلة اللسانيات العربية الصادرة عن مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية:

استمارة تحكيم

أولًا: تقويم البحث

المتغير	رأي المحكم		
مستوى البحث من حيث الأصالة	مناسب	مناسب إلى حد ما	غير مناسب
مستوى العمق العلمي الذي يتوافر عليه البحث	مناسب	مناسب إلى حد ما	غير مناسب
مدى إضافة البحث للتخصص	يضيف	يضيف إلى حد ما	لا يضيف شيئًا
مدى استيفاء البحث للمادة النظرية المطلوبة لموضوعه	تام	تام إلى حد ما	غير مستوف
مدى استيفاء البحث للمادة التطبيقية المطلوبة لموضوعه (للدراسات التطبيقية)	*تام*	تام إلى حد ما	غير مستوف
مدى تعبير العنوان عن مضمون البحث	تام	إلى حد ما	غير معبر

المتغير	رأي المحكم		
مدى سلامة المنهج المتبع في البحث	سليم	سليم إلى حد ما	غير سليم
مستوى لغة البحث	سليمة	سليمة إلى حد ما	غير سليمة
مـدى مناسـبة المراجـع التـي اعتمد عليها البحث (قدمًا أو جدة)	حديثة	حديثة إلى حد ما	قديمة
مـدى كفايـة المراجـع التـي اعتمد عليها البحث	كافية	كافية إلى حد ما	غير كافية
مسـتوى التوثيـق العلمـي في البحث	ممتاز	جيد	رديء
مستوى التحليل والاستنتاج في البحث.	مناسب	مناسب إلى حد ما	غير مناسب

ثانيًا: خلاصة رأي المحكم تجاه البحث.

(...) يقبل للنشر دون الحاجة لإجراء أي تعديلات.

(...) يقبل بعد إجراء التعديلات المرفقة.

(...) يقبل بعد إجراء التعديلات المرفقة، والتأكد من ذلك من قبلي.

(...) لا يقبل للنشر.

[ ] **أبرز الملحوظات على البحث**[١].

ويستعمل المركز نفسه لفحص منشوراته نموذج فحص، وهو متضمن للاستمارة السابقة وزيادات تفصيلية.

ولا شك أن اختلاف العناصر المتضمنة في الاستمارة يؤثر تأثيرًا كبيرًا في الحكم على البحث فقد يقبل في جهة ولا يقبل في أخرى، وكثرة التفصيلات التي تظهر الحكم كأنه بحث علمي حول العمل موضوع الحكم.

وأما أعمال الترقية فهي بلا استمارة في الغالب. سوى وكالة كليات البنات؛ إذ أعدت استمارة لبيان (التقويم الكمي) وفاق الآتي: مِحَكَّات التقويم/ درجات التحقق).

(١) يمكن تدوين الملحوظات في أكثر من صفحة إذا لزم الأمر، وإرفاقها مع استمارة التحكيم وبيانات المحكم.

١

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
شؤون تعليم البنات
وكالة كليات البنات
أمانة المجلس العلمي

استمارة تحكيم بحث لغرض الترقية إلى درجة:

١. اسم الباحث:

٢. التخصص العام للباحث:

٣. التخصص الدقيق للباحث:

٤. عنوان البحث:

أولاً: التقويم الكمي

م	محكات التقويم	٤ متحقق تماماً	٣ متحقق إلى حد كبير	٢ متحقق إلى حدٍّ ما	١ ضعيف التحقق	صفر غير متحقق	الدرجة المستحقة
١.	ارتباط موضوع البحث بتخصص الباحث						
٢.	أهمية البحث وقيمته العلمية						
٣.	وضوح هدف البحث						
٤.	دقة صياغة مشكلة البحث أو فروضه						
٥.	دقة تحديد واستخدام المصطلحات						
٦.	عرض الدراسات السابقة وحسن توظيفها						
٧.	المداخل النظرية وارتباطها بموضوع البحث						
٨.	ملاءمة المنهج المتبع في البحث						
٩.	الاستدلال بالوثائق والنصوص وغيرها						
١٠.	لغة البحث ودرجة إتقانها						
١١.	دقة التحليل النقدي والتفسيري						
١٢.	دقة الاستنتاجات العلمية						
١٣.	الإضافة العلمية						
١٤.	الأمانة العلمية ودقة التوثيق						
١٥.	الالتزام بقيم المجتمع وثقافته						
	مجموع الدرجات						

الدرجة الكلية: توقيع المحكم:

ثم (التقويم الكيفي) على هذا النحو:

١- أهمية البحث من حيث: [القيمة العلمية والتطبيقية وارتباط موضوعه بتخصص الباحث والدقة في صياغة مشكلة البحث وكفاية الإطار النظري وسلامة لغة البحث والالتزام بقيم وثقافة المجتمع].

٢- سلامة المحتوى وكفايته من حيث: [دقة تحديد المصطلحات العلمية واستخدامها، ووضوحها، وحسن توظيف الدراسات السابقة

وسلامة المنهج والأدوات البحثية ودقة صياغة الفروض أو التساؤلات والاستدلال بالوثائق والنصوص والرسوم البيانية والخرائط وغيرها، والأمانة العلمية ودقة التوثيق وكفاية المراجع وحداثتها].

٣- النتائج ومناقشتها والتوصيات: [من حيث دقة التحليل النقدي والتفسيري وارتباطه بنظريات ومداخل علمية ودقة الاستنتاجات العلمية للباحث وأهمية توصيات البحث والإضافة العلمية].

وقد أعجبني هذا النموذج واستعملته بعد تعديل طفيف في إعداد تقارير عن بحوث الترقية التي أكلف بقراءتها والحكم عليها.

٥-إهمال مكافأة المحكم أو التأخر فيها.

على الرغم من أن الدين الحنيف يوصي بدفع أجر الأجير قبل أن يجف عرقه، وهذا كناية عن المسارعة بالمكافأة؛ ولكن جهات التحكيم تعوقها إجراءاتها الروتينية، والتأخر ربما يهون أمره، فالفاحص يمكن أن يفهم ذلك؛ ولكن الأمر الذي لا يقبل هو تجاهل جهود المحكَّم وحرمانه حقه في المكافأة، وأعرف وزارة كلفت لجنة في قسم اللغة العربية-كلية الآداب لإقامة ندوة وفعاليات بمناسبة الاحتفال بيوم اللغة العربية، وألف أحد أعضاء اللجنة كتابًا طبعته الوزارة ووزعته على الحاضرين في الندوة؛ ولكن اللجنة المنظمة لم تتسلم مكافأتها ولا نال صاحب الكتاب مكافأته عن الكتاب. هذا المثال الذي ذكرته ضربته لإهمال بعض الجهات بعامة وليس التحكيم بخاصة، وأما مكافآت

تحكيم الكتب فكنت بعد تعييني في قسم اللغة العربية قرأت وصححت وحكمت على عدد من الكتب للنشر العلمي ولم أكن أسعى للمطالبة بالمكافأة توهمًا أنها تودع في حسابي أسوة بالراتب الشهري ثم تبين لي أنّ لها طريقًا أخرى وأنّ عليَّ مراجعة الإدارة المالية في ذلك، ولا أعلم إلى اليوم ما مصير تلك المكافآت، وكان الواجب أن أحاط علمًا بحقي لديهم.

إن مثل هذا الأمر ربما جعل بعض الفاحصين يمتنعون عن فحص أعمال الترقية، وعن مناقشة الرسائل، أو البحوث للنشر، ومن أمثلة ما ينال المحكّم من العنت ما حدث لي؛ إذ تأخر أمر الإركاب من الرياض إلى المدينة التي فيها المناقشة فاضطررت لاشتراء تذكرة، ولم يصل أمر الإركاب إلا بعد المناقشة بمدة طويلة وبعد مطالبات ومكالمات للمسؤولين، وجاء الأمر محولًا لوكالة الطيار فلما توجهت للطيار في الرياض لاسترجاع مبلغ التذكرة رفض؛ لأن العقد بينهم وبين الجامعة يقتضي أن ينفذ هذا في فرع الطيار الذي في المدينة التي فيها الجامعة، وهذا اضطرني لتوكيل أحد من أهل تلك المدينة لتسلم حقوقي.

ولولا احترام الزملاء بعضهم بعضًا والرغبة في مساعدة أبنائهم الطلاب لقلّ من يقبل المناقشة لضعف مقدارها من جهة، ولفواتها أو تأخرها أو سوء إجراءات الحصول عليها.

٦- السيرة الذاتية للمشرف أو المناقش الخارجي:

لا يوافق على المناقش الخارجي لرسالة الدكتوراه في جامعة الملك سعود حتى يدخل إلى الموقع الشبكي للجامعة (عمادة الدراسات العليا/ الخدمات الإلكترونية/ السيرة الذاتية للمشرف والمناقش الخارجي) ويطلب اسم مستخدم وكلمة مرور تبعث إليه في بريده الشبكي، ثم يعود ليفتح التطبيق، وهو قد يوفق وقد لا يوفق، ثم عليه أن يملأ استمارة طويلة كأن صاحبها طالبُ توظيف لا معرفٌ بنفسه، مع أن القسم الذي سمى اسمه أعلم به وبسيرته الذاتية، ومن أغرب ما في هذه السيرة طلب ذكر أسماء ثلاثة أبحاث نشرت له في مجلات محكمة، ومكان النشر وسنة النشر ورقم المجلد وأرقام الصفحات بدايتها ونهايتها، وإرفاق نسخة من الصفحة الأولى للبحث، وكذلك أسماء ثلاثة أبحاث شارك فيها في مؤتمرات، وكذلك ثلاثة أبحاث مقبولة للنشر مع خطابات قبول النشر. وهذا نظام شاق مرهق وممل جدًّا، وقد تذمر منه كثير من الزملاء، وهو بلا جدال أمر تعسفي كان يغني عنه نموذج أبسط منه يرسله المناقش بالبريد الشبكي، وإن أرادت العمادة إدخال البيانات فعلت ذلك.

ثانيًا) مشكلات موضوع الحكم (بحوث للنشر، بحوث للترقية، رسائل علمية)

١-سلخه أو سرقته:

من المشكلات التي تتعلق بالموضوع كونه مسلوخًا من غيره أو كونه مسروقًا؛ إذْ تعدّ الغفلة عن ذلك مفسدة لسلامة الحكم، ومعرفة السرقة معتمدة على الخبرة بالأعمال، وربما تكون بالصدفة البحتة، من ذلك أنه أحيل إلي بحث عن تركيب الشرط قدّم إلى مجلة جامعة الملك سعود-الآداب، ومنذ قرأت أول سطرين خطر ببالي أن هذا الكلام مألوف أعرفه من قبل، فلما عدت إلى كتابي (الجملة الشرطية عند النحاة العرب) وجدت النص، وكان البحث جملة من النصوص المسلوخة من الكتاب واكتفى الباحث بضم بعضها إلى بعض، ولم يحصر نصًّا بعلامتي تنصيص أو يشر لكتابي من قريب أو من بعيد، ولاحظت أن البحث قدم على هيأة الأعمال المنتهى من صفّها، ولما تأملت تبين لي أن رقم الصفحة مكتوب داخل درع معيّن، فاهتديت بذلك إلى المجلة التي صفّ فيها البحث، وهي مجلة دارة الملك عبد العزيز، وخشيت أن يكون البحث قد سبق أن نشر في تلك المجلة، فذهبت إلى مقرها، وراجعت أعدادها كاملة فلم أجد البحث منشورًا، ولكني وجدت بحثًا آخر عن الشرط وهو أيضًا مسلوخ كله سوى أدوات الربط من كتابي السابق. ولذلك صورته وكتبت عنه مقالًا نشر في صحيفة الرياض، وأما البحث موضوع الحكم فقد كتبت عنه تقريرًا بينت فيه كل النصوص المسلوخة وصورت من كتابي أصولها.

وصار بالإمكان اليوم بفضل التقنية الرقمية أن تُكشف السرقات فوضع عنوان العمل قد يكشف عنه، ومثال ذلك أن بحثًا بعثت به إليّ

جامعة على أنه بحث مقبول للنشر، وهو ترجمة عن لغة أجنبية، ومع البحث خطاب قبوله للنشر في مجلة مغربية، وكان العمل مكتوبًا على ورق عاديّ، وأضاف صاحبه حاشية يشكر زميلًا لقراءة العمل، وهذا تدليس منه أراد به الإيهام بجدة العمل، فلما وضعت عنوانه في محرك البحث ظهر لي أنه قديم جدًّا ومنشور في مجلة سورية، فأنزلت الأصل وشفعته بالتقرير عن العمل الذي كلفت قراءته والحكم عليه. وبهذه الطريقة كشفت سرقة غير واحد من المتقدمين للترقية.

وربما يقع في مثل هذا طلاب الدراسات العليا الذين ربما لجأوا إلى دكاكين خدمات الطالب، مثال ذلك أنني كلفت مناقشة رسالة طالبة فرأيت تفاوتًا في أسلوب الكتابة دعاني لوضع نصوص بأعيانها في محرك البحث فأظهر لي الأصول التي سلخت منها واستطعت تحديد كثير من النصوص المسلوخة؛ ولذلك امتنعت عن مواصلة المشاركة في مناقشة الطالبة وأبلغت مشرفها بذلك للفت نظرها، وبهذا يكون لها فرصة التصحيح. وقد يقع في التقارير الفصلية أيضًا، من ذلك أني كلفت طلاب الماجستير الموازي بقراءة كتب وكتابة تقارير عنها، ولما قرأت التقارير استوقفني أحد التقارير بمستواه المتمكن الذي لا يلائم مستوى الطالب، فلما بحثت وجدت التقرير في الأصل لأستاذ من الزملاء في جامعة أم القرى، وهو منشور في موقع الجامعة، وأما على مستوى الدراسة الجامعية فسجل في مقرر (رسالة قصيرة) طالب بدويّ، وكان الواجب أن يراجعني، ابتداء من وضع خُطة وجمع مادة ومسودة أولية

حتى ينتهيَ، وكاد أن ينتهي الفصل والطالب غائب، ولكنـي تفاجـأت بـه يومًا يدخل وفي يده دفتر صغير سلمه لي وقال هذه الرسالة القصيرة، قلبت الدفتر فوجدته كتب بخط جميل، نظرت إلى الطالب وقلت: تعال الأسبوع القادم، وقرأت العمل المكتوب، ولَمّا جاء بعد أسبوع وجلس، أثنيت على الخطّ، قلت له: هل كتبت هذا كله؟ قال: أنا كتبت بعضه، وساعدني أخي على بعضه. قلت: أرني صفحة أنت كتبتها. فتح الدفتر على صفحة عشوائية، وقال: هذه. قلت: إذن سأعطيك ورقة بيضاء وسأملي عليك ما في هذه الصفحة لكتبه كما كتبته في الدفتر. قال: هاه! قلت: نعم، هاه، وعاجلته: الذي كتبه لك مصريّ؟، قال: لا، سودانيّ. فقلت له: أنا لا أريد أن تعاقب بما تستحقه لهذا التصرف، ولا تعد إلى مثلها، وعُدَّ نفسك راسبًا في هذا المقرر. وأما الذي دلني على غشه فجمال الكتابة أولًا، ثم نوع الأخطاء الإملائية السائدة في العمل؛ فقد وجدته يخطئ في رسم الذال فيكتبها زايًا، وهذا خطأ لا يقع فيه البدوي في الجزيرة العربية.

٢-كون الموضوع لا جديد فيه:

لا تعدّ البحوث صالحة حتى تشتمل على قدر من الجدة بكيفية من الكيفيات، ولكنا قد تواجهنا أعمال هي مجرد معلومات مجمعة لا جديد فيها ولا ثمرة في تجميعها وركامها؛ ويختلف الفاحصون في مثل

هذا فمنهم من يقبله ومنهم من يتوقف فيه، والذي يحكم هذا الأمر وجود مقومات للحكم ذات درجات.

ويدخل في هذا الأعمال المحققة، فإن يكن الكتاب محققًا غير مرة لا بد من الموازنة بين السابق واللاحق، فلا يقبل اللاحق إلا بمزية، كاعتماده على مزيد أصول أو لتفوقه في قراءة المخطوط، ومن أمثلة ذلك أنّ أعمال ترقية عرضت عليّ ومنها كتاب محقّق، فلما بحثت بأدلة البحث تبين لي أنّه حقّق ونشر من قبل في دورية من دوريات جامعة عربية، وخشيت أنّ الذي بين يديّ مسروق من ذلك، فتوسلت بمن اتصل بأحد في تلك الجامعة فصور الكتاب من الدورية وبعثه بالبريد الشبكي، فلما نظرت فيه تبين لي أنّه معتمد على المخطوطة نفسها التي اعتمد عليها صاحبنا ومصدرها واحد، وصاحبنا وإن لم يسلخ عمل الآخر فإنه لم يعلم بعمله، ولكنه لم يزد عليه بشيء، فيبقى الفضل للمتقدم، ومن أجل ذلك لم أحتسبه لصاحبنا، وكان عليه أن يتحقق ويبحث قبل أن يحقّق، ولو أنه جعل عمله مصحوبًا بدراسة معمقة للكتاب لشفع له ذلك. ولا شك أن الفاحصين يختلفون في موقفهم بدليل أن صاحبنا رُقّيَ، فقد يكون من فحص أعماله من الذين لا يبحثون عن الأعمال في محركات البحث، أو ليس له بصر باستعمال الحاسوب ولا الشابكة.

ولعل الأمر بحاجة إلى وضع قواعد منظمة ينطلق منها الفاحص ويعتمد عليها تحقيقًا للعدالة وتجنبًا لمغبة الاعتماد على مجرد الاجتهاد الشخصي.

٣-الاعتماد على أصول مترجمة.

هذه مسألة متعلقة بالأمانة العلمية، وقد عرفنا بعض البحوث والكتب المترجمة في الأصل ويظهر اسم المترجم على أنه مؤلف الكتاب، وقد بيّن لنا واحدًا من هذه الكتب أستاذنا الدكتور محمود فهمي حجازي ووقفنا على أصله، واعترف لي أحد كبار الأساتذة رحمه الله بأنه ترجم كتابًا ونسبه لنفسه؛ وعلى هذا النحو لا يبعد أن تكون بعض الأعمال المقدمة للنشر أو الترقية مشتملة على أقوال أو أفكار مترجمة من غير أن تعزى إلى أصحابها، والمشكلة أن الفاحص قد لا يحس ذلك إن كانت لغة الباحث عالية يمكنه بها أن يصوغ ما سلخه صياغة توحي بأنه مبدعها، وقد لا يكون الفاحص مدركًا لأثر الترجمة في التراكيب. ولا حلّ لهذه المشكلة إلا بالحرص على تنوع اهتمامات الفاحصين، ولفت الانتباه إلى مثل ذلك كأن يكون من عناصر التقويم بيان كون أفكار العمل وأقواله أصيلة أم مقتبسة أم مترجمة، وكونها موثقة معزوة أم مرسلة.

٤-البحوث المشتركة.

من بحوث الترقية أو النشر ما هو مشترك بين باحثين في الغالب، وهي قليلة في البحوث النظرية الإنسانية كثيرة في بحوث العلوم التطبيقية، بل تكاد تكون بحوث تلك العلوم قائمة على فريق عمل، ولا مشكلة في البحوث المشتركة ما دام جهد كل باحث واضحًا؛ ولكن قد يكون الاشتراك شكليًّا، كأن يكون منفذ العمل برمته أحدهما وأما الآخر فمشترك باسمه، ولعل ما يفيد هنا موازنة العمل منهجه ولغته وإجراءاته البحثية بسائر أعمال المتقدم؛ ليرى مدى قربها أو بعدها، كأن تكون معظم أعمال المتقدم للترقية تقليدية قديمة لا تجد فيها مرجعًا أجنبيًّا واحدًا، ثم تفاجأ ببحث بالغ الحداثة معتمد كله أو معظمه على مراجع أجنبية، ولعل تزويد الفاحص بالسيرة الذاتية المفصلة للمتقدم للترقية يفيد في حلّ هذه المشكلة.

٥-البحوث المنحولة.

من المتقدمين للنشر أو الترقية أو طلاب الدراسات العليا من يتقدمون بأعمال كتبت ونحلت لهم، ولعل مناقشة طالب الدراسات العليا في ما انتحله تكشف هذا، وأما البحوث المقدمة للنشر أو الترقية فلعل معرفة مدى صلتها بتخصص الباحث وموازنتها بجملة أعمال الباحث تكشف مثل هذا الاحتمال.

ثالثًا) مشكلات المحكَّم (المطلوب حكمه على العمل):

١-معرفته بميدان العمل: لغة، أدب، نقد، بلاغة، تحقيق النصوص.

تعتمد صحة الحكم على مدى تمكن المحكَّم من أدواته المعرفية والمهارية، وذلك إنما يكون في نطاق تخصصه، فإن كان ذا معرفة كافية وأدوات وافية بأغراض علمه كان أحرى بالتوفيق والفلاح، ولكن بعض المحكمين لا يقتصر على دائرة تخصصه بل تراه يكتب في غيره كأن يكون نحويًّا ويكتب في الأدب أو النقد أو البلاغة فيتوهم غيره أنه متخصص بذلك؛ فربما كلّف لذلك فحص أعمال ليست من اختصاصه، والطامة حين يتوهم هو نفسه أنه قادر على الحكم أو يستحيي أن يمتنع من قبول العمل لجهله بميدانها، وأحسب أن حلّ هذه المشكلة بيد المحكِّم (طالب الحكم) فعليه أن يبين التخصص الذي ينتمي إليه العمل، وأن يطالب المحكَّم ببيان تخصصه هو.

٢-اتجاهه: تقليدي لسانيّ.

يختلف المتخصصون في علم من العلوم، فنجد أن من المتخصصين في علم اللغة العربية من هم تقليديون لا يعرفون سوى ما انتهى إليه القدماء من علماء النحو واللغة والصرف مقتصرين على ذلك مكتفين به لا يرون بهم حاجة إلى سواه، ومنهم من لا يعرفون سوى اللسانيات الغربية وأنها تجبّ ما قبلها وتخمل كل مكتسبات التراث، ويدعون إلى معالجة اللغة وفاق نظريات تلك اللسانيات ووفاق مدارسها اللغوية، وهم ربما حاولوا ذلك فكتبوا ما يعرفه التقليديون؛ ولكن بلغة لا يعرفونها وبمصطلحات لا خبرة لهم بها، وفريق ثالث أتيح له التمكن من علوم الأوائل وأصاب قدرًا وافرًا من علوم اللسانيات الحديثة، ومن هنا

تأتي مشكلات التحكيم كأن يتولى النحوي التقليدي فحص عمل كتب في اللسانيات أو بطرائق اللسانيين فهو حينئذ لن يحسن الحكم وربما جار على صاحبه، وكذلك قد يفعل اللساني إن فحص عملًا تراثيّ الطريقة، والحلّ هو تصنيف أهل الاختصاص تصنيفًا دقيقًا لا يعتمد على تصنيفهم أنفسهم بل يعتمد على إنتاجهم، وتكون المشكلة حين يتوهم التقليدي أنه صار لسانيًّا؛ لأنه قرأ للسانيين بعض ما كتبوا، أو يتوهم اللساني أنه عرف التراث لقراءته بعض كتب النحو المتأخرة، وكثير من النقود التي وجهها اللسانيّون إلى النحو العربي مبنية على كتب تعليمية متأخرة.

٣-مخالفته في آرائه لصاحب العمل، محاسبة الكاتب على أخطاء غيره (المقتبسات).

يتوهم بعض المحكَّمين أن رأيه هو الصواب الذي لا صواب غيره، وأن ما يعرفه هو منتهى المعرفة وأتمُّها، وأنّ ما يراه مخالفًا يجب رده، وهو يحكم على ضعف عمل الآخر وعلى سوئه بناءً على ذلك، وهذا فيه جور وجناية على صاحب العمل؛ إذْ لا مشاحة في اختلاف الآراء، وإنما يكون الخطأ في المنطلقات التي أدت إلى الآراء والمناهج المتبعة والنقض والبناء على مقدمات فاسدة، ومن أمثلة هذه المخالفة في الرأي أنه عرض عليّ بحث يذهب صاحبه إلى أن الأولى رسم تنوين المنصوب على الألف، وهذا مخالف لما أذهب إليه، وهو أن الأولى رسم تنوين المنصوب على الحرف، ومع هذه المخالفة وافقت على

نشر البحث لرعايته الأصول المرعية في التوثيق وسلامته اللغوية وصحة إجراءاته المنهجية. ومثال رفض العمل لمخالفة رأي أنّي قدّمت كتابي (الفعل في القرآن الكريم: تعديته ولزومه) إلى جهة للنشر فحكم الفاحصون بأنه غير صالح للنشر فلما سألت من أثق به، وهو على اطلاع على الحكم الذي لم أزود بنسخة منه، قال لي: عرض الكتاب على متخصصين بعلم التفسير، فلا غرو إذن فقد وجدوا من الآراء ما ليس لهم به خُبر.

ومن المشكلات التي يغفل عنها المحكم خلطه بين لغة الباحث ولغة النصوص المقتبسة فتراه يحاسب الباحث على أخطاء وردت في نصوص مقتبسة منقولة من مصادرها كما هي. ولا ينبغي محاسبة الباحث ما لم يبن على الخطأ الوارد كأن ينقل نصًّا عن نحويّ متأخر فيه رأي منسوب لنحوي متقدم وهو ليس له أو في كتبه ما يخالف هذا الرأي.

٤-الهوى والتعصب والمجاملة.

جاء في تقرير عن (ندوة التحكيم العلمي بجامعة الإمام): «كما أوضح أ.د. إبراهيم بن صالح الحندود أستاذ اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم أن عملية التحكيم في السنوات الأخيرة تسلك خطًّا انحداريًّا ملحوظًا في المستوى الفكري ومظاهر الجودة، مبينًا أن عملية التحكيم تتعرض أحيانًا إلى بعض المشكلات الأخلاقية التي مردها هوى النفس الضعيفة أو

المجاملات والعلاقات الشخصية والصراعات الحادة بين أعضاء هيئة التدريس»[١]، وهذا قريب من المشكلة الثانية عند الربيش وهي (عدم الواقعية في التحكيم)، قال: «من مشكلات بعض المحكمين عدم الواقعية في التحكيم، وأقصد بذلك البعد عن الإنصاف والعدل في النتيجة التي يؤول إليه الإنتاج العلمي، وينبغي أن يقاس ذلك بالمقياس ذاته الذي نطالب به»[٢].

والحقّ أن الهوى والتعصب من أهم عوامل البعد عن الواقعية في الحكم على الأعمال، ويظهر هذا أكثر ما يظهر في الأعمال المقدمة للترقية؛ لأن كاتبها معلوم، فقد يجور المحكم على الباحث؛ لأنه يخالفه لأسباب دينية أو مذهبية عقدية أو مناطقية، أو لاتجاهه العلمي. وقد يكون في الحكم عند مناقشة الرسائل العلمية، وكثيرًا ما وجدنا المشرف على الرسالة يعطي درجة كاملة للرسالة التي أشرف عليها، وذلك في الجامعات التي تعتمد التقويم الكمي، والحق أن المجاملة في الحكم على الرسائل سائدة، فعلى الرغم من كثرة الملاحظات نجد الرسالة تجاز بتقدير فوق ما يستحقه الإنجاز. ولا تنجو الأبحاث أو الكتب

(١) عبدالرحمن المصيبيح، صحيفة الجزيرة (الثلاثاء ٣٠ ذو الحجة ١٤٢٨هـ، ٨ يناير ٢٠٠٨م، العدد ١٢٨٨٥).

(٢) عبدالعزيز الربيش، أخلاقيات التحكيم، ١٣.

المراد نشرها من الهوى والتعصب؛ لأن الفاحص قد يعرف بوسيلة أو أخرى صاحب العمل.

وأوصى الربيش بوضع الضوابط التي تؤدي إلى الوسطية والعدل في الحكم، وأن يمنع الذين يجورون في أحكامهم، وأما الضوابط فلعلنا نجدها في بعض المجلات باستماراتها المقيدة، وفي استمارة بعض المجالس العلمية بما يسمى مِحكّات الحكم المعتمدة على التقدير الكمي المراعي جوانب الموضوع بما يخلق توازنًا مقبولًا. وأحسب أنّ جهات التحكيم تتجنب مواصلة العمل مع من يثبت تعصبه أو هواه، ولكن ذلك ربما يصعب ضبطه، وهو قرين السعي إلى من اتصف بالتساهل.

وعلى الرغم من اللوائح المنظمة نجد من يخالفها إمّا جهلًا بها وإمّا تهاونًا بها. مثال ذلك ما جاء تحت المادة الحادية والخمسين من قواعد تنظيمية:

«عند تشكيل لجنة مناقشة لطالب الدكتوراه يشترط مشاركة عضو خارجي -واحد على الأقل- ليس لديه أي ارتباط سابق أو حاليّ بالجامعة ولم يحصل على الدكتوراه منها»[1]. على الرغم من ذلك جاء الدكتور سعيد بحيري وناقش في قسم اللغة العربية-كلية الآداب في جامعة الملك سعود، وقد كان يعمل في القسم من قبل.

(١) اللائحة الموحدة للدراسات العليا في الجامعات السعودية، ص٥٧.

ومن مشكلات المحكَّم اضطراره إلى مجاملة زميله في المهنة، وأكثر ما يكون هذا في الحكم على الرسائل العلمية، فعلى الرغم من سماعك ملاحظات وأخطاء تكاد تجزم معها أن الرسالة سترفض أو سترد إلى صاحبها؛ ليعالج ما فيها ثمّ يعاد النظر فيها تجد بعد ذلك أن الرسالة قبلت واجتاز الطالب ويكون هذا بدرجة الامتياز في بعض الجامعات.

ولعل ما تتخذه جامعة الملك سعود في التخفيف من أثر هذا أنّ الرسالة لا درجة لها، بل تكون النتيجة أحد الخيارات الآتية:

«المادة السابعة والخمسون:

تعد لجنة المناقشة تقريرًا يوقع من جميع أعضائها، يقدم إلى رئيس القسم خلال أسبوع من تاريخ المناقشة. متضمنا إحدى التوصيات الآتية:

١ – قبول الرسالة والتوصية بمنح الدرجة.

٢ – قبول الرسالة مع إجراء بعض التعديلات. دون مناقشتها مرة أخرى. ويفوض أحد أعضاء لجنة المناقشة بالتوصية بمنح الدرجة بعد التأكد من الأخذ بهذه التعديلات في مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر من تاريخ المناقشة، ولمجلس الجامعة الاستثناء من ذلك بناءً على توصية مجلس عمادة الدراسات العليا المبنية على تقرير لجنة الحكم.

٣ – استكمال أوجه النقص في الرسالة، وإعادة مناقشتها خلال الفترة التي يحددها مجلس عمادة الدراسات العليا بناء على توصية

مجلس القسم المختص على ألا تزيد عن سنة واحدة من تاريخ المناقشة.

٤ – عدم قبول الرسالة»[١].

وعلى الرغم من ذلك نجد الخيار الأول هو أكثر ما يتخذ إما رغبة في مساعدة الطالب وتجنب تعطيله إن كان ذلك له علاقة بتوظيفه أو ترقيته، وإما مجاملة لأستاذه، وتوصي اللجنة المشرف بأمر التأكد من متابعة التعديلات المطلوبة، ولكن الطالب قد يسارع إلى تسليم نسخ رسالته من غير تعديل أو تصحيح، وأن المشرف لا ينظر في تعديل أو تصحيح، والحق أن الخيار الأول ليس خيارًا صحيحًا فما من رسالة مهما علا شأنها تسلم من تعديل أو تصحيح وإن كان يسيرًا، ولا بد في نظري أن يكتب المشرف شهادة يبين فيها أن الطالب أجرى التعديلات والتصحيحات الممكنة والمقتنع بسلامتها، وآية ما أقول أني ناقشت رسالة في إحدى الجامعات وكان لي عليها ملاحظات كثيرة وأجريت تصحيحات مختلفة، ثم أفاجأ بعد مدّة بوصول الرسالة من دارة الملك عبدالعزيز ومعها خطاب تكليف قراءتها وكتابة تقرير عنها يبين صلاحها للنشر في الدارة، فلما اطلعت على الرسالة وجدتها مطابقة للنسخة التي ناقشتها أول مرة، ومعنى هذا أنّ الطالب لم يعمل بشيء من ملاحظاتي

(١) اللائحة الموحدة للدراسات العليا في الجامعات السعودية، ص٦١.

ولا أجرى شيئًا من تصحيحاتي، وقد سهلت مهمتي فقد بعثت للدارة بجملة الملاحظات والتصحيحات التي كنت رصدتها من قبل. ومن دلائل ذلك أن ما يعرض عليّ من أعمال لتنشر تشتمل على أخطاء واضحة يستحيل أن يكون غفل عنها المناقشون، وكذا في بعض أعمال الترقية من الأخطاء ما يجعلك تسأل هل عرض العمل على محكمين من قبل، وقد عُرضت عليَّ عشرة أعمال لمتقدم للترقية إلى درجة أستاذ في جامعة عربية فلم أُجِزْ منها سوى واحد، وذلك لضعف مستوى الأعمال ولكثرة الأخطاء الكتابية فيها حتى إنه يشك في أمر عرضها على محكمين ابتداءً.

وللمناقشة العلنية أهميّة بالغة لطلاب الدراسات العليا وغيرهم من الحضور؛ إذ يعرض المناقش ملاحظات وتصحيحات جوهرية تستند إلى علم غزير وتجربة عميقة في تخصصه، وهي أفكار قد لا تتيسر للشاهد، ولولا ذلك لاقترحت أن تلغى المناقشة العلنية، وأن تكون قرارات المناقشين سرّيّة تطوى في أظرف تسلم إلى رئيس القسم، أو أن تكون أسماء المناقشين مجهولة ولا تجرى المناقشة إلا بعد تقرير مفصل عن الرسالة يبين محاسنها وأهم عيوبها، وأن يشهد القارئ بأن الرسالة مستوفية لمقتضيات البحث العلمي، وأنها صالحة للمناقشة، ويحسن أن تعدّ لذلك استمارة دقيقة كاشفة عن جوانب البحث على نحو ما تفعله بعض الدوريات المحكِّمة.

٥-غياب الدقة في الفحص.

وهـذا متعلـق بمـا قدمتـه مـن خطـأ تكليـف فـاحص غيـر مناسـب للموضوع كأن يكون غير متخصص بالعلم الذي يعالجه الموضـوع كـأن يكون الموضوع في علم الأصوات فلا يناسب بعثه إلى مؤرخ أو جغـرافيّ أو فقيه، قـد يكـون لـدى هـؤلاء ثقافـة في هـذا المجـال، ولكـن الثقافـة لا تكفـي وحـدها لفحـص العمـل فحصًـا علميًّـا، ولا يصـلح المتخصـص بـالنحو العربـي القـديم لفحـص موضـوع في الأصـوات حسـب المـنهج الحـديث والمصـطلحات الغربيـة، ومـن أجـل ذلـك قـد يفتقـر عمـل الفاحص للدقة إن تصدى لفحص عمل لـيس في دائـرة اهتمامـه ومعرفتـه ولا يمتلـك مـن أدواتـه قـدرًا كافيًـا، ويجمـل في هـذه الحالـة ألّا يجـد الفـاحص حرجًـا في امتناعـه عـن الحكـم؛ لأن العمـل لـيس في دائـرة تخصصه، وقد امتنعت غير مرة عن الحكم على بحوث أرسلتْها إلـيّ مجلة اللسانيّات التي يصدرها مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.

ومـن الأمـور المتصـلة بضـعف الفحـص تواضـع التكـوين العلمـي للفاحص وقلـة خبرتـه وجهلـه بمراجـع البحـث الأساسية؛ ولهـذا تفوتـه هفوات وأخطاء يشتمل عليها البحث، وثمـة مسـائل دقيقـة لا يتنبـه إليهـا بعض الفاحصين مثل نعت المعرفة بمضـاف إضـافة لفظيـة؛ إذْ المضـاف إضـافة لفظيـة لا يتعـرف بإضـافته، فـلا تقـول مـثلا: جـاء الرجـلُ طويـلُ

القامة، والصواب: جاء الرجلُ الطويلُ القامة. ومثل نعت المؤنث بمذكر، مثل: هذه القضية الأهم في تحكيم البحوث، فالقضية مؤنث والأهم مذكر، والصواب: هذه أهم قضيّة في تحكيم البحوث. ومثل نفي فعل لا يراد نفيه، مثل: لا يجب أن تهمل واجبك، والصواب: يجب ألّا تهمل واجبك.

ومن أسباب غياب الدقة إهمال الفاحص هو نفسه للأصول المرعية في الكتابة مثل اطراد استعمال الأقواس والأهلة وعلامات الحصر وتجنب فوضى استعمالها، وكذلك اطراد الرسم الإملائي وبخاصة رسم الهمزة، واطراد رسم تنوين المنصوب فلا يرسمه حينًا على الحرف وحينًا على الألف.

٦-التأخر في الفحص والحكم.

عدّ عبدالعزيز الربيش هذه المشكلة من أبرز مشكلات التحكيم، ورأى أنّ من الأسباب ما هو واقعي؛ ولكنها لا ترقى في رأيه إلى درجة الإقناع[١]، وعدد من الأعذار:

«١-كثرة الأعمال الأكاديمية بالإضافة إلى التدريس وربما الأعمال الإدارية واللجان.

٢-قلة المردود الماديّ لأعمال التحكيم.

(١) عبدالعزيز الربيش، أخلاقيات التحكيم، ص١٠.

٣-كثرة الأعمال المحكمة والانشغال بقراءتها.

٤-ارتباطاته الاجتماعية والأسرية... إلخ»[١].

ويمكن أن يضاف إلى هذه الأسباب طول العمل أو الأعمال المفحوصة، وأشرت سابقًا إلى أنّ من المشكلات عدم التفريق في تخصيص مدة الفحص بين الأعمال طولًا وقصرًا، ومنها طبيعة محتوى الموضوع المفحوص فقد يحتاج من المراجعات والقراءات ما يستغرق وقتًا طويلًا، وقد يكون من مصادر البحث ما ليس لدى الفاحص. ومن الأسباب ما قد يعرض للفاحص من مرض أو حوادث طارئة وهي أسباب معتبرة في نظري.

ووضع الربيش لنفسه قاعدتين يرى أنّ فيهما حلًّا لهذه المشكلة أولاهما (الإنجاز أو الاعتذار)؛ أي إنّ الفاحص أدرى بنفسه ومدى انشغاله بأعباء العمل أو الأعباء الاجتماعية؛ ولذلك عليه أن يقبل من الأعمال ما يستطيع أن ينجزه أو لا يقبل الحكم على العمل، ومن هنا تأتي أهمية ما أسلفته من ضرورة استئذان المحكَّم قبل إرسال العمل إليه، والقاعدة الآخرة (اعتبر الإنتاج لك)، وهذه أقرب إلى النصيحة ولا يمكن تسميتها قاعدة. وأما ضعف المكافأة وهي من أسباب التأخير التي ذكرها الربيش فلا أظن أحدًا يؤخر العمل بسببها أو لعله نادرٌ جدًّا؛ لأنه لا ذنب لصاحب العمل، ولكنه قد تكون ذريعة لرفض الحكم على

(١) عبدالعزيز الربيش، أخلاقيات التحكيم، ص١١.

العمل لا التأخير، ورفض التحكيم قد يكون لإهمال بعض الجهات الوفاء بحقوق المحكَّم، ويتصل بذلك بعض مقتضيات مناقشة الرسائل التي تتطلب السفر والاستقبال في المطار والمواصلات من السكن إلى موقع المناقشة وهي من واجبات العلاقات العامة التي قد ينالها التقصير والإهمال.

وذكر الربيش جملة من التوصيات التي يراها تحل المشكلة، منها إيجاد دوافع للإنجاز كإعادة النظر في مكافآت التحكيم ومناقشة الرسائل العلمية، وتطبيق الأنظمة واللوائح المحددة للمدة وربط هذا بتحقيق التوصية السابقة، وجعل منها أن يحب المحكم لزميله ما يحبه لنفسه، ومن ذلك في نظره «أخذ عمل المحكم وإنجازه بالاعتبار وإعطاء بعض المحفزات مثل عبئه التدريسي، ومشاركاته في المؤتمرات والندوات، والتسهيلات الأكاديمية الأخرى»(١).

والتوصية الأولي بالغة الأهمية في نظري؛ إذ المكافآت غير منطقية، فالحكم على بحث قد لا يتعدى ٥٠ صفحة؛ لينشر في دورية مكافأته ٣٠٠ أو ٥٠٠ ريال، وأما مكافأة مناقشة رسالة قد تبلغ ٥٠٠ صفحة أو ١٠٠٠ صفحة فهي ١٠٠٠ ريال، وهذا ربما جعل المحكَّمين يقبلون على قبول البحوث وترك الرسائل؛ لأنه سيقرأ بحثين أي ما يعادل ١٠٠

---

(١) عبدالعزيز الربيش، أخلاقيات التحكيم، ص١٢.

صفحة بمكافأة رسالة، ثمّ إنّ معيار المكافأة يعتمد على درجة المناقش؛ فللأستاذ مكافأة أعلى قليلًا من غير الأستاذ وهذا فيه تفرقة غيرُ موفقة.

وأما التوصية الثانية -وهي تطبيق اللوائح- فأمر يعسر إتيانه فأقصى ما يمكن أن يفعل هو توجيه البحث إلى محكّم آخر، وأما الرسائل فسينالها مزيد تأخير إن صُرفت إلى مناقش آخر.

وأما التوصية الثالثة فهي أقرب إلى أن تكون نصيحة، وأما الرابعة فليس كل ما ورد فيها ممكنًا ضبطه وتحقيقه فمراعاته في العبء التدريسي غير ممكن؛ لأنه أمر غير مطرد، وأما اعتباره عند الإذن للمشاركة في المؤتمرات والندوات فممكن، بل لعل من المفيد أن يكون معيار مفاضلة فتكون لمن له جهود في التحكيم والمناقشة على من ليس له جهود في ذلك، ويمكن أن يضاف إلى ذلك مراعاته عند التقدم لإجازة التفرغ العلمي، ولكن هذا ربما اعترض بأن مناقشة الرسائل مرتبطة بالدرجة العلمية التي من متطلباتها عند التقدم لطلبها المشاركة بالندوات والمهرجانات، فإذا فاز بها من يناقشون الرسائل ربما حرم أولئك الذين لا يحق لهم المشاركة بمناقشة الرسائل.

٧-ضعف ثقافته الحاسوبية والشبكية.

أصبحت الثقافة الحاسوبية والشبكية من لوازم الباحث والفاحص؛ إذ اختصرت بتطبيقاتها وبرمجياتها عملًا كثيرًا، ومكنت الباحثين من الاطلاع على مصادر بحثية لم يكن من السهل الاطلاعُ عليها من قبل،

وقد أمكن بالبحث الشبكي الكشف عن مصادر الأعمال المسروقة أو المسلوخة المجمعة من أعمال سابقة، وكنت رددت غير مرة بحوثًا عرضتها عليّ دورية لنشرها؛ فتبين بعد البحث الشبكي أنها سبق نشرها، وقُدم لي عمل على أنه من أعمال الترقية وأنه عمل مقبول للنشر؛ إذ شفع به خطاب المجلة التي وافقت على نشره، وبعد البحث الشبكي تبين أنه منشور منذ سنوات طويلة؛ فلا يصلح أن يتقدم به صاحبه للترقية ما لم يجر عليه تغييرًا جذريًّا، وعُرض علي عمل من أعمال الترقية هو كتاب محقق، وبالبحث الشبكي تبين أنّ الكتاب حُقّق من قبل في دولة عربية أخرى، وأنه منشور في جامعة من جامعاتها، فأرسلْتُ لمن صور الكتاب وأرسل صورته بالبريد الشبكي، فتبين أن نسخة المخطوطة المحققة متطابقة في العملين وأن مصدرهما واحد، ولم أجد في العمل الجديد ما يزيد على العمل القديم، وعلى الرغم من استبعاد السطو والثقة بنزاهة صاحب الترقية لم أره مستحقًّا درجة لهذا العمل؛ لأنه لم يفد جديدًا في هذا الميدان، ولأنه قصر في الاستقصاء والبحث حتى لا يكرر العمل.

ومن فوائد المعرفة الحاسوبية والشبكية السرعة في وصول العمل للفاحص، وكذلك سرعة الردّ بعد القراءة والحكم على العمل المفحوص، وكذلك أمكن أن تؤيد القراءة بالصور من الكتب المنشورة فلا يبقى مجال للخطأ أو الوهم، وكما يستفيد الفاحص من هذه التقنية

يمكن للباحث استعمالها في الرد على تقارير الفاحصين. وكان عمدتي في بيان السرقات التي وجدتها في بعض الأعمال نقل صورها من الشبكة العنكبية، فإن لم تتيسر لها نسخ أمكن تسكينها ونقل صورة منها.

ولا جدال أن الجهل بالحاسوب أو استعمال العنكبية من مشكلات التحكيم، فقد يكون المحكَّم عالِمًا قديرًا؛ ولكن جهله بالتقنية تجعل بينه وبين المستفيدين حجابًا وتبطئ العمل، وأذكر أن أعمال ترقية عرضت على ثلاثة أساتذة أفاضل أجمعوا على ردّ الأعمال، أما اثنان منهم فلأنه تبين لهما أنّ الأعمال مسروقة، وما دلّهم على ذلك سوى بحثهم في الشبكية التي كشفت لهم المصادر التي سلخت منها الأعمال، وأما الأستاذ الثالث فردّ الأعمال لضعفها واضطرابها؛ ولكنه لم يشر من قريب ولا من بعيد إلى أنها مسلوخة أو مسروقة؛ ولعل ذلك لضعف معرفته بالشبكة، أو لأنه لم يستثمر معرفته.

رابعًا: الحكْم

تختلف النتيجة النهائية التي يسطرها المحكَّم حسب الجهات المحكِّمة (الطالبة الحكم)، فمنها ما يكل هذا للمحكَّم، فهو يكتب عن البحث أو الكتاب إنه مقبول للنشر أو غير مقبول للنشر، ومنها ما يزود المحكَّم باستمارة تحدد خيارات الحكم، وقد ظهر هذا في الحديث السابق عن استمارات التحكيم واختلافاتها. والحكم النهائي معتمد على جملة ما تضمنه التقرير المفصل الذي يكتبه المحكَّم أو جملة

الملحوظات التي ذكرها مناقش الرسالة. ومن هنا يمكن الإشارة إلى بعض المشكلات التي تتعلق بالحكم.

١-كونه غير موضوعيّ

من المشكلات التي تنال الحكم أن يكون غير موضوعيّ أي غير معتمد على ما يتصف به العمل من منهجية وجدة وسلامة إجراءات ولغة وصحة مقدمات ونتائج، بل يكون معتمدًا على موافقته لاتجاه المحكَّم وتضمنه من الأفكار والأقوال ما يطرب له المحكم وإن لم تكن في خدمة البحث ولا محققة الغرض منه. ولعل ما أشرنا إليه سابقًا من اعتماد استمارة ذات جانبين كميّ وكيفي يقلل من احتمال البعد عن الموضوعية.

٢-كونه غير شامل

لا بدّ للحكم الشامل أن يتناول عنوان العمل ومقدمته ومحتواه ونتائجه ومنهجه، وتنظيمه ولغته، ومصادره ومراجعه، وتأتي المشكلة من إهمال عنصر من العناصر، أو الاعتماد في الحكم على عنصر، فمن المحكمين من يركز على السلامة اللغوية فبها يجيز العمل أو يرده بغض الطرف عن القيمة العلمية للمحتوى، ومنهم من يركز على القيمة العلمية ويغض الطرف عن السلامة اللغوية. ولعل الاستمارات التي تزود بها بعض المجلات المحكمين إن روعي فيها الشمول تعالج هذه المشكلة، وتبقى الرسائل العلمية بحاجة إلى مثل هذه الاستمارات

لتعين قارئها على ما ينبغي أن يتنبه إليه وما عليه أن يتأكد من سلامته تحقيقًا لمطلب الشمول في النظر. ومن المعروف أن لجنة المناقشة تعد تقريرًا في أثناء تداولها الحكم بعد المناقشة، وهو تقرير تعتمد عليه صيغة الحكم النهائي، وقد تختلف الجامعات في هذا التقرير فمنها ما يكون بالدرجات المحسوبة ومنها ما يكون بالاختيار من أوصاف متعددة يمكن أن تتصف بها الرسالة وعناصرها.

٣-كونه غير دقيق

قد يكون الحكم موضوعيًّا بعيدًا عن المزاجية والهوى، وقد يكون شاملًا لعناصر الموضوع؛ ولكنه قد لا يكون دقيقًا؛ كأن يكتفي ببيان بعض الأخطاء اللغوية من غير استقصاء، أو أن يصف العمل بأنه يعج بالأخطاء اللغوية من غير التفات لحجم العمل ونوعه، أو غفلته عن التناقض في طريقة الاستعمال كأن يضع الباحث تنوين المنصوب مرة على الحرف ومرة على الألف، أو الفوضى في استعمال الأهلة والأقواس. ومن ذلك الغفلة عن ملاحظة ما يقتضيه كل عنصر من عناصر العمل من جوانب ينبغي اتصافه بها، ومن هنا تأتي أهمية معايير التحكيم التي تقف المحكم على تلك الجوانب التي عليه بيانها، ومن

أشمل وأجود ما رأيته في بيان ذلك ما كتبه د. أكرم فرج الربيعي في «معايير التحكيم العلمي»[1]. ومثال ذلك قوله:

«أ- معايير تحكيم عنوان البحث:

- أن يعبر بدقة ووضوح وإيجاز عن طبيعة البحث ومجاله.

- أن يحدد العنوان ميدان المشكلة تحديدا دقيقا.

- خلوه من العبارات المضللة، والكلمات غير الضرورية.

- وضع الكلمات الأساسية في بداية العنوان».

وبغض الطرف عن موافقتنا الباحث أو مخالفته في هذه المعايير نرى أن إهمال معيار من المعايير معاند للدقة المطلوبة في الأحكام.

وكنت اقترحت غير مرة تعديلًا في عنوانات بعض البحوث التي حكمت عليها للنشر، وكذلك عنوانات الرسائل العلمية، وأما أبحاث الترقية فلا ينطبق عليها أمر تغيير العنوان، ولكن المعايير تعين في الحكم الكمي والكيفي على الأبحاث.

---

(١) انظر:
https://www.facebook.com/adwaaa.D.akram/posts/201945196637038

مصادر ومراجع

- أكرم فرج الربيعي، معايير التحكيم العلمي:

https://www.facebook.com/adwaaa.D.akram/posts/201945196637038

- عبدالرحمن المصيبيح، صحيفة الجزيرة (الثلاثاء ٣٠ ذو الحجة ١٤٢٨هـ/ ٨يناير٢٠٠٨م العدد ١٢٨٨٥).
- عبدالعزيز الربيش، أخلاقيات التحكيم أهم المشكلات وأبرز الحلول، جامعة القصيم.
- اللائحة الموحدة للدراسات العليا في الجامعات السعودية، ص٥٧.

القسم الرابع:

الملحقات

طائفة من أخبار المجمع

الخبر الأول:

مشاركة المجمع في معرض جامعة الجوف الثالث للكتاب

بالتعاون مع قسم اللغة العربية بكلية العلوم الإدارية بجامعة الجوف.. شارك مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بعدد من منشوراته في معرض جامعة الجوف الثالث للكتاب، الذي أقيم في الفترة: من ٢٦/ ٠٢/ ١٤٣٩هـ إلى ٥/ ٠٣/ ١٤٣٩هـ، الموافق: ١٥/ ١١ / ٢٠١٧م إلى ٢٣/ ١١/ ٢٠١٧م.

الخبر الثاني:

المجمع يكرّم الفائزين بمسابقة #في_مدرستي_أتحدث_الفصحى بإدارة التعليم بمنطقة مكة المكرمة

حضر رئيس المجمع الدكتور عبدالعزيز بن علي الحربي جلسة تكريم الفائزين بفروع مسابقة وسم #في_مدرستي_أتحدث_الفصحى، التي كان قد أعلن عنها المجمع بالتعاون مع إدارة التعليم بمكة المكرمة.

وكرم المدير العام للتعليم بمكة الأستاذ محمد بن مهدي الحارثي الفائزين في الفروع الثلاثة للمسابقة، وهم:

الفائز بالمركز الأول عن المبادرات: الأستاذ خالد الثمالي من

مدرسة البلد الأمين.

الفائز بالمركز الأول عن التصاميم: الطالبة شهد محمد الجهني.

الفائز بالمركز الأول عن المقاطع المرئية، الطالبة: براءة عبدالله الصبحي الثانوية الأولى ببحرة

وهنأ المدير العام للتعليم بمكة الفائزين، مؤملا أن يكون هذا التكريم حافزا لهم لمتابعة الاهتمام بلغة القرآن، والتنافس الإيجابي في خدمتها. وحضر جلسة التكريم أمين مجلس أمناء المجمع الذي عبر عن شكره لدعم المدير العام لبرامج المجمع، وتفعيل برنامج الشراكة بين المجمع والتعليم في طريق دعم اللغة العربية، والتمكين لها في برامج التعليم وخططه.

وبهذه المناسبة عبر أمين مجلس أمناء المجمع الأستاذ سليمان الزايدي عن شكره لدعم المدير العام لبرامج المجمع، وما الشراكة بين المجمع والتعليم إلّا خير دليل على اهتمام قادة التعليم بمكة على دعم اللغة العربية والاهتمام بها بما يسهم في توعية المجتمع بأهمية اللغة ودورها الكبير في تعلم مبادئ الإسلام وثقافته الأصيلة مشيرًا أن موقع المجمع على الشبكة العالمية وصل إلى ٢٢ مليون متردد والاستفادة في بث ما يخدم اللغة العربية.

وفي السياق نفسه أعرب رئيس المجمع الدكتور عبدالعزيز الحربي عن شكره لدعم المدير العام لجهود المجمع، وما يقوم به من برامج

عبر الشبكة العالمية، وإتاحة الاستفادة من طاقات الطلاب والطالبات ومواهبهم في ما يخدم برامج المجمع وأهدافه. هذا، وتأتي المسابقة في إطار التعاون بين المجمع والتعليم، من خلال الشراكة بينهما؛ لتقديم الخدمات التعليمية والتربوية في مجال اللغة العربية، ونشرها في الناشئة والمجتمع.

الخبر الثالث:

«سيمياء النحو: دراسة العلامات في النظام النحوي» محاضرة لـ أ.د. بهاء الدين عبدالرحمن بمقر المجمع

في مساءِ السبتِ السابعِ مِن ربيعٍ الأولِ لعامِ ١٤٣٩هـ، نظَمَ مجمعُ اللغةِ العربيةِ بمكةَ المكرمةِ أُمسيةً لغوية بعدَ صلاةِ العِشاءِ في مَقرِّه بحيِّ الزايدي بمكةَ. وتضمَّنتِ الأمسيةُ محاضرةً للأستاذِ الدكتورِ بهاء الدين عبدالوهاب عبدالرحمن، عضو المجمع، عنوانُها «سيمياء النحو: دراسة العلامات في النظام النحوي». وقد حضرَ الأمسيةَ بعضُ وجوهِ اللغةِ والأدبِ والثقافةِ، وطائفةٌ من طُلابِ العلمِ.

افتتح رئيس المجمع الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن علي الحربي الأمسية – وفق العادة – مرحبًا بالضيف والحاضرين، وعرَض للحديث عن المجمعِ ومجلتِه العلميةِ المحكمة، وشكر في أثناء حديثه جامعةَ الجوف على حسن إبرازها لمشاركة المجمع في معرضها للكتاب، كما أعلن عن مشاركة المجمع في معرض جُدة للكتاب المزمَع عقدُه متزامنًا مع الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية، داعيًا الجهات المعنية، ورجال

الثقافة والأدب من الحاضرين وغيرهم إلى المشاركة في الاحتفاء بهذا اليوم، خدمة للغة العربية.

ثم شرع المحاضر في قراءة ورقته العلمية، متناولًا في مستهلها مفهوم السيمياء، معرجا على المصطلح، وأهميته في النظام النحوي، والهدف من الدراسة المتمثل في التحديد الدقيق لمعاني النحو ومصطلحاته من خلال تمييز العلامات عن بعضها، وبيان وظائفها النحوية.

وأكد الدكتور المحاضر خلو المكتبة العربية من أي دراسة في هذا الموضوع على النحو الذي تتناوله ورقة المحاضرة، من الاستقصاء والترتيب والتحليل؛ حيث لم يتعد ما تناوله النحويون علامات الإعراب؛ لذلك كانت الحاجة ماسة إلى دراسة العلامات في النظام النحوي على نحو شمولي، ومناقشة القضايا المتعلقة بها، وهو ما تكفلت به هذه الدراسة.

وقد وضع الباحث بعض الأهداف التي سعى إلى تحقيقها في ورقته العلمية، ومنها: تحقيق معنى مصطلح السيمياء، واستقراء العلامات في النظام النحوي، والقضايا المبنية عليها، وغير ذلك.

وبعد اختتامِ المحاضـرةِ تَوافدَ إلى المنصةِ بعضُ المداخِلين، مِن الأساتذةِ الحاضِرين، الذِين أسهَموا بمُداخلاتِهم القيِّمةِ في إثراءِ موضوعِ المحاضرةِ بحثًا ونقاشًا.

الخبر الرابع:

وفد من مجمع اللغة العربية يزور مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة..

زار وفد من مجمع اللغة العربية المكي مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة؛ للاطلاع على سير الإنتاج في المجمع، والاستماع إلى شرح مفصل لطريقة تطريز الآيات القرآنية وعمل الزخارف الإسلامية على الحرير الطبيعي، وكان في استقبالهم سعادة وكيل المجمع للشؤون الإدارية الأستاذ هشام بن سليمان علاء الدين، الذي رحب بالوفد، مشيدًا بدور المجمع اللغوي المكي في خدمة اللغة العربية، والنهوض بمقامها، وإبراز مكانتها، وبعث تراثها، منوهًا برؤية المجمع في تحقيق الريادة بخدمة لغة القرآن الكريم.

وقدم الأستاذ علاء الدين للوفد الزائر عرضًا مفصلًا عن الجهود التي تبذلها الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في خدمة الحرمين الشريفين، ورعاية قاصديهما؛ وفق توجيهات ولاة الأمر -حفظهم الله-، وحرصِ معالي الرئيس العام الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، مركزًا على الدور الأساسي الذي يقدمه مجمع الملك عبدالعزيز في حياكة ثوب الكعبة المشرفة منذ تأسيسه حتى اليوم.

وعقِبَ ذلك زار الوفد أقسام المجمع؛ فاطلعوا على جميع مراحل

حياكة كسوة الكعبة المشرفة، وقد حضر اللقاء من جانب الوفد الزائر: سعادة رئيس مجمع اللغة العربية بمكة المكرمة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن علي الحربي، وسعادة الاستاذ فهد بن عمر المربعي رجل الأعمال، وسعادة عضو المجمع ومستشار مدير التعليم بمكة المكرمة الدكتور خالد أبو حفاش، وعدد من العاملين بالمجمع والمتعاونين معه.

واختتمت الزيارة بتقديم وفد مجمع اللغة العربية المكي الشكرَ الجزيل لمنسوبي مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة، منوهين بما شاهدوه من عناية وإتقان في أداء مهامهم، مشيدين بما توفره الرئاسة من الإمكانات المادية، والكوادر المتميزة؛ التي أسهمت في تجويد العمل وإتقان المخرجات.

الخبر الخامس:

مشاركة المجمع في معرض جدة الدولي للكتاب في دورته الثالثة

شارك مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بعدد من مطبوعاته في معرض جدة الدولي للكتاب في دورته الثالثة، التي أقيمت في الفترة من ٢٦/ ٠٣/ ١٤٣٩هـ إلى ٠٦/ ٠٤/ ١٤٣٩ هـ الموافق ١٤/ ١٢/ ٢٠١٧م إلى ٢٤/ ١٢/ ٢٠١٧م، وموقعه بالجناح رقم (٧٥٣).

الخبر السادس:

مجمع اللغة العربية المكي يعقد ندوة عن اللغة العربية في يومها العالمي بمعرض جدة للكتاب

احتفاءً باليوم العالمي للغة العربية عقد مجمعُ اللغة العربية على الشبكة العالمية بالتعاون مع وزارة الثقافة والإعلام ندوة في مسرحِ معرِضِ جدةَ الدولي للكتاب، عنوانُها «اللغةُ العربية في يومها العالمي» شارك فيها كلٌّ من رئيسِ المجمع الأستاذِ الدكتورِ عبدِالعزيز بن عليٍّ الحربيِّ، والأستاذِ الدكتورِ محمدِ بن ربيعٍ الغامديِّ. وأدار الندوة الدكتور بدر العتيبي.

ونوهَ رئيسُ المجمعِ في كلمتِه بدور المملكةِ في خدمةِ اللغةِ العربيةِ عبر الجامعاتِ والمراكزِ والهيئاتِ المتخصصةِ، لافتًا النظرَ إلى جهودِ مجمعِ الملكِ فهدٍ للمصحفِ الشريفِ، ومجمعِ الملكِ سلمانَ للحديثِ النبويِّ في حفظِ اللغةِ. كما تحدثَ رئيسُ المجمعِ عن مجمعِ اللغةِ العربيةِ بمكةَ المكرمةِ، من حيث الفكرةُ والتأسيسُ والنشأةُ، مستعرضًا بعضَ جهودِ المجمعِ وخِدماتِه الجليلةِ التي قدمَها للغةِ العربيةِ، ومنها مجلةُ المجمعِ العلميةُ المحكمةُ، والفتاوى اللغويةُ، والمسابقاتُ المتنوعةُ، والنشرةُ الإخباريةُ الأسبوعيةُ، كما ألقى قصيدةً أنشأها بمناسبة الاحتفاء بيوم اللغة العربية العالمي.

في حينَ تناولَ عضوُ المجمعِ الأستاذُ الدكتورُ محمد ربيع الغامديُّ أثرَ اللغةِ في الهويةِ؛ لكون اللغة معبِّرًا عنها، موضحًا أنَّ ارتباطَه بالتشريعِ

يعزز حضور لغة الضاد، عادًّا اللغة العربية لغة متصدرة بين اللغات التي اعترفت بها الأمم المتحدة منذ ١٩٧٣، مؤكدًا الجانب المعرفي في يوم الاحتفال، وتقديمَ إضافات منها الطرحُ المعرفيُّ، واستخدامُ التقنيةِ من خلال المجمع.

الخبر السابع:

"العربية لغة العلوم في الماضي والحاضر" محاضرة لعضو المجمع أ.د. بهاء الدين عبدالرحمن بالمعهد الثانوي الصناعي بمكة

احتفاء باليوم العالمي للغة العربية ألقى عضو المجمع الأستاذ الدكتور بهاء الدين عبدالرحمن عبدالوهاب محاضرة أمام طلاب المعهد الثانوي الصناعي ومنسوبيه، عنوانها "العربية لغة العلوم في الماضي والحاضر".

تناول المحاضر في ورقته مكانة اللغة العربية، مبرزا مكامن قوتها وعبقريتها، ومنها القدرة على استيعاب كل جديد، بما لها من إمكانيات للتطور والنمو، وآليات للتوليد والابتكار، وعرض المحاضر لأمثلة من التاريخ القديم، على ارتباط اللغة بالعلوم والاختراعات، ومنها ظهور بعض مصطلحات العلوم قديما كعلم الصنعة والكيمياء، واتساع دائرة الترجمة والتفاعل مع الحضارات المجاورة كالفرس والإغريق، وازدهار العلوم الرياضية والطبيعية على أيدي بعض علماء العرب الأوائل كالخوارزمي، وجعفر البلخي، وابن قرة، والفارابي، وابن سينا، وجابر بن حيان، وغيرهم، وأشار المحاضر إلى عظم تأثير الحضارة

العربية في النهضة الأوروبية، التي اعتمدت في بداياتها على التراث العربي، وترجمت جزءا منه إلى لغاتها.

كما تناول المحاضر الجهود الحديثة الحثيثة للنهوض باللغة العربية، وجعلها لغة العلوم والتقنيات، وكان للمجامع اللغوية النصيب الأكبر من تلك الجهود، بما أنشأته من معاجم لمصطلحات العلوم الحديثة. وقد أثبتت اللغة قدرتها وجدارتها بأن تكون لغة التخاطب والتأليف والنشر والتعليم في كل مجالات العلوم والتقنية.

الخبر الثامن:

"اللغة العربية والتقنيات الحديثة" ندوة نظمها مجمع اللغة العربية بمكة احتفاء باليوم العالمي للغة العربية

نظم مجمع اللغة العربية بمكة المكرمة في مقره مساء السبت السادس من ربيع الآخر لعام ١٤٣٩هـ - أمسيته اللغوية التي خصصها لندوة "اللغة العربية والتقنيات الحديثة" احتفاء باليوم العالمي للغة العربية، بحضور جمع من رجال اللغة والأدب والثقافة، وطلاب العلم. وكان ضيوف الندوة هم الدكتور يحيى الهاشمي عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم، متحدثا عن موضوع "اللغة العربية بين التصدي والتحدي". والدكتور عبدالرحمن البيشي عضو هيئة التدريس بجامعة الباحة، وعضو المجمع متحدثا عن موضوع "اللغة العربية والمجمع اللغوي بمكة المكرمة"، والدكتور عبدالعزيز الطلحي عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى، وعضو المجمع، مديرًا للندوة.

بدأت الندوة بكلمة افتتاحية للدكتور عبدالعزيز بن علي الحربي رئيس المجمع، رحب فيها بالضيوف والحاضرين، ممهدا لموضوع الندوة. ثم تناول الدكتور يحيى الهاشمي في كلمته موضوع "اللغة العربية بين التصدي والتحدي"، وفق مجموعة من الثنائيات، وهي:

ثنائية اللغة واللسان، في مستوى التوطئة، وثنائية المقومات في قسم التصدي والتحديات في قسم التحدي، وثنائية الحصار والانتصار في مستوى الآفاق، وثنائية توفر أسباب البقاء والازدهار في مواجهة عوامل الهدم والاندثار.

والعربية في كل ذلك بين ثنائية التعطيل والتفعيل، والتوهين والتمكين، والتفنيد والتأييد.

ثم تحدث الدكتور عبدالرحمن البيشي في كلمته عن اللغة العربية، وأوليتها، وسعتها، والأزمات التي تعترض مسيرتها، وعدد أبرز المجامع اللغة العربية، ثم تطرق إلى أهمية الحوسبة اللغوية، والربط بين اللغة العربية وعلوم الحاسوب، وخصص الجزء الأخير من كلمته للحديث عن مجمع اللغة العربية بمكة من حيث الفكرة والنشأة والإنجازات، منوهًا بما وصل إليه المجمع من خلال ذكر بعض الأرقام والإحصائيات المتعلقة بموقعه وحساباته الاجتماعية.

وتلا ذلك مداخلات لبعض الأساتذة الحاضرين أثرت موضوع الندوة.

الخبر التاسع:

"التخطيط اللغوي في المؤسسات اللغوية" محاضرة لـ د. صالح الوشمي بمقر المجمع

عقد مجمع اللغة العربية المكي أمسيته اللغوية الخامسة لهذا العام، وذلك في مقره مساء السبت العاشر من جمادى الأولى لعام ١٤٣٩هـ، الموافق للسابع والعشرين من يناير لعام ٢٠١٨م. وكان ضيف الأمسية هو الدكتور عبدالله بن صالح الوشمي الأمين العام لمركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، وعنوان محاضرته: "التخطيط اللغوي في المؤسسات اللغوية: مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية نموذجًا"، وقد حضر الأمسية جمع من أهل العلم والأدب والثقافة.

وافتتح رئيس المجمع الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن علي الحربي الأمسية بكلمة رحب فيها بالضيف وأثنى على عمله وجهده كما رحب بالحاضرين، وتكلم عن بعض المصطلحات المرتبطة بموضوع المحاضرة، كمرونة المسؤول والتخطيط وحسن التدبير.

ثم شرع المحاضر في تقديم ورقته، فتحدث عن خلاصة تجربته في التخطيط اللغوي من خلال عمله في المركز، وسرد بعض الوقائع والأحداث اللغوية مستخلصًا منها العبر والدروس، وعرض بعض المداخل العلمية المتصلة بموضوع التخطيط، معرجًا على مسوغات

التخطيط، ودواعيه، ثمّ ذاكرًا بعض جهود المركز وبرامجه العلمية والعملية.. ومنها إصدار الكتب والمطبوعات، وعقد الندوات والمؤتمرات، إضافة إلى برامج الرعاية والشراكة التي يعقدها المركز مع جهات دولية خارجية.

واختتم المحاضر ورقته بذكر التحديات والصعوبات التي تواجه عمل المركز؛ على الرغم من جهوده الكبيرة في التصدي لها، والدعم الذي يلقاه من القيادة الكريمة، ومن معالي وزير التعليم.

تلا ذلك مداخلات عميقة لبعض الأساتذة الحاضرين، أثرت موضوع المحاضرة.

وفي ختام الأمسية كرم رئيس المجمع المحاضر الكريم بدرع تذكاري، وشهادة تقدير.

الخبر العاشر:

"النحو العربي واللسانيات: من الخصوصية إلى الكونية" محاضرة لـ أ.د. عز الدين المجدوب بمقر المجمع

أقامَ المجمعُ أمسيةً لغوية مساءَ السبتِ الموافق ٠١/ ٠٥/ ١٤٣٩هـ في مقرِّه بمكة، وكانَ ضيفُ الأمسيةِ هو الأستاذ الدكتورَ عز الدين محمد المجدوب، وعنوانُ محاضرتِه "النحو العربي واللسانيات: من الخصوصية إلى الكونية". وقد حضرَ الأمسيةَ طائفةٌ من أهلِ اللغةِ

والأدبِ والثقافةِ، وطلابِ العلمِ. وافتَتَحَ رئيسُ المجمعِ الأستاذُ الدكتورُ عبدُالعزيزِ بن عليٍّ الحربيُّ الكلمةَ مرحبًا بالمحاضرِ، منوهًا بمكانتِه وجهودِه العلميةِ، ومعرفًا بموضوعِ المحاضرةِ، واستطرد متحدثًا عن قيمتي المبادرة في العمل، وعدم التسويف، وأثرهما في العطاء والإنجاز والرضا الوظيفي.

ثم تناول المحاضر علاقة النحو العربي باللسانيات الحديثة، مستعرضًا مسيرة اللسانيات منذ النشأة، وتطوراتها، والسجال الحاد بين أنصار النحو التقليدي، وأنصار اللسانيات الذي ما زالت آثاره قائمة اليوم. وعرض المحاضر لجوانب الإفادة من اللسانيات في النحو والصرف وعلوم العربية بعامة، منطلقًا من مفاهيم إجرائية ووصفية في الأصوات والإعراب ومعاني الكلام؛ لأجل التوفيق بين الموقفين المتعارضين في اتجاهين متكاملين، يرمي أولهما إلى إبراز فائدة بعض المفاهيم الكونية اللسانية في تدقيق وصف مظاهر من العربية أو تعديلها، ويهدف الآخر إلى تقويم بعض المفاهيم الوصفية العربية في وصف عامة الألسنة البشرية فضلًا عن العربية.

وأضفت مداخلات بعض الحاضرين من المختصين عقيب المحاضرة مزيدًا من الثراء والقيمة العلمية على موضوعها.

وفي ختام الأمسية كُرم الضيف بدرع تذكاري، وشهادة تقدير، ثم دعي الجميع إلى العَشاء.

الخبر الحادي عشر:

منتدى المجمع الشبكي يتجاوز زواره حاجز الـ ٢٥ مليونًا

تجاوز عددُ زوارِ منتدى مجمعِ اللغةِ العربية بمكةَ المكرمة حاجزَ الخمسةِ والعشرين مليونًا، وذلك بعد ستةِ أعوامٍ من إنشائه.. ويعدُّ المنتدى هو الواجهةَ التفاعليةَ الحواريةَ لموقعِ المجمعِ الرسميِّ، الذي يشتملُ على أخبارِه ومناسباته، ويعرف بأعماله ومنشوراته.

وفي المنتدى أقسامٌ فرعيةٌ متعددةٌ، بحسبِ اهتماماتِ المجمعِ، ومناشطِه. وهو مفتوحٌ للتفاعلِ والحوارِ مع جميع الأعضاءِ أينما كانوا. ويشتملُ على جميعِ أعدادِ مجلةِ المجمع، وفتاوى المجمعِ، وقراراتِه وتنبيهاتِه، مع مقالاتِ المجمعيين وتحقيقاتِهم اللغوية، وقسمٍ مختصٍّ بإرشادِ الباحثين وطلابِ الدراساتِ العليا، وأقسامٍ أخرى للإفتاءِ اللغويِّ، والمصطلحاتِ والأساليبِ، والعاميِّ الفصيحِ.. وغيرِها.

الخبر الثاني عشر:

مجمع اللغة العربية بمكة يطلق حسابًا جديداً لخدمة الشباب في فنون العربية

أطلق مجمع اللغة العربية في مكة على موقعِ التدوينِ المصغَّرِ (تويتر) حسابًا جديدًا موجهًا للشباب، يتيحُ لهم طرحَ القضايا والمشكلات اللغوية التي تعنُّ لهم، وتوجيه الأسئلة حول الإشكالات اللغوية التي تعترض طريقهم في التعلُّم.

وقد انطلق الحساب باسم "مجلس اللغة العربية للشباب"، وهو

اسم مشتق من الرؤية التي عبرتْ عنها نبذته التعريفية، فهو "مجمع لغوي يتيح للشباب التفاعل والعطاء في فنون العربية".

وسيكون المجلسُ مسؤولا (عن متابعة ما يثيره الشباب من أسئلة وقضايا لغوية)، وطرح ما يهمهم من الفوائد المعرفية في صورة تقريرات أو أسئلة، أو مسابقات.

ويندرج ذلك في إطار اهتمام المجمع بفئة الشباب، والعناية بها ضمن برامجه وأهدافه في خدمة العربية والنهوض بها.

الخبر الثالث عشر:

المجمع يطلق مسابقات في الشعر والقصة القصيرة الإلقاء بمناسبة الاحتفاء بيوم اللغة العربية العالمي

أطلق المجمعُ مسابقةً لمُحِبِّي العربيةِ والأدبِ بمناسبةِ اليومِ العالميِّ للغةِ العربيةِ في شهرِ ديسمبرَ الماضي، وتتكونُ المسابقةُ من ثلاثةِ فروعٍ، وهي:

الفرعُ الأولُ: مسابقة الشعر العربي، ويشترط فيها أن تكون القصيدة المقدَّمةُ من إنشاء المشارك، حصريةً للمجمع، وعددُ أبياتها بين سبعةٍ وخمسةَ عشرَ، وأن يكونَ موضوعُها متصلًا باللغةِ العربيةِ والتقنياتِ الحديثة.

الفرعُ الثاني: مسابقةُ القصةِ القصيرةِ، ويُشترطُ فيها أنْ تكونَ من إنشاءِ المشاركِ حصريةً للمجمعِ، موجهةً للأطفالِ، وتتناولُ قضيةً لغويةً تخدُمُهم، على ألَّا تقلَّ عن صفحةٍ واحدةٍ، ولا تزيدَ عن ثلاثِ

صفحاتٍ.

الفـرعُ الثالـثُ: مسـابقةُ الإلقـاءِ الإذاعـيِّ، وتُسـتقبَلُ فيهـا المقـاطعُ المرئيةُ الحصريةُ المشتملةُ على تسجيلاتٍ للأطفالِ تتناولُ بالفصحى أيَّ موضوعٍ ذي فائدةٍ لغويةٍ أو علميةٍ، مع احتواءِ المقطعِ على النبراتِ الصوتيةِ والحركاتِ التعبيريةِ المناسبةِ.

ومِمّا يَجدُرُ ذِكرُه أنَّ المجمعَ تلقَّى مشاركات عديدة من جميع أنحاء العالم، بلغت ثمانين مشارِكةً في مسابقة الشعرِ العربيِّ، ومئة وثلاثة في مسابقةِ القصةِ القصيرةِ.

#الـذكرى_السادسـة_للمجمـع_اللغـوي_بمكـة : إنجـازات وأرقام..!!



الخبر الرابع عشر:

مجمع اللغة العربية بمكة يستضيف الأديبَ المغربيَّ الكبير: إسماعيل بن عمر زويرق في أمسية شعريَّة.

عقدَ مجمعُ اللغةِ العربيةِ في مكةَ المكرمةِ في مقرِّه مساءَ السبتِ الماضي أمسيةً شعريةً مع الأديبِ المغربيِّ الشاعرِ الدكتورِ إسماعيلَ بنِ عمر زوَيْرِق، ألقَى فيها مختاراتٍ من قصائدِه. وحضرَ الأمسيةَ جمعٌ من أهلِ اللغةِ والأدبِ، ومحبِّي الشِّعر.

والشاعرُ الضيفُ مِن مواليدِ عامِ ١٩٤٤م، يكتُبُ في جميعِ أغراضِ الشعرِ إلَّا الهِجاءَ، وله أربعةٌ وسبعون (٧٤) مؤلَّفًا، طُبع أكثرُها. كُرِّمَ عشراتِ المراتِ في المغربِ، ونالَ مئاتِ الشهاداتِ التقديريةِ، وتناولتْ شعرَه دراساتٌ ورسائلُ جامعيةٌ، حصلَ على الدُّكتوراه الفخريةِ مِن الجمعيةِ الدوليةِ للمترجِمين اللُّغويين العربِ. وهو ممّن اختِيرَ ضِمْنَ أفضلِ مئةِ شاعرٍ عربيٍّ، يرأسُ بعضَ النوادي الأدبيةِ في المغربِ.

الخبر الخامس عشر:

مجلس أمناء مجمع اللغة العربية بمكة يعقد جلسته الأولى لهذا العام.

عقدَ مجلسُ أمناءِ المجمعِ جَلستَه الأولى لهذا العامِ ١٤٣٩هـ مساءَ أمسِ الخميسِ في العشرينَ من جمادى الآخرةِ بمقرِّ المجمعِ، وترأسَ الجلسةَ معالي الشيخِ الدكتورِ/ صالحِ بنِ عبدِالله ابنِ حميدٍ، حفظَه الله.

وممّا ناقشَه المجلسُ في جدولِ أعمالِه: عرضُ مسوَّدةِ قانونِ حمايةِ اللغةِ العربيةِ، وتقريرُ الموازنةِ السنويّةِ للمجمعِ، وإنشاءُ قسمٍ للخطِّ

العربيِّ، وتطويرُ موقعِ المجمعِ ومنتداه وصفحاتِه لتُواكبَ رؤيةَ ٢٠٣٠، وقد أصدرَ المجلسُ عددًا مِّنَ القراراتِ المتصلةِ بجدولِ أعمالِه.

ومن أخبار المجمع المتعلقة بالمجمعيين:

الخبر الأول:

عضو المجمع أ.د. عبدالرحمن السليمان يشارك في تنظيم المؤتمر الدولي الخامس في ترجمة معاني القرآن الكريم بمراكش

شارك عضو المجمع الأستاذ الدكتور عبدالرحمن السليمان يومي ٢٠ و٢١ من شهر فبراير ٢٠١٨م في تنظيم مؤتمر في جامعة القاضي عياض في مراكش (المؤتمر الدولي الخامس في ترجمة معاني القرآن الكريم، في موضوع: "المرجعيات اليهودية والمسيحية في ترجمات معاني القرآن الكريم" تكريما للأستاذ الدكتور أحمد شحلان).

كما شارك الدكتور ببحث ألقاه في المؤتمر بعنوان: (دعاوى الأصول الآرامية/ السريانية للغة العربية وللقرآن الكريم).

كما شارك الدكتور عبدالرحمن السليمان أيضا في تحرير الكتاب الذي يحتوي على الأبحاث المحكمة المقدمة في المؤتمر، الذي صدر قبل أيام.

الخبر الثاني:

"النص الذي نَحْيَا به، قَضايا ونَماذجُ في تَماسُك النص ووحدة بنائه" إصدار جديد لنائب رئيس المجمع أ.د. عبدالرحمن بودرع

صدَرَ للأستاذ الدكتور عبد الرحمن بودرع، عضو مجمع اللغة العربية على الشبكة العالَمية ونائب رَئيسه، كتابٌ جديدٌ، بعنوان: "النص

الـذي نَحْيَـا بـه، قَضـايا ونَمـاذجُ في تَماسُـك الـنص ووحـدة بنائـه" مـن منشورات جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب تطوان، المغـرب، سنة ٢٠١٨.

نبذةٌ عن الكتاب:ـ

يُـرادُ بالكتـابِ البرهنـةُ علـى أنَّ الـنصَّ لا يقـفُ عنـدَ صـفَتِهِ اللغويّـة المركَّبةِ من أصواتٍ ومَقاطعَ وأبنيةٍ وتَراكيبَ ودوالَّ، ولكنّه فعلٌ وحَدَثٌ وإنجازٌ، يُرافقُ الإنسانَ في أحواله كلها؛ فهو فعلٌ وفكـرٌ وحـدثٌ كلامـيّ وإطارٌ عام لنشاطاته المختلفَة في التواصل والتلقي والحديث والإنجاز والإبداع والتصور الذّهنيّ. النص إعادة تَركيب للعالَم وفق اختيـارات وخطط ومواقعَ.

وعلم النّصّ وليد شرعيّ للسانيات، فهي التي أخرجَتْه مـن الخَلْط المعرفيّ الذي كان يكتنفُه ومن غُموضِ الحُدودِ إلـى وُضـوح المفـاهيم والمصطلحات.

وقَد جَعَلَ المفكر اللسانيُّ "فان دايك" علمَ النص يأخـذُ مـن البَلاغـة مَفاهيمَها وتطبيقاتها، ولكنّه مَنَعَ أن تنتقلَ معياريّةُ البَلاغة الغرْبيّة القَديمَة إلى علم النّصّ.

الخبر الثالث:

نائب رئيس المجمع أ.د. عبدالرحمن بودرع يلقي محاضرة في اللسانيات بالمغرب

في إطار منتدى رياض اللغة العربية نظمت تنسيقية مراكش للائتلاف الوطني من أجل اللغة العربيـة بشـراكة وتعـاون مـع مركـز عنايـة للتنميـة

والأعمال الاجتماعية بالمغرب لقاء ثقافيا على شرف الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بودرع، ألقى من خلاله محاضرةً في موضوع: «لسانيات النص وتحليل الخطاب ضرورة معرفية ومنهجية. أو النص الذي نحيا به».

وقام بتقديم اللقاء الباحث الدكتور فيصل أبو الطفيل، يوم السبت ٢٤ فبراير ٢٠١٨ تمام الساعة العاشرة صباحا بقصر بلدية مراكش شارع محمد الخامس.

والدكتور عبد الرحمن بودرع، أستاذ التعليم العالي بجامعة عبد المالك السعدي، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، تخصص علوم اللغة العربية (لسانيات النص وتحليل الخطاب) بتطوان.